المواعظ الإلهية
لقداسات جمع وعشيات الآحاد وآحاد
وأعياد السنة القبطية
الكتاب الأول
فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة
بقلم
القمص لوقا الأنطونى
مكتبة المحبة
مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان

المواعظ الإلهية

لقداسات جمع وعشيات الآحاد
وآحاد وأعياد السنة القبطية

الكتاب الأول
ويشمل فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة

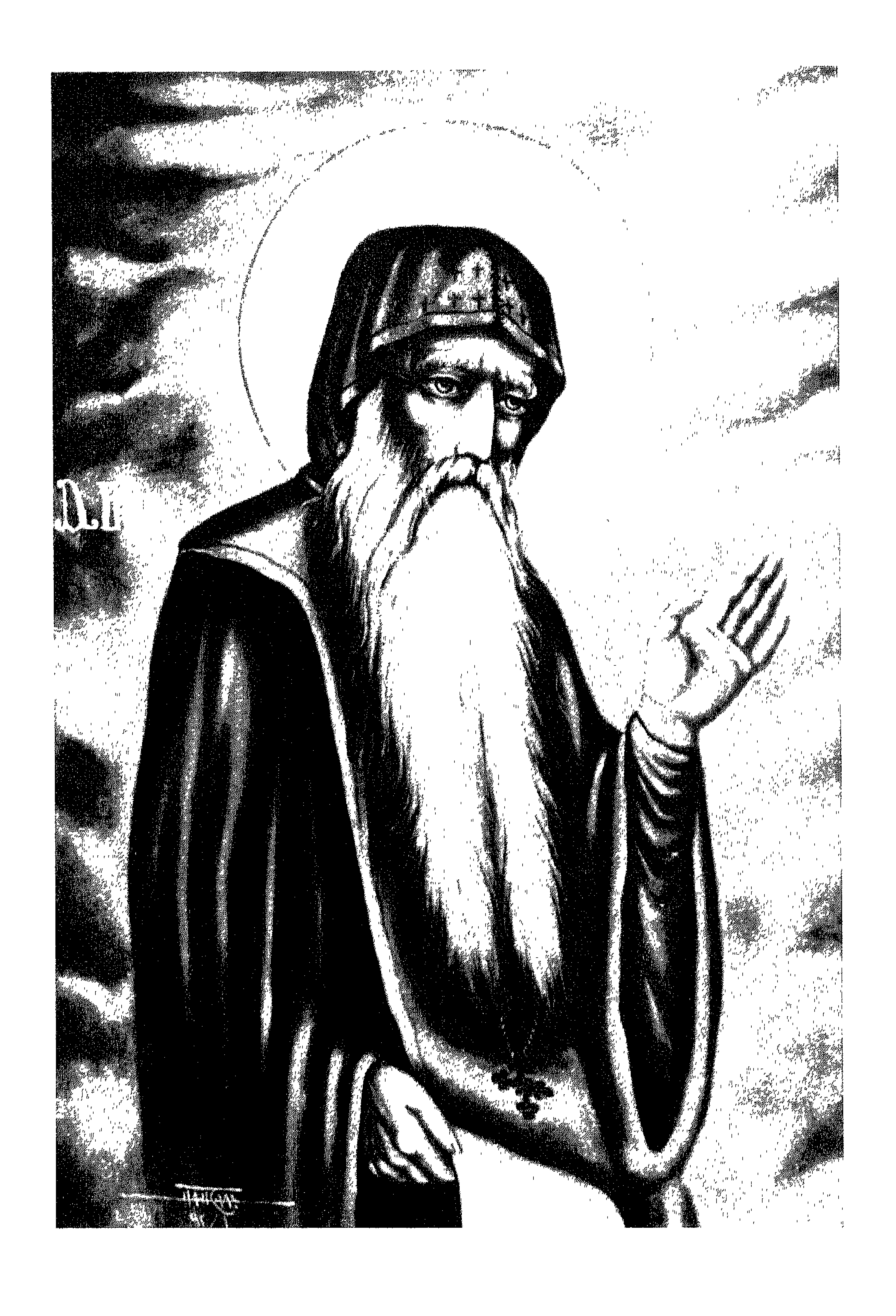
بقلم
القمص لوقا الأنطونى

مراجعة وتقديم
نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان

إهداء الكتاب

إلى أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس

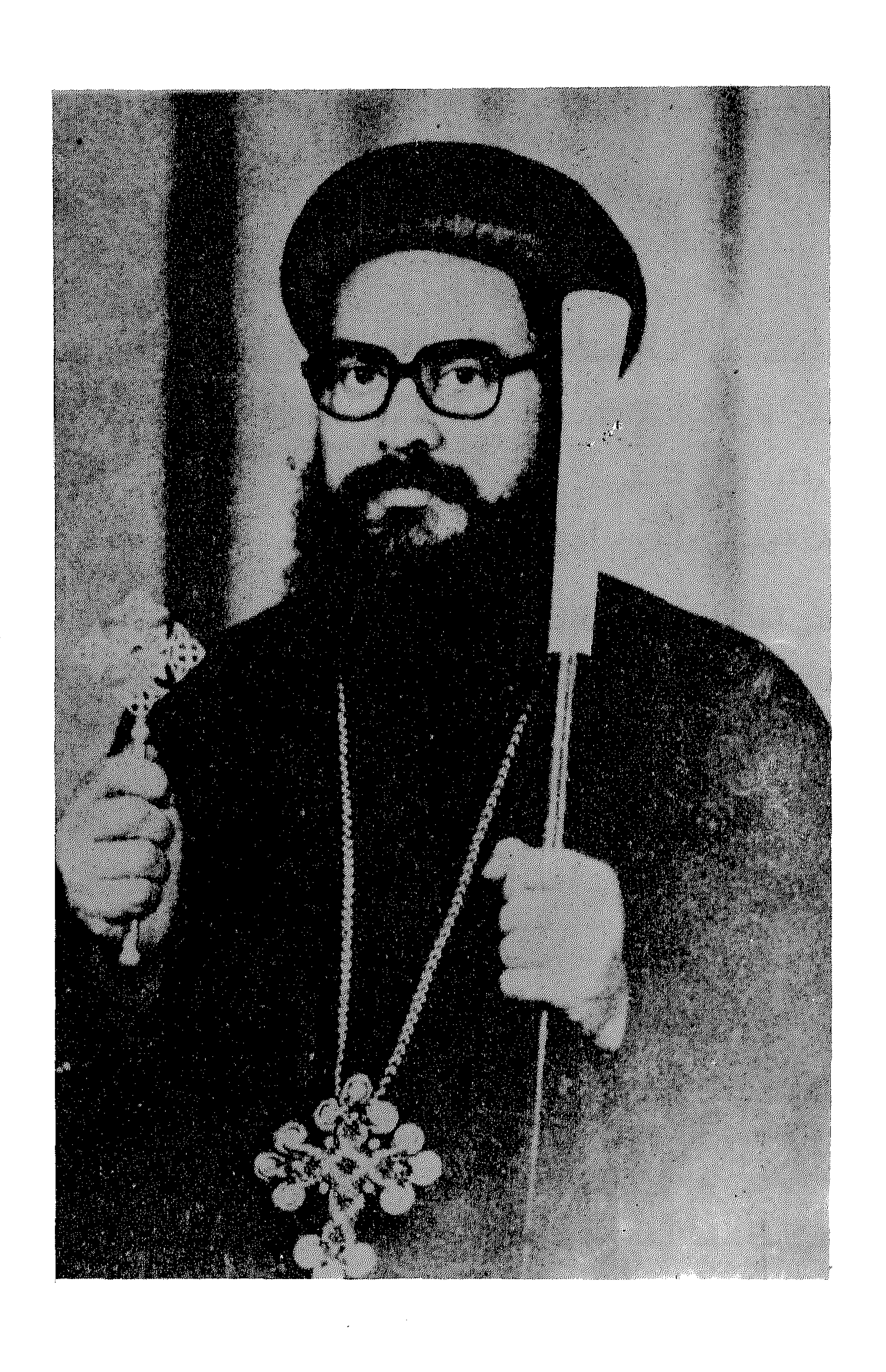
كوكب البرية وأب جميع الرهبان .
إلى العاملين فى كرم الرب .
إلى الرعاة والمعلمين .
إلى الآباء والبنين .
إلى من تهمه نفسه .
ويتوق إلى خلاص الآخرين .
أهـــدى هـــذا الكتـــاب مع تضـرعاتـى إلـى
الله ليســتخدمه لمجـد اسـمه القدوس ــ آمين .



القديس العظيم الأنبا أنطونيوس



قداسة البابا شنوده الثالث



نيافة الأنبا متاؤس

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الطبعة الثانية

ما كادت تظهر الطبعة الأولى من **المواعظ الإلهية** ، الجزءان الأول والرابع : ويشملان فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة. حتى نفذت بعد فترة وجيزة. ومن وقتها أبدى الكثيرون من دارسى الكتاب المقدس رغبتهم فى إعادة طبع الجزءان مرة أخرى.

وإننى أجثو أمام إلهنا القدوس، شاكراً عظيم نعمته ومؤازرته. فها هى الطبعة الثانية تظهر مع بدء الصوم المقدس فى مجلد واحد ويشمل عظات لقداسات جمع وعشيات الآحاد وآحاد وأعياد السنة القبطية فى طبعة جديدة ومنقحة.

قال السيد المسيح له المجد لتلاميذه «وصية جديدة أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا» (يو ١٣ : ٣٤). وأحب التلاميذ معلمهم، فانطلقوا يكرزون ويبشرون باسمه ويحملون رسالته..

وكما كان السيد المسيح نموذجاً عالياً ومثالاً سامياً لكل معلم فى شخصيته وصفاته وأهليته، كذلك كان فى علاقته كمعلم بتلاميذه خصوصاً، وبجميع الناس كافة.

وقد كانت هذه المحبة من جانب التلاميذ لمعلمهم الأعظم سر الحمية التى صبت فى دمائهم حرارة، فطفقوا يعبرون عن حبهم، مدفوعين به إلى العمل من أجل اسمه، ونشر دعوته، محتملين عن رضى كل عنت وإضطهاد من أجله. ومما سجله سفر أعمال الرسل عن تلاميذ السيد المسيح أن قادة اليهود استحضروهم للمحاكمة أمام مجمع السنهدريم، وهو أعلى سلطة دينية عندهم، بسبب

تبشيرهم باسم معلمهم. ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم ألا يعلموا باسم يسوع، ثم أطلقوهم. أما هم فانصرفوا من أمام المجمع فرحين بأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل هذا الاسم» (أع ٥ : ٤٠ ، ٤١).

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأشكر أسرة مكتبة المحبة التى قامت بطبع ونشر هذا الكتاب الأول وفقها الله فى جميع مشاريعها لمجد اسمه القدوس وخير الكنيسة.. أرجو من الله أن يكون هذا الكتاب سبب بركة وخلاص للنفوس.

بشفاعة **أمنا العذراء القديسة مريم**، وبصلوات أبينا المكرم الطوباوى **قداسة البابا شنوده الثالث**، وشريكيه فى الخدمة الرسولية أبوينا المكرمين **نيافة الأنبا متاؤس** أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان)، **ونيافة الأنبا يسطس** أسقف ورئيس دير أبينا **القديس العظيم الأنبا أنطونيوس** العامر.

لربنا وإلهنا المجد والإكرام إلى الأبد آمين .

القمص لوقا الأنطونى

٦ مارس ٢٠٠٠م] بدء الصوم المقدس
٢٧ أمشير ١٧١٦ش]

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم الجزء الأول
فى طبعته الأولى

تعليم الشعب واشباعه بالانجيل من أهم واجبات الكنيسة .

لذلك خصصت الكنيسة الجزء الأول من قداسها لتعليم الشعب وتثقيفه كتابياً وروحيا وعقيديا وتاريخياً ، وأطلقت على هذا الجزء من القداس « قداس الموعوظين » أو القداس التعليمى .

ووضعت الكنيسة فى طقسها أن تقرأ فى القداس التعليمى خمسة فصول من الكتاب المقدس هى :

+ البولس : فصل من احدى رسائل معلمنا بولس الرسول
+ الكاثوليكون : فصل من إحدى الرسائل الجامعة .
+ الابركسيس : فصل من سفر أعمال الرسل .
+ المزمور : آية أو أكثر من أحد المزامير .
+ الانجيل : فصل من أحد الأناجيل الأربعة .

تتخلل هذه القراءات قراءة السنكسار بعد قراءة الابركسيس ، والسنكسار هو سيرة شهيد أو قديس اليوم أو تاريخ العيد أو المناسبة . وتختم هذه القراءات بالعظة مرتبة على انجيل القداس فى المقام الأول ولكن يؤخذ فى الحسبان ارتباط القراءات ببعضها وسيرة قديس اليوم كبرهان عملى على الحياة حسب الانجيل .

بذلك يأخذ الشعب وجبة تعليمية دسمة مشبعة تؤهله للدخول فى جو القداس الإلهى الروحانى فيرتفع عقله وقلبه الى السماء .

والكتاب الذى بين يديك أيها القارىء العزيز هو مجموعة عظات دسمة مرتبة على أناجيل القداسات أيام جمع وآحاد فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة والأعياد التى تتخللها .

بذل فيه الأب الموقر القمص لوقا الأنطونى جهداً كبيراً رائعاً ، وهو ثمرة خدمته وقراءاته وعظاته فى هذه المناسبات لعدة سنين ، جمعها ونقحها وبوبها واستعان فيها بالكثير من نصوص الكتاب المقدس وأقوال الآباء وسير القديسين ورجع الى كثير من المراجع واستفاد منها . فجاءت عظاته دسمة مشبعة .

نرجو من الله أن يستفيد بهذا الكتاب كل من يقرأه وأن يكون سبب بركة ومساعدة للوعاظ والخدام فى خدمتهم ووعظهم . وأن يعوض الرب الكاتب أجراً صالحاً سمائياً .

وإلى اللقاء فى الجزء الثانى من كتاب .. المواعظ الإلهية لقداسات جمع وآحاد وأعياد السنة القبطية . منفعة للجميع وسلاماً وبنياناً لكنيسة الله المقدسة عمود الحق وقاعدته .

ولإلهنا المجد فى كنيسته إلى الأبد آمين ؟

+

الأنبا متاؤس
الأسقف العام

٣٠ يناير ١٩٨٦م
٢٢ طوبة ١٧٠٢ ش

عيد نياحة القديس العظيم
الأنبا انطونيوس كوكب البرية

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الجزء الأول
فى طبعته الأولى

قال الحكيم : تفاح من ذهب فى مصوغ من فضة كلمة مقولة فى محلها (أم ٢٥ : ١١) إنى اشكر الله شكراً جزيلاً قلبيا الذى أفرزنى منذ حداثتى أن أكون خادماً أميناً لكنيسته المقدسة والذى أرشدنى بروحه القدوس . لتقديم كتابى هذا للشعب المسيحى القبطى الأرثوذكسى الغيور . وقد قرأت قبل وضعه كثيراً من الكتب الدينية واقتبست منها ما مكننى من وضع هذه العظات كما ترى أيها القارىء العزيز بأسلوب سهل جذاب سلس .

نحن نعمل حسناً إذ كنا نتمسك بهذا الحق عالمين « أن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة » (رو ١١ : ٢٩) .

فان هذا يمنحنا سلاماً يفوق كل عقل ويهبنا ثباتاً وقوة فى الجهاد . وياها من نتائج مباركة تلك التى يثمرها لنا وفينا هذا اليقين المبارك . أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله .

المواعظ الإلهية : مجموعة من العظات الثمينة الروحية تسمو بالمرء للمثل الأعلى وتحلق به فى سماء المجد وقد جاء اسمه خير معبر عما يحويه . يسعد كل مسيحى أن يقتنيه فيجد بين صفحاته طريق الفضيلة والقداسة .

هذا هو الجزء الأول من كتابى أقدمه لكم أيها القراء الأعزاء . طالباً من الرب أن يؤازرنى بنعمته لإخراج الجزء الثانى من مجموعة سلسلة المواعظ الإلهية من هذا المؤلف .

بما فيه من عظات ذهبية لفائدة الكثيرين موجهاً أنظاركم الى الرب يسوع المسيح . طالبا أن يرافقه روح الله بقوة . فيصل الى أعماق القلب . ليكون رسالة خلاص للخطاة . وان يستخدمه الله لمجده ولبنيان النفوس .

وإنى أقدم الشكر لله الذى أعان ضعفى حتى ظهر هذا الكتاب ونضع العمل كله بين يدى الرب .

ونسأله أن يقبل هذه التقدمة كرائحة سرور أمامه . وإنى أنتهز هذه الفرصة السعيدة لأقدم جزيل شكرى وتقديرى والعرفان بالجميل لصاحب القداسة الحبر الجليل نيافة/ **الأنبا متاؤس**

الأسقف العام الذى باركنا بتفضله بمراجعة وتقديم الكتاب رغم انشغالاته الكثيرة المتزايدة فى خدمة الرب والكنيسة . الرب يعوض تعب محبة نيافته فى أورشليم السمائية .

اسأل الله أن يساعدنى ويقوينى فى كل عمل صالح حتى أتمم خدمتى ورسالتى على أكمل وجه .

بشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات القديسة الطاهرة العذراء مريم والدة الإله ، وجميع الطغمات السمائية ، وأبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان . وببركة وصلوات أبينا أب الآباء وراعى الرعاة غبطة البابا الطوباوى/ **الأنبا شنودة الثالث** بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وشريكيه فى الخدمة الرسولية آبائنا المكرمين **نيافة/ الأنبا متاؤس** الأسقف العام .ونيافة/ **الأنبا ديسقورس** الأسقف العام وناظر دير أبينا القديس الأنبا انطونيوس العامر . آدام الله حياتهم سنين عديدة وأزمنة سالمة مديدة . ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن والى الآبد آمين .

+

القمص لوقا الأنطونى

٣٠ يناير ١٩٨٦م — **عيد نياحة القديس العظيم**

٢٢ طوبة ١٧٠٢ ش — **الأنبا انطونيوس كوكب البرية**

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم الجزء الرابع
فى طبعته الأولى

لصاحب النيافة الحبر الجليل **الأنبا متاؤس** الأسقف العام .

سبق للأب الموقر الراهب **القمص لوقا الأنطونى** أن أصدر الجزء الأول من موسوعته القيمة أيام الجمع والآحاد لفترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة فلاق إقبالاً عظيماً ونفذ بسرعة فائقة .

ثم تلاه الجزءان الثانى والثالث يتضمنان عظات قداسات الآحاد لباق السنة القبطية .

والآن يصدر جنابه الجزء الرابع من هذه الموسوعة ويتضمن عظات على أناجيل عشيات الآحاد لهذه الفترة الروحانية الهامة من السنة وهى فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة .

لقد استفدت شخصياً من قراءتى لهذا الكتاب إذ فيه الكثير من المعلومات القيمة والعظات العميقة التى تمس أوتار النفس فتهزها هزاً ، فهو يحدثنا عن التوبة ونقاوة القلب والباب الضيق والمجىء الثانى للمسيح ووجوب السهر والاستعداد وهو يدعونا إلى التعمق فى حياتنا الروحية وفى علاقتنا مع المسيح مخلصنا كما يدعونا إلى حياة الشكر كل حين على كل شىء وعلى كل حال وإلى محبة الله وتسليمه القلب تسليماً كاملاً شاملاً ، كذلك يدعونا أن نسير فى الطريق مع المسيح حتى النهاية بأمانة وإخلاص وصبر واحتمال حتى ننال الحياة الأبدية التى إليها دعينا .

أرجو من الله أن يبارك هذا المجهود ليكون سبب بركة لكل من يقرأه وأن يعوض الكاتب كل خير وبركة .

أتمنى من كل قلبى أن تجد صلاة رفع بخور عشية فى كنائسنا الإهتمام اللائق بها وأن تلقى فيها عظات تعليمية مشبعة حتى يشعر الشعب بمنفعتها فيواظب على حضورها وينال بركتها .

بشفاعة **أمنا القديسة الطاهرة مريم** وصلوات أبينا المكرم البابا المعظم **الأنبا شنوده** الثالث آمين .

٤ يناير ١٩٨٨	**تذكار نياحة القديس**
٢٥ كيهك ١٧٠٤ ش	**الأنبا يحنس كاما القس**

+

الأنبا متاؤس
الأسقف العام

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الجزء الرابع
فى طبعته الأولى

لقد دفعنى إلى جمع هذا الكتاب ـــ فوق كل شيء ـــ محبة عظيمة لكنيستى القبطية الأرثوذكسية وخدامها المباركين .

يقول معلمنا بولس الرسول لسان العطر ، لتلميذه تيموثيئوس : « أنا أناشدك إذاً الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته ، اكرز بالكلمة . اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب . وبخ . انتهر . عظ بكل أناة وتعليم . لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح ، بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات وأما أنت فاصحُ فى كل شيء . احتمل المشقات . اعمل عمل المبشر . تمم خدمتك » (٢تى ٤ : ١ـــ٥) .

لقد وضعت الجزء الرابع من موسوعة المواعظ الإلهية بين يدى القارىء العزيز فى هذه الأيام المباركة لأن فيها تمتلىء الكنائس بالمصلين صباحاً ومساءً وفيها يُقدم الكثيرون على التوبة وممارسة سر الاعتراف والتقدم للأسرار الإلهية . فيها إنسكاب قوة الرب ونصرته على الشيطان فى البرية كى يتآزر بها كل مؤمن ويتسلح بهذه الغلبة فى الجهاد الروحى .

والآن لا يحتاج جيلنا أكثر من العودة إلى روح الكنيسة الأصلية وإلى ممارسة الطريق الروحانى الذى رسمه آباؤنا القديسون الملهمون بالروح القدس . ولتكن فترة الصوم الأربعينى فترة تجديد روحى يحقق فيها الرب قوله : « الآن أقوم أصنع الخلاص علانية » (مز١٢ : ٥) .

أقدم الشكر من أعماق قلبى لأبينا المحبوب صاحب النيافة الحبر الجليل **الأنبا متاؤس** الأسقف العام لمراجعة وتقديم الكتاب ، وأيضاً للسيد الفاضل الشماس **الدكتور توماس بطرس** أخصائى طب وجراحة العيون بالقاهرة لمراجعة الكتاب لغوياً .

الرب يعوضهما أجراً صالحاً سمائياً فى ملكوت السموات .

ليكن هذا الكتاب ذبيحة مقبولة مقدمة لعريس الكنيسة وفاديها مخلصنا الصالح **يسوع المسيح** .

بشفاعة سيدتنا كلنا والدة الإله **العذراء القديسة مريم** ، وأبينا القديس العظيم **الأنبا أنطونيوس** أبى جميع الرهبان وبصلوات أبينا المكرم قداسة **البابا شنودة الثالث** ، وشريكه فى الخدمة الرسولية صاحب النيافة الحبر الجليل **الأنبا متاؤس** الأسقف العام .

ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

القمص لوقا الأنطونى
تذكار استشهاد
القديس لوقا الإنجيلى

أول نوفمبر ١٩٨٧م
٢٢ بابة ١٧٠٤ ش

عظة إنجيل عشية أحد الرفاع

اغفر لنا ... كما نغفر

« ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكى يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم » (مر١١: ٢٥) .

مغفرتك للآخرين شرط أساسى لنيلك المغفرة .

إننا نطلب من الله المغفرة . والله من جانبه مستعد أن يغفر . ولكن المهم : هل نحن مستعدون من جانبنا لقبول هذه المغفرة ؟ هناك شروط : فما هى ؟

نقول فى الصلاة « اغفر لنا .. كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » . إذن مغفرتنا للآخرين شرط أو هى اتفاق بيننا وبين الله . ونلاحظ أن الله اهتم بهذا الشرط جداً . فهذه الطلبة هى الوحيدة من بين الطلبات السبع فى الصلاة الربانية التى علق عليها الوحى الإلهى . وتكلم الرب عنها بعد أن علمنا إياها .. ففى الإنجيل لمعلمنا متى البشير ، يقول الرب بعد هذه الصلاة مباشرة : « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (مت٦: ١٤، ١٥) .

ويوضح هذا فى الإنجيل لمعلمنا مرقس الرسول ، فيقول : « ومتى وقفتم تصلون ، فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء ، لكى يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم . وإن لم تغفروا أنتم ، لا يغفر أبوكم الذى فى السموات أيضاً زلاتكم » (مر١١: ٢٥، ٢٦) .

ونفس المعنى أيضاً يتكرر فى الإنجيل لمعلمنا لوقا الرسول ، فيقول الرب : « اغفروا يغفر لكم » . لماذا ؟ يقول « لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (لو٦: ٣٧، ٣٨) .

إذن إن أردنا أن يغفر الرب لنا ، علينا أن نغفر نحن أيضاً لمن أذنب إلينا مهما كانت إساءاته ، ومهما كثرت حتى إلى سبع مرات سبعين مرة فى اليوم ، كما أجاب الرب

تلميذه بطرس الرسول . وإن لم نغفر فإننا نغلق باب المغفرة أمام أنفسنا ونكون نحن الخاسرين .. من تلقاء نفسك اغفر ، وبالأكثر إن أتاك المذنب إليك معتذراً ، لا تحقق معه ، وإنما اغفر له .

تذكر كيف أن السيد المسيح وهو على الصليب غفر لصالبيه ، وقدم عنهم للآب عذراً ، فقال : « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لو٢٣:٣٤) .

وتذكر أن القديس إستفانوس ، أول الشمامسة والشهداء ، فيما كان اليهود يرجمونه ظلماً ، صلى من أجلهم قائلاً : « يارب ، لا تقم لهم هذه الخطية » (أع٧:٦٠) .

تنازل عن حقك تجاه الناس ، لكى يتنازل الرب عن حقوقه من جهتك ، ولكى تكون لك دالة فى الصلاة حينما تقول : « كما نغفر نحن أيضاً » . وكذلك لكى تكون بهذا الأسلوب الروحى صورة من أبيك السماوى ، وابناً حقيقياً مشابهاً لأبيه فى مغفرته ، حسبما يبلغ مستواك ... أما إن كنت لا تستطيع أن تغفر ، فماذا تفعل ؟ اعتبر هذه الطلبة عظة لك وصلِ من أجل تحقيقها . اعتبر أن صوت الله يناديك وأنت تصلى ويقول لك : « اغفر لأخيك لكى اغفر لك أنا أيضاً » وفى صلاتك قل من أعماقك : اعطنى يارب أن اغفر . امنحنى الحب الذى أنسى به أخطاء غيرى . وعلى أيه الحالات تكون وصية المغفرة ماثلة أمام عينيك .

وهنا نسأل :

ما علاقة طلبة المغفرة بطلبة الخبز السابقة لها ؟ إن كنا نطلب الخبز السماوى ، أى سر الإفخارستيا اللازم لحياتنا الأبدية ، فإننا ما أن نطلبه حتى نذكر أننا محتاجون للمغفرة لكى نتناول باستحقاق لذلك نقول : اغفر لنا . ثم أننا نتذكر أننا يجب أن « نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة ، لكى ننال بغير وقوع فى دينونة ، من هذه الموهبة السماوية . لهذا نقول : كما نغفر نحن أيضاً . إذن يلزم لنا أن نغفر لغيرنا ، وأن يغفر الرب لنا ، لكى نستحق أن نتناول من الأسرار الإلهية .

وإن كنا فى طلبة الخبز نطلب كل الأغذية الروحية اللازمة لنمونا الروحى ولحياة الأبد ، فإننا نقول للرب : هذا عن المستقبل الذى نريده معك . أما من جهة الماضى فاغفر لنا . أو نقول فى اعتذار : على الرغم من كل ما تعطينا من غذاء روحى مازلنا يارب نخطىء ، فاغفر لنا .. على أن عبارة « اغفر لنا » لكى يحققها الرب ، لابد لها من شروط . وفى مقدمة تلك الشروط التوبة ، وقد بين الرب أهميتها بقوله : « إن

لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو١٣:٥) .

الله مستعد أن يغفر ، ولكنه لا يغفر لغير التائبين . إذن التوبة شرط . فإن كانت التوبة هى بداية حياة جديدة مع الله ، فكيف نجمع بين الله والخطية ؟ والكتاب المقدس يقول « لا شركة بين النور والظلمة » (٢كو٦:١٤) التوبة هى مصالحة مع الله . وهذه المصالحة لازمة للمغفرة . وليست التوبة هى مجرد ترك الخطية بالفعل ، ولا مجرد تركها تغصباً بالفكر وإنما كما يقول القديسون : كما التوبة هى كراهية الخطية .

إن وصل الإنسان إلى حالة كراهية الخطية ، فحينئذ « لا يستطيع أن يخطىء » ولا تكون الخطية موافقة لطبيعته فى حالة التوبة . ولكن قد يقول إنسان أنه تائب ، بينما تدل أفعاله على غير ذلك لهذا فإن الكتاب يقول : « اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة » (مت ٣:٨) فإن قلت فى صلاتك « اغفر لنا » فسل نفسك فى الداخل : هل أنا تائب ؟ هل أنا اصنع ثماراً تليق بالتوبة ؟ هل هذه الثمار ظاهرة فى حياتى وفى سلوكى وتصرفاتى وفى صلحى العملى مع الله ؟ أم أنا أطلب المغفرة بدون هذا كله ؟

كأنك إذن حينما تصلى وتقول « اغفر لنا » إنما تقول ضمنا : اقبل يارب توبتى ، أو امنحنى يارب نعمة بها أتوب ، أو « توبنى يارب فأتوب » . وما علامة هذه التوبة فى حياتك ؟ أول علامة هى : أن تعترف بأنك خاطىء . ويقول الرسول فى ذلك : « إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا » (١يو١:٨ ، ٩) .

إن الخطية التى تعترف بها هى التى تطلب عنها مغفرة . أما المواقف التى ترى نفسك فيها غير مخطىء ، أو أن غيرك هو المخطىء ، فهذه لا تدخل فى ذهنك ولا فى قلبك أثناء قولك « اغفر لنا » .

إن اعترفت بمرضك فإنك تطلب من الطبيب السماوى أن يمنحك شفاء وعلاجاً . أما إن قلت إنك غير مريض فإن « الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى » (لو ٥:٣٢) . والرب يقول : « لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (لو ٥:١٣) . والذى يعترف بينه وبين نفسه أنه خاطىء ومخطىء يستطيع أن يعترف أيضاً على الأب الكاهن وأيضاً على الآب السماوى .

فى عبارة « اغفر لنا » تذكر جميع خطاياك ، واعترف بها أمام الله ، ثم اعترف بها أمام وكيله على الأرض (تى١:٧) ليمنحك حلاً ، وتأخذ من الدم الكريم لتمحى به خطاياك ...

ومن ثمار التوبة أيضاً فى حياتك : الانسحاق والندم على الخطية .. إنهما ليسا ثمناً للخطية ، إنما علامة على التوبة التى هى شرط للمغفرة . والمغفرة تتم بالكفارة العظمى ، بالدم الطاهر الكريم . ولكن هذا الدم لا يستحق نيل الفداء به إلا المؤمنون التائبون .

بالإيمان وبالتوبة وبالاعتراف تتقدم قائلاً (اغفر لنا) .. وحاذر من أن تطلب المغفرة لغيرك دون أن تطلب المغفرة لنفسك ، كما فعل أيوب الصديق الذى كان يقدم محرقات عن بنيه فقط قائلاً : « ربما أخطأ بنى إلى الله » (أى١:٥) دون أن يقدم محرقات عن نفسه .

واعرف أن المغفرة ، حتى بعد أن تتم ، لا تمنع الانسحاق والندم والشعور بعدم الاستحقاق . فداود النبى بلل فراشه بدموعه ، وعاش فى حياة التوبة والبكاء والاعتراف بخطيته ، بعد أن غفرها الرب له .

وبولس الرسول ، بعد أن نال المغفرة وبعد أن ارتفع درجات فى حياة الروح ، ظل يقول : « أنا الذى لست مستحقاً أن أدعى رسولاً ، لأنى اضطهدت كنيسة الله » (١كو١٥:٩) . « أنا الذى كنت من قبل مفترياً » (١تى١:١٣) ولم يقل إن ذلك كله فعله شاول الطرسوسى ، وشاول قد مات مع المسيح والموجود الآن هو بولس الذى ارتفع إلى السماء الثالثة .. كلا ، بل قال : « أنا الذى لست مستحقاً أن أدعى رسولاً » .

هل القديسون — كالخطاة — يقولون معهم (اغفر لنا) ...

نعم . الكل يقول هذه الطلبة .. وأول من قالها رسل المسيح . القديسون ، والقديس كلما يتأمل الكمال المطلوب منه ، وصورة الله التى ينبغى أن تكون له ، يشعر فى أعماقه أنه خاطىء عن إيمان واقتناع ..

حتى إن فعل القديسون كل ما أمرهم به الرب يقولون « إننا عبيد بطالون » (لو١٧:١٠) .

إذن فلنطلب كل حين أن يغفر الرب لنا ، ليس الماضى فقط ، وإنما خطايا الحاضر أيضاً ... فنحن فى كل حين نخطىء ، وليست الخطية مجرد ماضٍ تركناه ...

إن إشعياء النبى لما رأى عرش الله ، وحوله السيرافيم يسبحون ، قال : « ويلٌ لى ، إنى هلكت ، لأنى إنسان نجس الشفتين » (إش ٦:٥) .

فماذا ترانا نقول نحن ؟ نقول « اغفر لنا » ...

ولربنا وإلهنا المجد دائماً أبدياً آمين .

الصوم

ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين (مت ٦ : ١٦)

ان من أهم أوامر الديانة المسيحية ثلاثة أمور : الصوم . والصلاة . والصدقة . وبدون هذا الارتباط الثلاثى تكون العبادة ناقصة ولا تأثير لها بالمرة. لأنه بالصوم نقفل باب الشهوات . وتنتصر الروح على الجسد . وبالصلاة نفتح باب السموات ونرتقى فى النعمة الى القداسة الكاملة . وبالصدقة نحيا الى الأبد ونخلد ونرحم .

ولذلك نرى أن السيد المسيح له المجد عالم بعلاقة هذه الأمور بعضها ببعض كعلاقة الحياة والجسد والعقل بعضها ببعض وضعها فى مستوى واحد وأصحاح واحد بحيث ان من يهدم أحد الأركان الثلاثة هدم العبادة كلها .

ولذلك لم نرى صلاة مستجابة الا اذا كان للصيام فيها المقام الأول . والصدقة النصيب الأوفر . حتى قال أحد القديسين : صلاة بلا صوم وصدقة لا تتعدى فم صاحبها . ولذا يا أحبائى نتعلم أشياء ثمينة جداً عن موضوعنا فى هذا الصباح المبارك وبنعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن :

أولا : اذا سألنا سائل وقال لماذا تصومون ؟

فيكون جوابنا على ذلك . ان الشهوات متى حبلت ولدت الخطية والخطية تلد الموت . وهذا الذى كان فان أبونا آدم . أوصاه الله قائلا : « من جميع شجر الجنة تأكل أما من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنه يوم تأكل منها موتاً تموت » (تك ٢ : ١٦ — ١٧) . ولكن الشيطان الخبيث دخل فى الحية فدخلت الى أمنا حواء وأغوتها بحسن لسانها على الأكل منها . فيقول الكتاب المقدس : فرأت الشجرة جيدة للأكل . والذى أبان الشجرة جيدة للأكل انما هى الشهوة « فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها معها فأكل » (تك ٣ : ٦) ولذلك صارا تحت سلطان الموت فكانت الشهوة أول خصم . ولذلك لما شاء سيدنا له المجد أن يعلمنا طريق الله قطع قبل كل شيء رأس الخصم الأول الذى ابعدنا عن طريق الله (أى الشهوة) لأنه بعد العماد « صام أربعين يوماً وأربعين ليلة » (مت ٤ : ٢) وحينئذ أخذ يعلم الشعب بهذه الطريقة العملية وجوب الصيام .

ولكن الشيطان عدو الخير لم يزل ينفث سمومه فى البعض فيريهم جمال الأطعمة وحسن لذتها فيأخذون من ثمرتها ويأكلون بل يغوون الآخرين على المخالفة بقولهم « ليس ملكوت الله اكلا وشربا » وتصبير ألسنتهم كالسيوف الحادة يقصفون بها أوصال المتدينين ويقولون كما قال الشيطان أبوهم اذا أكلتما منها تنفتح أعينكما وتصيران عارفان الخير والشر وهذا ما يقوله البعض أن أجسادهم تنمو وصحتهم تتحسن . مالكم ومال الصيام . مع أنه بسبب انحلال الصيام . « صار العالم كله تحت دينونة الله الصارمة » وأما انتم يا أبناء الله فلا تصغوا لهذه الأقوال المفرحة فى شكلها ولكن فسادها ظاهر وبين واعلموا أن اللذات ليست مولد فقط للموت الروحى بل والجسدى أيضاً وصدق من قال : من كان شرهاً أكولا فهو يحفر القبر باسنانه ولا تنسوا يا أحبائى أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان واذكروا أن آدم وحواء لم يطردا من الفردوس الا من جراء الأكل . والشعب لما شره فى أكل اللحوم الكثيرة التى أمطرها الله عليهم اغاظوا الله جداً حتى ان الله ضربهم بموت الفجأة وربما كان أكثر الموت الفجائى فى هذه الأيام ناشئاً عن أكل اللحوم الكثيرة لأن الكتاب يخبرنا ان الأعمار لم تقصر الا بعد الطوفان حينما عرف الناس أكل اللحوم وهذا هو عين تعليل رجال الطب فى كل العصور لأن تركيب الانسان يدل على أنه مخلوق داجن وليس حيواناً وحشياً .

ولننظر ماذا يقول الكتاب المقدس : « وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً فدعى اسم ذلك الموضع قبور الشهوة لأنهم هناك دفنوا الذين اشتهوا » (عدد ١١ : ٣٣ ، ٣٤) وان عيسو لما استولى عليه الشره ، باع بكوريته بأكلة عدس ولذلك فى وقت اعطاء البركة منع منها (تك ٢٧ : ٣٥) وان أولاد عالى الكاهن لأنهم كانوا يشتهون لحم القدس ويأكلونه ماتوا جميعاً فى يوم واحد (١صم ٤ : ١١) . ولكن لننظر ماذا يقول الكتاب المقدس عن الفتية الثلاثة لما فطموا شهوتهم عن أكل أطايب أطعمة الملك وخمر مشروبه فقد ظهروا أسمن لحماً من كافة الفتيان الآكلين ونالوا معرفة وعقلا ولدانيال أعطى تفسير الرؤيا والاحلام (دا ١ : ١٥) ولم تكتب هذه الحادثة الا لترينا ان الصائمين يحسنون ويسمنون والشباعى يقبحون ويهزلون ولذلك السيد له المجد يغبط الجياع ويقول : « طوبى للجياع والعطاش الى البر فانهم يشبعون » (مت ٥ : ٦) ويقول فى لوقا الانجيلى « طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون » (لو ٦ : ٢١) موسى بالصوم استنار حتى أنه رأى الله الذى لا يرى وسمع كلام فمه وقبل منه الناموس والالواح (خر ٢٠ : ٢٠ ، ٢٤ : ١٢) .

بالصوم أهل نينوى نجوا من حكم الله وانقذوا مدينتهم من الانقلاب الذى كان مقرراً لها من قبله (يو ٣ : ٧) .

يهوشافاط لما جاء اليه المؤابيون والعمونيون والاراميون وجعل وجهه ليطلب الرب نادى بالصوم فى كل يهوذا (٢أى ٢٠ : ١ — ٣) ويوئيل النبى لما جاءت فى أيامه ضربة الجراد الثقيلة أمر الشعب بالصوم كما يقول بالتكرار « قدسوا صوماً » (يؤ ١ : ١٤) دانيال لما وجه قلبه للتضرع عن شعبه كان صائماً (دا ٩ : ٣) . استير ومردخاى لما دبر هامان أمر هلاك أمتهما وحظيا بانفاذ الأمر من لدن الملك حولوا الهلاك عن امتهم بالصوم وأحاقوه بأعدائهم (اس ٤ : ١٦) . حنة النبية لتعبدها للإله باصوام وطلبات استحقت الذكر الصالح ومعرفة السيد المسيح والتبشير به كيوحنا (لو ٢ : ٣٦) . والسيد له المجد لما ابتدأ بكرازته ابتدأ بالصوم لكى يرينا أننا لا ننتصر الا بالصوم . والرسل بالصوم قبلوا موهبة الروح القدس المعزى (اع ٢ : ٣) . وأن الرسل صاموا بعد صعود السيد لأنه قال : « ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون فى تلك الأيام » (لو ٥ : ٣٥) .

الأنبياء والمعلمين الذين كانوا مجتمعين بكنيسة انطاكية بالصوم كانوا يخدمون الرب وبه أعلن لهم الروح القدس عن افراز برنابا وبولس للكرازة « بالصوم والصلاة وضعوا عليهم الأيادى (أع ١٣ : ٣) بولس بالجوع والعطش كما يفتخر (٢كو ١١ : ٢٧) . وقد كان يوصى قائلا : لا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات لأن الجسد متى امتلأ من الشبع تعب فى القيام بخدمة الله ولذلك الرسول بولس يقول : « لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة » (رو ٨ : ٦) ولا يخفى ان الاهتمام بالجسد انما هو اعطاؤه جميل المأكولات والملذات . وما أحسن قول بولس الرسول « نظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات فى ضربات فى سجون فى اضطرابات فى اتعاب فى أسهار فى أصوام » (٢كو ٦ : ٤ ، ٥) ويقول أيضاً « ان كان أخوك بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة لا تهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح لأجله فلا يفترى على صلاحكم لأن ملكوت الله ليس أكلا وشرباً بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس (رو ١٤ : ١٥ — ١٨) ومما يظهر ضرورة الصيام قوله لأهل فيلبى : « لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن اذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك الذين الههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم الذين يفتكرون فى الأرضيات » (فى ٣ : ١٨ ، ١٩) . ويقول عن المرأة المتنعمة فقد ماتت وهى حية (١تى ٥ : ٦) وبطرس الرسول يقول : « أيها الأحباء اطلب اليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١بط ٢ : ١١) ولكنه لم يقل ان تمتنعوا عن الصيام .

ثانياً ــ الصوم معناه الامتناع عن الأكل بتاتا وحسب الاصطلاح فهو الامتناع عن الآتى :

١ ــ الامتناع عن الأكل مدة من الزمان حسب تقرير الكنيسة وهذه المدة من انتصاف الليل الى خروج الكنيسة . على أنها فى أغلب الاحيان تخرج عند الظهر وبعض الأحيان الى الساعة التاسعة (الساعة الثالثة بعد الظهر) وعلى ذلك ينفى قول الذين يعتقدون أن الصيام عندنا هو عبارة عن أكل وشرب من أول النهار . وهذا هو المقرر فى قوانين الكنيسة المقدسة . وقد أخذ هذا الترتيب الالهى من كتاب الله نفسه اذ يقول الكتاب المقدس عن بطرس الرسول : أنه كان يصوم الى الساعة السادسة من النهار (أع ١٠ : ٩)

وكرنيليوس الرجل التقى الخائف الله الذى قبلت صلواته وصدقاته وأصوامه كان يصوم الى الساعة التاسعة (أع ١٠ : ١ ــ ٤) وكفى بذلك شاهداً قويا على صحة ترتيب الكنيسة الأرذثوكسية وموافقته لكلمة الله

٢ ــ ان الصوم لا يقوم فقط عن الأكل والشرب بل الامتناع عن الشر وشبه الشر وليس كما يدعى البعض علينا ان الصوم عندنا هو مجرد أكل البقول . بل هو الامتناع عن كافة الشر اذ نقول فى كتب الترانيم المقدسة « ان الصوم ليس معناه الجوع » مستندين فى ذلك على قول أشعياء النبى اذ يقول : « أليس هذا صوماً اختاره حل قيود الشر فك عقد النير واطلاق المسجونيين احراراً وقطع كل نير أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين الى بيتك . اذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك » (اش ٥٨ : ٦ ــ ٧) . هذا هو الواجب الذى فرضه الله على المؤمنين أثناء صومهم وهو ما تتبعه كنيستنا المقدسة بالحرف الواحد .

٣ ــ أيضاً يقوم بالامتناع عن جميع اللذات حتى المحللة منها كالتأنق فى الطعام . كما ترى ذلك فى الثلاثة فتية الذين اقتصروا على أكل القطانى . لأن الصيام هو عبارة عن كبح شهوات النفس وكيف يتأتى ذلك لمن يعطيها كل ما تشتهيه وتريده ويؤيد ذلك بولس الرسول بقوله : « أقمع جسدى واستعبده » (١كو ٩ : ٢٧) . الامتناع عن الزينة اذ جاء فى قوانين ابن العسال ولا يتزين فى تلك الأيام والنساء لا يضعن حليهن لأن الزينة طبعاً تدل على السرور والصيام يدل على الحزن . وهكذا عكس ذلك .

ثالثا ــ الا تعرفون أن كنيستنا الطاهرة المقدسة تعلمنا أن كل الأطعمة محللة ولا يوجد شيء منها نجس أو دنس :

ولكن تأمرنا بالامتناع عن بعض الأطعمة فى الصيام ليس بنوع التحريم بل بنوع الامتناع على سبيل الرياضة الروحية وقمع الجسد وتذليل شهواته . وامتناعها عن الأطعمة الدسمة أثناء الصوم ولا يستدل منها على أنها تحرمها ولولا ذلك ما كانت تحللها فى أيام غير الأصوام لأن معنى حرام أن الشيء المحرم يكون محرماً دوماً لا أياماً دون أيام كما نعلم من الكتاب المقدس ونحن لا نستند فى ذلك على أقوالنا البشرية بل على كتاب الله نفسه انظروا ان الله لما أراد ان بنى اسرائيل يحزنون على خطاياهم ويتذللون أمامه أمر النبى حزقيال أن يأكل متذللا : « قمحاً وشعيراً وفولا وعدساً ودخناً وكرسنة (أى كمون) » (حز ٤ : ٩) ولم يطلق له حرية المأكولات بل خصصه وفرزه له لكى نعلم أن أيام الحزن والتذلل والصوم يجب أن تكون مأكولاتها غير دسمة . وليس ذلك فقط بل نحن نصوم على مثال دانيال النبى اذ يقول : « كنت أبكى ثلاثة أسابيع أيام لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام » (دا ١٠ : ١ ــ ٣) وليس ذلك فقط بل نحن نصوم على مثال داوذ النبى الذى كان يصوم بعض ساعات من النهار وفى خلالها يأكل الأشياء الخالية من الدسم والقوة اذ يقول : « ركبتاى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن » (مز ١٠٩ : ٢٤) .

وعلى ذلك فكنيستنا كونها تأمرنا بأن نصوم عن اللحوم مدة من الزمان أمر كتابى محض كما أن أكل البقول فيها ليس بدعة كما يدعى علينا البعض .

رابعاً : ينقسم الصوم الى نوعين :

١ ــ الصوم الخاص

وحكمه حكم الصلاة الانفرادية . فكما أن الصلاة الانفرادية لا يعلم بها أحد خلاف الله كذلك الصوم الخاص لا يعلم به إلا الله كما يقول السيد له المجد : « وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك وأغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى يرى فى الخفاء فابوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ١٧ ــ ١٨)

٢ ــ الصيام العام :

وهو ما يشترك فيه جميع أفراد الشعب . والذى يقرره انما هى الكنيسة المقدسة . وحكمه حكم الصلاة الجمهورية والصدقات الجمهورية . فاذا جاز للكنيسة أن تسن

صلوات جمهورية جاز لها بموجب السلطان الرسولى المعطى لها من الله أن تسن صيامات عامة . وعلى ذلك فقول الذين يقولون أن الصيام لا يجوز لأحد أن يعلم به أبداً انما هو ينطبق فقط على الصيام الخاص لا العام والا لقلنا لهم لماذا تصلون فى كنائسكم صلوات جمهورية عامة معروفة من كل أحد .

فاذا قالوا لنا هذا ما تبيحه كلمة الله . نقول لهم ولماذا اذاً لا تعترفون بصيام عام . ومن المعلوم أن ما جاز على الصلاة يجوز على الصيام . وعلى ذلك نقول أن وضع الكنيسة للصيام كان بإرادة الله وارشاد الروح القدس حيث يقول على فم زكريا النبى : « ان صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر ليكون لبيت يهوذا ابتهاجاً وفرحاً وأعياداً طيبة » (زك ٨ : ١٩) وكما يقول بفم أشعياء النبى : « أما أنا فهذا عهدى معهم قال الرب . روحى الذى عليك وكلامى الذى وضعته فى فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن والى الأبد » (أش ٢٩ : ٢١) فبقوله بنيك أشار الى الرسل وبقوله بنى بنيك أشار الى خلفائهم وبهذا الكلام دل دلالة واضحة على أن معلمى الكنيسة الملهمين بنعمة الروح القدس خلفاء آبائنا الرسل يكون فيهم روح الرسل كما يقول السيد المسيح بفمه الطاهر : « ها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) . ومن ثم ان جميع الصيامات التى تسلمتها الكنيسة ما هى الا مسلمة من الرسل الأطهار والآباء الأبرار .

خامساً : الغرض من الصيام :

١ ــ كبح الشهوات النفسية

من المعلوم ان الانسان تحاربه قوات ثلاثة ــ الجسد . والخطية . والشيطان . وكلهم يعملون على اسقاطه وموته . ولا يوجد للانسان سلاح يدافع به عن نفسه الا الصوم والصلاة ولذلك يقول الكتاب المقدس : « اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجارب » (مت ٢٦ : ٤١) ولما سئل السيد عن اخراج الشياطين قال : « ان هذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة » (مر ٩ : ٢٩) . وعلى ذلك كان الصيام من أهم الأمور المضعفة لشهوة الجسد والمطاردة للشياطين والقاتلة للخطية .

٢ ــ الشعور بالاحتياج للغير :

قال يوحنا فم الذهب فى احدى مقالاته ان الصيام فضلا عن أنه يقربنا من الله ويجعلنا فى حضرته الإلهية هو أيضا يشعرنا باحتياج الآخرين لأن الإحسان انما هو بقدر شعور الانسان بألم الغير . وأى ألم أعظم من ألم الجوع والفقر .

٣ ـــ يجعلنا أن نتمتع بحضرة الرب :

فان موسى لما صام رأى الله . واستنار وجهه حتى صار كالشمس اللامعة .
وبطرس لما صام سمع صوت رب السماء .
وإيليا لما صام قرب من حضرة العلى .
وكثيرين نالوا رضا الله وقربه بواسطة الصلاة والصوم

سادساً ـــ البعض ربما يجهلون أو يتجاهلون عمداً ويقولون هل أنتم تصومون للقديسين ؟

والحقيقة التى نحن نعتقدها من الصغير الى الكبير هى أننا لا نصوم إلا لله . ولكن ربما البعض استنتج هذا من تسميتنا بعض الصيامات باسماء أشخاص معينة . كقولنا صيام الرسل فما ذلك الا لأن الرسل صاموا هذا الصيام كما يعلمنا تاريخ الكنيسة المقدسة هى أن الصوم غير جائز إلا لله وحده . ومن الصالح ان نقتدى بالرسل فى مثل هذا العمل الحسن لأنه يقول الرسول بولس : « حسنة هى الغيرة فى الحسنى » (غل ٤ : ١٨) . وقد دعونا ذلك الصوم باسم الرسل من باب تسمية الشيء باسم واضعه كما دعيت التوراة الإلهية الربانية باسم موسى فى قوله : « اذكروا شريعة موسى عبدى » (ملا ٤ : ٤) . وكما فى قوله : « وتسبحة موسى وتسبحة الخروف » (رؤ ١٥ : ٣) فأصوامنا اذا جميعها عائدة لله دون غيره . هذا وأنى أرجو من الله أن يجعل أصوامنا مقبولة أمامه .

نسأل الله أن يجعل هذا الصوم المقدس فرصة للرجوع إليه بكل القلب وتغيير الحياة بتواضع وانسحاق مقدمين صوماً مقبولا رافعين أيدى طاهرة بلا جدال ولا رياء . فيتراءف الله علينا ويرحمنا ويرفع غضبه عنا ويعيد علينا وعلى كنيسته وشعبه هذه الأيام المباركة فى هدوء وسلام وحياة روحية قوية وتقدم ونهوض .

له المجد فى كنيسته من الآن والى الأبد آمين ؟

عظة إنجيل قداس الجمعة الأولى من الصوم الكبير

الصلاة

يارب علمنا أن نصلى (لو ١١ : ١) .

الصلاة هى مخاطبة النفس لباريها عز وجل ، ورفع القلب الى الله وسكب النفس أمامه . وتقديم ذبيحة التسبيح الشفاهية لجلاله الأقدس . فهى هبة كريمة اعطيت للانسان للتواجد مع الله ، وفيها يتم التنازل الحقيقى من الله للوجود مع الانسان بسبب حب الآب لابنه يسوع المسيح ، الذى يكون حاضراً معنا بمقتضى اتضاعه حسب وعده وإن الروح القدس مهّد لهذا اللقاء الروحى غير المنظور .

أقوال آباء الكنيسة فى تعريف الصلاة :

+ **يقول القديس يوحنا الدرجي** : الصلاة من حيث طبيعتها : هى حديث الانسان واتحاده مع الله ، ومن حيث مفعوليتها : هى سند وعضد العالم ، مصالحة مع الله ، أم وبنت الدموع ، كفارة لخطايانا ، قنطرة لعبور التجارب ، مبطلة للخصام ، عمل الملائكة ، استنارة العقل ، هى غنى الرهبان ، علامة المجد ، الصلاة لمن يصلى بالروح والحق ، تكون له بمثابة محكمة وقيام فى قفص الاتهام واجتياز المحاكمة أمام الله قبل الدينونة العتيدة .

+ **ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم :**

الصلاة سلاح عظيم وكنز لا يفرغ ، غنى لا يسقط أبداً ، ميناء هادىء . الصلاة هى مصدر واساس لبركات لا تحصى .

+ **ويقول القديس باسيليوس الكبير :**

الصلاة هى التعلق بالله فى جميع لحظات الحياة ، ومواقفها ، فتصبح الحياة صلاة واحدة بلا انقطاع ولا اضطراب .

+ **ويقول القديس أوغسطينوس :**

صلاة البار مفتاح السماء وبقوتها يستطيع ان يملك كل شىء ، هى حمى نفوسنا وهى السلم التى نصعد بها الى الله .

أنواع الصلاة :

١ ــ صلاة فردية :

وهى أن يختلى الانسان بربه الذى خلقه فى داخل مخدعه ويغلق باب العالم ويصلى الى الله . ويتصل بفاديه يسوع المسيح ويتحدث مع أعز صديق يحبه ، يعرض له حالته الداخلية والخارجية لأنه خير طبيب يستطيع أن يشفيه ويكمل ما نقص فيه ويطمئن النفس المضطربة ويهبه حياة جديدة هادئة مستقرة .

أهميتها : أنها تتيح للمصلى فرصة أكبر للتعمق فى الشركة مع الله والاختلاء به . إذ ينقطع كل اتصال بينه وبين العالم الخارجى ولا يستطيع أى مؤثر أن يقطع عليه حبل اتصاله بخالقه .

٢ ــ الصلاة العائلية :

وهى ان يجتمع أفراد الأسرة الواحدة ويصلون الى الله فى الصباح قبل ان يتوجهوا الى أعمالهم ليطلبوا من رب السماء أن يهبهم بركة لقضاء يومهم بسلام ويجتمعون قبل النوم يشكرون خالقهم الذى حفظهم طوال يومهم .

وأهميتها : أنها تضفى على المنزل وكل ما فيه جواً من المحبة والتعاون والسلام تسير معه أمور العائلة فى سهولة ويسر . وانها هى المدرسة التى يتلقى فيها الأبناء تعاليم الدين السليم .

٣ ــ الصلاة الجماهيرية :

وهى التى تؤدى فى الكنائس فى أيام الآحاد والجمع والأعياد والايام الأخرى التى تقام فيها القداسات الإلهية .

وأهميتها : أنها تؤدى فى الأماكن التى كرسها الله للعبادة وعن طريق كهنة الرب وخدام المذبح ، الذين يرفعون هذه الصلاة إلى الله الذى يتنازل ويتقبلها .

صلوات الكتاب المقدس :

١ ــ صلاة التسبيح . ٢ ــ صلاة الاعتراف . ٣ ــ صلاة الشكر .

٤ ــ صلاة التقديس . ٥ ــ صلاة الشكر .

أوقات الصلاة :

إن آباء الكنيسة الأقدمين قرروا أن تكون الصلاة سبع مرات فى اليوم

١ ــ صلاة الساعة الأولى وتسمى صلاة باكر : رتبتها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية لتذكرنا بقيامة فادينا يسوع المسيح باكراً جداً

٢ ــ صلاة الساعة الثالثة : رتبتها الكنيسة لتذكار الحكم على المخلص يسوع المسيح بالصلب وتذكار حلول الروح القدس على التلاميذ .

٣ ــ صلاة الساعة السادسة : رتبتها الكنيسة لتذكار آلام السيد المسيح لأنه فى مثل هذه الساعة صلب .

٤ ــ صلاة الساعة التاسعة : لأن السيد المسيح فى مثل هذه الساعة اسلم الروح .

٥ ــ صلاة الساعة الحادية عشر وتسمى صلاة الغروب : رتبت فى هذا الوقت لنشكر الله عز وجل على ما أنعم به علينا فى حفظه ايانا فى سائر نهارنا ومباركته أعمالنا . ونسأله أن يحرسنا من طوارىء الليل ومكايد الشيطان . وتذكار انزال جسد السيد المسيح من على الصليب وتكفينه بحنوط من مر وصبر ولفه بلفائف كتان مع الأطياب .

٦ ــ صلاة الثانية عشر وتسمى صلاة النوم : رتبت قبل الإستراحة بالنوم لنشكر الله الذى جاز النهار بسلام وأتى بالليل للسكون والراحة . وهكذا ينام الانسان مستودعاً نفسه وجسده وروحه لله ليحفظه من كل شر ليلى . ذاكراً الله فى قلبه فى لحظات انتباهه . راجياً وعده . خائفاً وعيده . ثابتاً فى وصاياه . ذاكراً على الدوام أحكامه العادلة عارفاً أنه حاضر فى كل مكان . عالم بكل شيء كما قال النبى : « اذكرك على فراشى وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك » (مز ٦٣ : ٦) . وتذكاراً لوضع السيد المسيح فى القبر .

٧ ــ صلاة نصف الليل : وفيها يكون الهدوء من قلق العالم . وقد رتبت فى هذا الوقت كقول المرتل « فى نصف الليل أقوم لأشكرك على أحكام برك » (مز ١١٩ : ٦٢) . وأيضاً كقول سيدنا فى مثل العذارى « فى نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل . أخرجن للقائه » (مت ٢٥ : ٦) . وفى آخر هذا المثل يأمرنا ويحذرنا قائلا : « فاسهروا اذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الانسان (مت ٢٥ : ١٣) .

+ صلاة الستار : وهى خاصة بالرهبان .

أما كون الصلاة سبع صلوات فذلك :

١ ــ لأن مواهب الروح القدس سبع .

٢ ــ لأن السبعة عدد كامل .

٣ ــ اقتداء بقول داود النبى « سبع مرات فى النهار سبحتك على أعمال برك »

لماذا نصلى :

١ ــ لأن الصلاة هى احدى أركان الديانة المسيحية الثلاثة (الصوم والصلاة والصدقة) .

٢ ــ لأن الصلاة هى الطعام الأساسى والغذاء الرئيسى لأرواحنا .

٣ ــ لأن الصلاة هى الشيء الطبيعى الذى يتفق وعلاقتنا بالله علاقة الشركة ، علاقة الاتحاد ، علاقة المحبة ، وعلاقة البنوة .

٤ ــ لأننا بحاجة الى قوة فوق الطبيعة تفوق قوتنا المحدودة ، لكى تعيننا على مواجهة مشاكل الحياة ونحن باتحادنا مع الله فى الصلاة نستمد منه القوة الغالبة .

أهمية الصلاة :

الصلاة هى العلامة المميزة للحياة الجديدة . وهى كدقات القلب وحركة التنفس للحياة الجسدية وقد قال أحد القديسين : أنه كما فى التنفس اخرج مع زفيرى سموما ، يتخلص منها الجسد ، وادخل مع شهيقى هواء منعشاً لحياتى ، هكذا بالصلاة والاعتراف القى كل اثقالى عند قدمى الله واستنشق عبير الله وحياة المسيح .

إن شاول عندما كان يضطهد الكنيسة والمسيحية وظهر له النور فى الطريق ، واقتيد وهو لا يدرى الى الزقاق الذى يقال عنه المستقيم كان يصلى كما قال الوحى الإلهى : « اطلب رجلا طرسوسيا اسمه شاول لأنه هوذا يصلى ولقد كانت الصلاة هى العلامة الأولى لحياة شاول الجديدة الذى صار فيما بعد بولس الرسول والقديس العظيم وفيلسوف المسيحية » .

إن الصلاة هى مظهر الحياة والذين يعترضون عليها أن الله يعلم طلباتنا قبل أن نطلبها يجب أن يعلموا إن الصلاة ليست مجرد طلبات ولكنها أكثر من ذلك صلة وتعبير عن الحياة ، التى تحب الله ، وانها إعلان عن أشواق القلب .

فنحن نصلى لا لأجل بركات الله وحدها ولكن لأجل الله نفسه لقد أحصيت صلوات الكتاب المقدس فوجدت أنها ٦٦٧ صلاة فيها حوالى ٨٠٪ استجيبت ، وهذه بركة عظيمة . إذ وأنت مؤمن بالله تستطيع أن تحصل على استجابة ثمانية من عشرة تطلبها وليس هذا فقط بل أن الـ ٢٠٪ الباقية قد استجيبت ولكن بطريقة أخرى ترضى الله ومثال ذلك الشوكة التى أعطيت لبولس الرسول فى الجسد يقول عنها أنه سأل من أجلها ثلاث مرات ولكن استجابة الله أنه قال لبولس الرسول « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » . (٢كو ١٢ : ٩) وطلبة أخرى طلبها سمعان عندما قال « أخرج يارب من سفينتى لأنى رجل خاطيء » فكانت استجابة يسوع « من الآن تكون صياداً تصطاد الناس » .

شروط الصلاة :

١ ــ يجب أن توجه الصلاة الى الله .

٢ ــ أن تكون باسم السيد يسوع المسيح ومن أجل يسوع المسيح .

٣ ــ أن تكون صادرة من قلب خال من الخطية .

٤ ــ أن تكون صلاة الايمان التائب .

٥ ــ أن تكون روحية الهية .

٦ ــ أن تكون مقرونة ومشفوعة بالخضوع والخشوع والتواضع .

٧ ــ أن تكون بلجاجة ، أى نداوم على الصلاة ولا نمل .

٨ ــ أن تكون بحسب مشيئة الله لاننا إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا .

٩ ــ أن تكون من القلب لا من الشفتين ، ومثال ذلك صلاة حنة أم صموئيل النبى فإنها صلت بقلبها وبدموعها ، ولم تنطق بكلمة واحدة ، فأستجابت لها السماء ووهبتها صموئيل النبى .

١٠ ــ يجب ان تبدأ الصلاة باسم الآب والابن والروح القدس لأنه هو وحده الذى له العبادة .

ماذا نربح بالصلاة :

١ ــ نربح العشرة السرية مع يسوع المسيح .

٢ ــ نربح التعزية والقوة .

٣ ــ نربح النجاة من المخاوف والضيقات .

قوة الصلاة :

الصلاة قوة تفوق كل قوة فإليك أيها المسيحى بعض الأمثلة من الكتاب المقدس .

+ صلى يعقوب : فباركه الرب فتغيرت نقمة عيسو الى صفح .

+ صلى موسى : فهزم عماليق .

+ صلى يشوع : فوقفت الشمس وتمت النصرة .

+ صلى إيليا : فنزل المطر .

+ صلى أليشع : فانغلق الأردن وقام الغلام الميت .

+ صلى اشعيا : فمات ٨٥٠٠ أشورى .

+ صلى دانيال : فمنعت الأسود المفترسة من افتراسه وهو فى جب الأسود

+ صلى الثلاثة فتية : فأحالت لهيب النار المتقدة الى نسيم عليل ، وهم فى آتون النار المحمى سبعة أضعاف .

+ استطاعت الصلاة أن تفتح الأبواب المغلقة ، وتحطم الاغلال الحديدية ، كما حدث مع بطرس وهو ملقى فى سجنه المظلم تحوطه الحراس .

إن الصلاة تستطيع أيضا أن تفعل المعجزات فهى استطاعت أن تنقل الجبال الرواسى كما فعل الانبا ابرآم بن زرعة بجبل المقطم .

بركات الصلاة :

الصلاة هى التى تخضع إرادتنا لإرادة الله : عندئذ نؤمن باستجابتها ، لأنه إن طلبنا شيئا يسمع لنا كما يقول فى معلمنا متى البشير : « اسألوا تعطوا . أطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم » (مت ٧ : ٧) وفى معلمنا لوقا البشير أيضا : « صلوا لئلا تدخلوا فى تجربة » (لو ٢٢ : ٤٠) وكثيرون يعترضون بقولهم (لماذا نصلى وفكر الله لابد أن يتم ؟ وللاجابة على هذا تجد السعادة الكاملة فى كل ما يرتبه الله لنا) . إذا فرض وتحطمت سفينة فى البحر ، وكنت من بين ركابها فألقى أحدهم لك بطوق النجاة . هل تحزن لأن الشاطىء لم ينتقل إليك ، أم تفرح لأنك استطعت أن تنجو ؟؟ .. هكذا يلقى الله لنا فى الصلاة بحبل النجاة لتجذبنا إليه لنفرح بخلاصنا كما يقول داود النبى : « نجنى باسمك يا إلهى . الرب نورى وخلاصى . ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن والى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من الصوم الكبير

يامرائى

« يامرائى ، أخرج أولاً الخشبة من عينك . وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » (مت٧:٥)

ما أمر وقع هذه التسمية على النفس إذا انتبهت ، والضمير إذا صحا ، والقلب إذا استيقظ ! إنها توبيخ صارم ، ولكنها حقيقة لمظهر البعض واقعة ، ولا مفر لهم من عقاب يتناسب ورياءهم ، وجزاء يتوافق ونفاقهم (مت٢٣) . ليس أبغض إلى قلب السيد المسيح ، له المجد ، ممن يرائى فى عبادته وينافق فى حياة الروح . إنه الوثنى فى مظهر المسيحى العابد ، أو الممثل للمسيحية على خشبة مسرح وهو لا يعلم من المسيحية شيئاً .

ثوب الرياء يشف عما تحته ∴ فإذا اكتسيت به فإنك عار

يا مرائى !! أيها القبر المبيض من خارج والظاهر فى جمال خادع ، نسيت أنك مملوء من داخل إثماً ومشحون رياء ، وقد لا يدوم جمالك الخادع طويلاً حتى تتكشف الحقيقة ، فتفوح من الداخل رائحة تزكم الأنوف وتؤذى النفوس — رائحة الإثم المغطى بثوب الرياء ، والنجاسة المستترة وراء مسوح المظاهر فى العبادة الكاذبة الخادعة !!

يامرائى !! أطلت صلواتك ، وأكثرت تضرعاتك ، وقرعت صدرك كالنادمين التائبين وأرسلت أصوات الحمد مسبحاً مع المسبحين وتقدمت للأسرار المقدسة تغتذى منها ، وقد ظننت أنك أهل لها ، وتعاميت عما في داخلك من رياء ونفاق ، وأنت إن أطلت صلواتك فلعلة فى النفس وغرض فى القلب — والغرض يعمى ويصم . علتك كسب ثقة الأرامل ، وغرضك استدراج البسطاء إلى شبكة ريائك حتى ، إذا وثقوا بخداعك المتقن وتزويرك العجيب وظنوا أنهم أمنوا جانبك بلا خوف أو حذر ، تقدموا إليك فى أمن . فإذا أنت بعد قليل الأسد الذى يهشم عظام فريسته والذئب الذى ينهش لحم الأرملة واليتيم بلا خوف من عقاب ولا خشية من يوم للحساب .

يامرائى !! سلبت إلهك حقه وظننت أنك تعشر نعناعك وشبثك وكمونك ، وبهذا تكون قد قدمت ما يجب أن تقدمه ، وأرضيت ضميرك الذى أحب التزييف وقلبك

الذى عشق الرياء ، وتناسيت عمداً ناموس الحق والعدل والرحمة . فليتك لم تعشر مالاً ولم تنذر نذراً ولم تقدم عطاء ولم تحتفل بعيد ملاك أو قديس وعرفت فقط الحق والرحمة والإيمان .

يامرائى !! جمعت المال وحشدت الدرهم والدينار ، أقله من حلال وأكثره من حرام ، وظهرت بين الناس تعف عن الذرة وأنت تبتلع الدرة وتصفى عن البعوضة وأنت تبلع الجمل . طعامك ممزوج بالاغتصاب والسحق ، وثيابك نسيجها من حرام وخيوطها من ظلم ممدود ، سوف تتمزق عنك عن قريب فتظهر فى ريائك خازياً ، ومما جمعت خاوياً ، ومما أكلت فارغ البطن جائع القلب ليتك طهرت ما بداخل الكأس والصفحة ، فاستمددته من حلال شهى ورزق كريم لتغنى منه بالقليل فى بركة القدير عن ذلك الكثير الذى اختطفته اختطافاً وابتززته من الكثيرين ابتزازاً .

يا مرائى !! لقد عرفنا المسيح ، له المجد ، رحيب القلب محباً للجميع ، ولكننا عرفناه قاسياً على المرائين يصب ويلاته عليهم ويستنزل اللعنات ، فهلا خشيت أن تلحقك ويلات سادتك الكتبة والفريسيين وتتمتع بنصيب مما أخترته السماء لهم من لعنات ؟

يا مرائى !! قسوت على الناس وحكمت على غيرك ، وكان أولى بك أن تدين نفسك فتطهرها من ريائها ونفاقها . وما أشد ظلام الجهل الذى يكتنفك وأنت تفتح عينيك على عيوب الناس — ولو كانت هينة — وتغمضها عن عيوبك — ولو كانت كبيرة — تنتقد الآخرين وتدينهم وتحكم عليهم لترضى شهوة غرورك وتستكمل رياءك ونفاقك ، إذ يحسبونك الطاهر القديس البعيد عن الدنس والرجس . كان أولى بك أن تستمع إلى قول السيد موبخاً لك « يا مرائى ، أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » .

يامرائى !! زين لك الرياء أن تمتنع عن القسم ، وحاججت الناس قائلاً « ليكن كلامكم نعم نعم » حتى إذا جد الجد ولمع بريق المال أمام عينيك لم تتورع أن تحلف باسم الرب ونسيت تعليمك الذى علمته للناس مما خدعتهم به ، إذ ظنوك حافظاً عاملاً بكل تعاليم المسيح ، ونسيت الوصية الثالثة وأن الله لا يبرىء من نطق باسمه باطلاً . وهكذا نرى إن أى إنسان ، لا يراعى الله فى علاقته بالآخرين ولا يكون أميناً فى الوكالة التى أسندت إليه ، فيروح يستخدم أسلحة المكر والخداع ، لابد أن ينتهى مصيره كما ينتهى مصير كل من يبيع نفسه للشيطان من المرائين المنافقين أمثال أفراد أسرة هيرودس الشريرة ، وبخاصة هيرودس أنتيباس الثعلب الجبان .

وقديماً قالوا « لا يحيق المكر السيء إلا بأهله » . وقالوا أيضاً « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » . وبديهى أن الماكر وحافر الحفرة كلاهما ممن يعملون فى الظلام ، وبالتالى فهما من المرائين المنافقين ، الذين ينطبق عليهم قول الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة .·. ويروغ منك كما يروغ الثعلب .

والواقع إن كل منافق مخادع ، مهما علا مركزه الاجتماعى هو إنسان ضعيف ، باع نفسه للشيطان ، ثم راح يحاول التعويض عن ضعفه باستخدام أسلحة عدو الخير ، أعنى أسلحة الخديعة والمكر والإيقاع بالشرفاء الأمناء

يقول سليمان الحكيم عن كل منافق لئيم : « الرجل اللئيم ينبش الشر على شفتيه كالنار المتقدة . رجل الأكاذيب يطلق الخصومة ، والنمام يفرق الأصدقاء . الرجل المنافق يغوى صاحبه ويسوقه إلى طريق الهلاك » (أم١٦ : ٢٧ـ٢٩) .

وأخيراً ماذا نقول لكل من يرائى فى عبادته وينافق فى مظهر الروح ؟ لنقل لهم « طهروا قلوبكم ياذوى الرأيين » « اعزلوا شر أفعالكم » أترضون أن تقفوا فى يوم الدين وقد تمزق عنكم ثوب الرياء فكشف خبائث نفوسكم الشريرة وفضح أعمالكم المستورة ؟

ربنا انضح علينا بالزوفا فنطهر من ريائنا واغسلنا من نفاقنا فنبيض أكثر من الثلج .

لك القدرة والمجد إلى أبد الدهور . آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد الأول من الصوم الكبير

الصدقة

لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض ... بل أكنزوا لكم كنوزا فى السماء

(مت ٦ : ١٩ ، ٢٠)

الكنز كلمة لها لحنها الشجى ورنينها القوى فى آذان الكثيرين ويسوع المسيح لا يمنعنا عن الكنز بل يحثنا أن نكنز فيقول « اكنزوا لكم كنوزا فى السماء (مت : ٦ : ٢٠) .

يميل بعض الناس الى تكثير الأموال وتضخيم الثروة وكلما زادت ثرواتهم وكثرت أموالهم ازدادوا شوقا فى زيادتها أكثر فصاحب المئات يريد أن يكون عنده آلاف وصاحب الآلاف يريد أن يكون من أصحاب الملايين ولن تشبع العين حتى تمتلىء بالتراب . « العين لا تشبع من النظر » (جا ١ : ٨) وقد قيل إثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال .

قيل أن رجلا وجد فاكهة فى غير أوانها ففكر بأن يقدمها هدية لملك البلاد ولما رأى الملك اخلاص الرجل أراد أن يكافأه على اخلاصه فقال له أن يطلب منه طلباً واحداً ... فقال الرجل أريد أن يأمر مولاى . بأن أعطى وزن هذه الجمجمة ذهباً ، وكانت جمجمة إنسان توفى من مدة طويلة ، وضعوا الجمجمة وكانت خفيفة الوزن . فى كفة ووضعوا فى الكفة الأخرى . ذهبا ودهشوا عندما رأوا أن كفة الجمجمة ترجح كلما وضعوا أمامها ذهباً . ولما عرضوا أمر هذه الجمجمة على الملك سأل الرجل ما سر هذه الجمجمة التى وزنها بأضعاف أضعاف حجمها ودائما ترجح كفتها . فقال عفواً أيها الملك . ضعوا الجمجمة فى كفة وضعوا فى الكفة الأخرى قليلا من التراب فعملوا بمشورته فما كان أشد دهشتهم عندما رأوا كفة الجمجمة ترتفع إلى فوق أمام كمية صغيرة من التراب . فسأل الملك الرجل عن هذا السر فقال يا مولاى . إن العين لا يملأها إلا تراب الأرض . « كانت الفضة فى أيام سليمان الحكيم كالحجارة فى أورشليم » (٢أى ٩ : ٢٧) . ومع ذلك تطلع سليمان الى هذه الكنوز التى على وجه الأرض وقال « باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح » (جا ١ : ٢) . إن يسوع يحثنا على أن نكنز .. ولكن لا نكنز على الأرض حيث يفسد سوس وصدأ وينقب السارقون ويسرقون . إن كنوزنا العالمية كثيراً ما تكون سبب شقائنا وعلة بلوانا وقديما قال سليمان الحكيم : « لا تتعب لكى تصير غنياً » (أم ٢٣ : ٤) أما بولس الرسول فكان أكثر صراحة إذ قال : « فإن كان لنا قوت وكسوة

فلنكتف بهما وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك . لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان . وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١تى ٦ : ٨ ــ ١٠) . ويعقوب الرسول يبين مصير الذين يكنزون الأموال بقوله : « هلمَّ أيها الأغنياء أبكوا مولولين على شقاوتكم القادمة ، غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلها العث . ذهبكم وفضتكم قد صدئا وصدهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار . قد كنزتم فى الأيام الأخيرة (يع ٥ : ١ ــ ٣) .

ومضى السيد المسيح له المجد بقوله : بل أكنزوا لكم كنوزاً فى السماء . وذلك بالتصدق على الفقراء وإسعاف المساكين . ووصيته فيما بعد للشاب الغنى تؤيد ذلك إذ قال له : « إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ٢١) . إن السيد المسيح فى مثل السامرى الصالح يعلمنا أن الرحمة واجبة حتى للعدو . فالسامرى عطف على عدوه اليهودى فرثى له فى محنته وأركبه على دابته وضمد جروحه وظل ينفق عليه حتى شفى من علته . وقد أمرنا الوحى : « إن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فاسقه فإنك إن فعلت ذلك تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠) إن الرب يوصى بهؤلاء البائسين : الفقراء معكم كل حين ــ ولنا فى مثل الغنى واليعازر خير درس عن الجشعين الانانيين الذين يشبعون وغيرهم يموت جوعا ويلبسون وغيرهم يعيش عريانا . وهب أنك ملكت الملايين وربحت العالم كله ولكنك فقير فيما لله فما ربحك ؟ « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) .

إذن فمحبة الناس إنما هى قياس محبتنا لله ، فمهما صلينا لا السبع الصلوات فقط فى اليوم بل سبعة فى سبعين ، ولو صمنا لا السبعة الأصوام فقط فى السنة ، بل السنة كلها بما فيها من أيام وساعات ، لو فعلنا هذا وأهملنا ركن الصدقة على الفقراء والمساكين ، لصارت صلواتنا وأصوامنا كلها كصنج يرن أو نحاس يطن بلا فائدة . إننا بالصلاة نعبد الله بأرواحنا ، وبالصوم نعبد الله بأجسادنا ، ولكننا بالصدقة نعبد الله بأموالنا . وهذا النوع الأخير من العبادة هو المحك الذى به يختبر مدى علاقتنا بالله . ولذلك رأى رجال الله القديسون . أن يفردوا لهذا الركن فصلا خاصا . فاختاروا الأحد الأول من هذا الصوم المقدس ليكرسوه للكلام عن الرحمة . لنظل الصوم كله بل العمر كله نذكر كلام الرب يسوع عن العطاء . واليوم لنا بعض التأملات فى هذا الركن الهام من أركان العبادة .

١ ــ الصدقة ضريبة لا إحسان :

إن مفهوم الصدقة فى المسيحية هو أنها ليست إحساناً على الفقراء بل أنها ضريبة على الأغنياء ، وقد أشار القديس بولس الرسول الى هذا المفهوم فقال : « وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس ، عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب يسوع المسيح (كو ٣ : ٢٣ ــ ٢٤) .

ويعلل السيد المسيح هذه النظرية ، بأن الصدقة لا تنفع الفقراء فحسب بل تنفع المتصدقين بها أيضاً إذ يقول للشاب الغنى : « إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ٢١) . ولأن الصدقة ضريبة فعلى المؤمن أن ينظم عطاءها بالحكمة المعطاة له من الروح القدس . إن البخل على الفقراء كثيراً ما يحرمنا نعما عديدة ، لماذا رفض الشاب الغنى الحياة الأبدية رغم أنه كان متدينا على حد شهادته عن نفسه هذه حفظتها منذ حداثتى ــ لماذا ؟ لأنه كان ذا أموال كثيرة ورأى المسيح مزمعاً أن يجرده منها ويوزعها على الفقراء ، لقد حزن متردداً بين ميراث ملكوت السموات ، وميراث الأرض . من هنا كان علينا أن نتعلم هذا الدرس . الصدقة ضريبة علينا واجب مقدس .

٢ ــ الصدقة أخوة واشتراكية :

إن مفهوم الصدقة فى المسيحية أيضاً أنها : أخاء ، وشركة ، ومحبة ، وعلى هذا الأساس نعطى إخوتنا الفقراء ، وقديما قال رسول الجهاد : « إن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليست لى محبة فلا انتفع شيئاً » (١كو ١٣ : ٣) . إن مسيحيتنا أيها الأحباء عرفت الاشتراكية قبل أن يعرفها العالم بأجيال ، فمنذ ألفى عام كانت الكنيسة الأولى تنادى وتعلم بهذا المبدأ العظيم . اقرأ سفر الأعمال تقف على هذه الحقيقة تماماً يقول : « وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول إن شيئا من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركا .. إذ لم يكن فيهم أحد محتاجا لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج » (أع ٤ : ٣٢ ــ ٣٥) . والجميل أن السيد المسيح لم يكن هو أول من علم بالاشتراكية بل كان هو ذاته أول من عمل بها فى حياته فهو أغنى الأغنياء ومع ذلك نراه يتنازل عن غناه ويصبح أفقر الفقراء . وفى هذا يقول الرسول : « الذى افتقر من أجلكم وهو الغنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢كو ٨ : ٩) .

٣ ــ الصدقة بسرور :

إن شعب كنائس مكدونية يشهد عنهم بولس الرسول بأنهم أعطوا ومن تلقاء أنفسهم وهذا أجمل أنواع العطاء . إذ قال أنهم « أعطوا من تلقاء أنفسهم ملتمسين منا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التى للقديسين » (٢كو ٨ : ٤) . ولذلك نسمع الوحى يقول : « المعطى المسرور يحبه الله » (٢كو ٩ : ٧) .

قيل عن غنى تبرع ببناء كنيسة فى قرية لم يستطع سكانها ان يقوموا ببنائها ، لقد تبرع بمبلغ كبير لإقامة تلك الكنيسة . وحدث بعد سنوات أن أصيب المتبرع بخسائر جسيمة فى ثروته ، فهمس فى أذنه أحدهم ممن أعميت المادة بصائرهم وقال له لو أنك أبقيت على الآلاف التى أنفقتها على الكنيسة أما كنت أنقذت نفسك من الإفلاس ؟ قال له الرجل إعلم يا سيدى ان هذا المال هو الثروة الوحيدة التى انقذتها من الضياع ، ولو أنى لم أكن أنفقتها على الكنيسة لكانت ذهبت مع باقى ما ذهب من ثروتى ، أما هذا المبلغ فهو سر عزائى ، وهو التى أتقاضى عنها ربحاً لا ينقرض حتى آخر نسمة من حياتى كلما أرى آلاف النفوس تخلص بسبب هذه الكنيسة .

ليست العبرة كم نعطى ، بل كيف نعطى ، نريد أن تكون عطايانا بسرور .

٤ ــ حصانة لثرواتنا :

عن طريق إعطائنا العشور للرب يحفظ الرب ثروتنا ، وفى هذا يقول واضحاً صريحا : « هاتوا جميع العشور الى الخزنة وجربونى .. إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع ، وانتهر من أجلكم الآكل فلا يفسد لكم ثمر الأرض ولا يعقر لكم الكرم فى الحقل قال رب الجنود » (ملا ٣ : ١٠ ، ١١) .

٥ ــ نجاة لحياتنا :

يوصى طوبيت ابنه طوبيا يقول : « تصدق من مالك ولا تحول وجهك عن الفقير فيكون أن الله لا يصرف وجهه عنك ، ... لأن الصدقات تنجى من الخطية والموت ... الخ (طو ٤ : ٧ ــ ١١) . ويؤكد هذه الحقيقة داود النبى فيقول : « طوبى لمن يتعطف على المسكين والفقير فى يوم الشر ينجيه الرب » (مز ٤١ : ١) .

وتاريخ المسيحية القديم والحديث مشحون بالأمثلة الناطقة المؤكدة هذه الحقيقة ، فالقديس العظيم الأنبا أنطونيوس ، باع أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء والمعدمين وبهذا ضرب لنا مثلا عالياً فى الاشتراكية والاهتمام بالآخرين . توما الرسول الذى أخذ مال المُلك ووزعه

على الفقراء ، القديس الأنبا ابرآم أسقف الفيوم والجيزة رجل العطاء . المعلم ابراهيم الجوهرى وصدقاته . الأنبا صرابمون أسقف المنوفية الشهير بأبى طرحة رجل الإحسان فى الخفاء كل أولئك أدلة قاطعة على مكافأة العطاء والصدقة .

٦ ــ غفران لخطايانا :

أنها أيضاً وسيلة من وسائل غفران خطايانا . يقول يشوع بن سيراخ : « كما أن الماء تطفىء النار كذلك الصدقة تخمد الذنوب » (سير ٣ : ٣٣) . وقال رافائيل الملاك لطوبيا : « الصلاة جيدة مع الصوم والصدقة لأن الصدقة تنجى من الموت وتطهر من الذنوب » (طو ١٢ : ٨ ــ ٩) . وقال سليمان الحكيم : « بالرحمة والحق يُستر الإثم وفى مخافة الرب الحيدان عن الشر » (أم ١٦ : ٦) .

ويتوج هذه الأقوال جميعها قول السيد المسيح فى عظة الجبل « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » (مت ٥ : ٧) . وقال أيضا : « أعطوا ما عندكم صدقة وهوذا كل شىء يكون نقيا لكم » (لو ١١ : ٤١) .

تلك أيها الأحباء بركات الصدقة . فسبيلنا أن نكرس ما عندنا ، من مال ووقت ، وجاه ونفوذ ، وأولاد ومواهب من أجل ذاك الذى مات عنا وبذل كل شىء فى سبيلنا .

اللهم يا من أعطيتنا ذاتك ، ووهبتنا حياتك ، واشتريتنا بدمك اللهم أعطنا أن نبادلك حباً بحب ، وعطاء بعطاء ، وأن نحب أخوتك الأصاغر ونعمل من أجل اسعادهم ونبذل من أجل راحتهم . ولنذكر فى هذا الصوم أجدادنا الأقباط وسخاءهم فى هذه الأيام المباركة ليبرهنواعملياً أن ما سمعوه عن الكنز السماوى فى أول أسبوع الصوم الكبير تمموه بأفعال الرحمة والله وحده يحث قلوبنا ويملأها بالعطف على إخوتنا المساكين . وله المجد دائما .

اجتناب دينونة الآخرين

لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك . وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها (لو ٦ : ٤١) .

إن فى داخلنا ميلا خفياً كامناً يتطلع دائماً إلى الوقوف على نقائص الآخرين ودينونتهم ، وهذه السجية تتولد من الكبرياء وحب الذات . فأمت هذا الميل من داخلك ، ولا تدعه يحيا فيك ويبحث عن نقائص الناس وزلاتهم ويدينهم . قال القديس يوحنا كليماكوس : من البغضة والحقد معاً تتولد الوقيعة والدينونة . والوقيعة حب كاذب لأنها تتولد من البغضة . فإن كنت تحب أخاك فصل من أجله سراً ولا تقع فيه . قل فى قلبك أنا أسقط فى أكثر من هذا فكيف أدين على هذا وهكذا تنجو أنت وتنفع أخاك . الشياطين يحثوننا لكى نخطىء ، فان لم نطعهم حثونا على أن ندين من يخطىء . الحكيم يتأمل فضائل غيره ليقتنيها لنفسه ، والجاهل يتأمل رذائل غيره ويدينه عليها .

قال القديس دوروثيئوس : النميمة تصدر من ذاك الذى يخبر بما فعله أخوه من خطايا شخصية فيقول عنه انه قد فعل كذا وكذا وأما الدينونة فبأن يخبر بما لأخيه من خلق ردىء ، فيقول أنه سارق ، أو كذاب ، أو ما شابه ذلك ، فيحكم عليه بالاستمرار فيها وعدم الاقلاع عنها . وهذا النوع من الدينونة صعب جداً ، ولذلك شبه ربنا خطية الدينونة بالخشبة ، والخطية المدانة بالقذى . من أجل ذلك قبل توبة زكا العشار ، وصفح عما فعله من آثام ، وشجب الفريسى لكونه دان غيره ، مع ما له من صدقة وصوم وصلاة وشكر لله على ذلك . فالحكم على خليقة الله يليق بالله لا بنا ، فدينونة كل واحد وتزكيته هى من قبل الله وحده ، لأنه هو وحده العارف بسر كل انسان وعلانيته ، وله وحده اصدار الحكم فى كل أمر وعلى كل شخص ، إذ يتفق أن يعمل انسان عملا بسذاجة وبقصد يرضى الله ، وتظن أنت غير ذلك ، وان كان قد أخطأ فمن أين تعلم ان كان قد تاب وغفر الله له ، أو ان كان الله قد دانه فى العالم ازاء ذنوبه ؟ فالذى يريد الخلاص اذن ، ليس له أن يتأمل غير نقائص نفسه ، ذلك الذى رأى أخاه قد أخطأ فبكى وقال : اليوم أخطأ هذا الأخ وغدا أخطىء أنا ، وربما يفسح الرب لهذا فيتوب ، وقد لا يفسح لى أنا . فبالحقيقة ويل لمن يدين أخاه فأنه سيهلك نفسه بكونه صار ديانا ، ولكونه يؤذى الذين يسمعونه ، وعنه يقول النبى : ويل للذى يسقى أخاه كأسا عكرة ، وكذلك : ويل للذى من قبله تأتى

الشكوك . لا تدينوا لكى لا تدانوا ، ألا يجمع هذا التعليم كل هذه الحقائق الأساسية الثابتة . فدينونة الغير أول ما تدل على وجود بذور شر فى القلب ، وإلا فما الذى يدعو الانسان لأن يرمى أخاه بنقيصة من النقائص . أليس هو البغض ، أو ما يتصل به من حسد أو أنانية أو سوء ظن . أكنا نسمع بهذه النقيصة حتى ولو كانت حقيقة . لو أن فى قلب هذا الانسان وداً لأخيه ؟ طبعاً لا . فاذا رأينا انساناً يدين أخاه ، فلنكن على يقين من أن الشعور الذى يدفعه لذلك هو شعور كراهية ، أو على الأقل شعور حسد تثيره الأنانية والغرور . وقد يكون حكمه عليه لسوء ظن تصوره الكراهية أو الحسد حقيقة ، لذلك كثيراً ما تكون هذه الدينونة غير عادلة . وقد يشترك هو معه فى نقيصته التى يدينه عليها . ولكن الأنانية أو البغضة تعمى القلوب فلا ترى غير نقيصة صاحبها فتدينها ، وهى فى ذلك تدين نفسها معه إذ تحكم عليها بما تحكم به على صاحبها ، بل هى مدانة أمام السماء بأضعاف ما دانت به صاحبها ، إذ جمعت فى صدرها الى نقيصتها هذه من الخطايا ما يفيض به صدرها : فمن بغضة الى حسد الى رغبة فى إساءة وحب نفس ، الى غرور وسوء ظن ، وهى خطايا لا يمكن ان تسكن فى قلب آوت اليه المحبة ، « لأن المحبة لا تحسد .. لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها .. ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق » (١كو ١٣ : ٤ — ٦) .

نحن كمسيحيين يجب أن لا ندين أحدا لأننا : لسنا كاملين . ولأن الادانة خاصة بالله وحده . ولأننا لا نعرف نهاية سيرة هؤلاء الذين أخطأوا أمامنا . ولأن الله أوصانا بالمحبة فنقتدى به . كيف نتخلص من الادانة ؟ بالتماس العذر للآخرين وننظر الى الجانب الطيب فيهم ونذكر ستر الله لخطايانا .

ومما يروى على ألسنة الحيوانات أن أسداً مرض مرة ، فعادته جميع الوحوش ما عدا الثعلب . فاراد الذئب أن ينتهز هذه الفرصة للايقاع به ، فقال للأسد : أيها الملك ، لقد عادك جميع اتباعك للسؤال عن صحتك إلا الثعلب ، ألا ترى أن هذا الخائن يستحق العقاب ، جزاء له على ما فرط منه من التقصير والاهانة ، فنقل أرنب هذا الحديث الى الثعلب فاقتنص هذا أوزة وذهب بها الى الأسد ولما مثل بين يديه ووجده غاضبا قال له رحماك أيها الملك لقد كنت أبحث عن طبيب ماهر ، فوجدته حزينا لموت ابنه ووصف لى العلاج الشافى : ان تطعم لحم أوزة وتبقى مرارتها لتخلطها بدم ساق ذئب ثم تدهن بها . وهأنذا قد أحضرت الأوزة فآمن بكلامه والتهم الأوزة فى الحال وأبقى مرارتها . واذا بالذئب داخل عليه فنهش ساقه ، وأخذ من دمها وخلط به المرارة . فخرج الذئب يحجل بحزن وغم فمر به الثعلب وصاح : يا مقطوع الرجل : اذا حضرت مجالس الملوك فاكفف لسانك عن

القذف والدينونة فى أعراض رفقائك ، فانه هو الذى أوقعك فى هذا البلاء العظيم . فانظر كيف كانت عاقبة النميمة والدينونة فانها جالبة لصاحبها الشر وموقعة اياه فى أشد المهالك . يقول ابن سيراخ : « النمام ينجس نفسه ومعاشرته مكروهة (سير ٢١ : ٣١) .

يقول الكتاب : « رجل لسان لا يثبت فى الأرض » (مز ١٤٠ : ١١) ، « لأن اللئيم يتكلم بالكذب وقلبه يعمل اثما ليصنع نفاقا » (اش ٣٢ : ٦) . وينم الانسان لكى يسلب أخاه ثقة الناس واحترامهم ومحبتهم ، ويجعل ذاته أفضل منه فى أعينهم مع ان الكتاب ينصحنا بأن نكرم الجميع وأن نحب للناس ما نحب لأنفسنا إذ يقول : « مقدمين بعضكم بعضا فى الكرامة ، مهتمين بعضكم لبعض اهتماما واحداً » (رو ١٢ : ١٠ ، ١٦) .

يقول سليمان الحكيم : « الرجل اللئيم ينبش الشر وعلى شفتيه النار المتقدة » وقد تكون النميمة للايقاع بين الأصدقاء والتفرقة بين العائلات لفصم عرى المحبة وهدم روابط الصداقة والاخلاص ، مما يتنافى مع الروح المسيحية التى تفرض على المسيحى أن يعمل على نشر ألوية السلام وبث الصلح والوئام لا أن يكون رجل فتن . لذلك يحذرنا له المجد من دينونة الغير بقوله لئلا تدانوا . وهذه الخطايا إذ تطمس بصيرة صاحبها تفقده الاستنارة الروحية ، ومن ثمّ يعجز عن أن ينير الطريق لأخ ضعيف غلبته التجربة ، ولا يمكن لشخص يحتضن البغضة أو الحسد أن ينير الطريق لأخيه الذى يبغضه. لذلك ينادى المعلم الحكيم : « يا مرائى ، أخرج أولا الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » (لو ٦ : ٤٢) . ثم أليست دينونة الأخ لأخيه فوق ذلك تعدياً على حق الديان فى السماء . وهى تعدٍ لا يغتفره الله ولا يبرىء صاحبه . لقد رأينا المسيح وقد آخى البشرية وعاشرها ، لم يرضى وهو على الأرض أن يدين الخاطىء العاثر ، بل عمل على إقالته من عثرته وتخليص نفسه من الخطية ، وسمعناه يرد على الفريسيين بقوله : « أنتم حسب الجسد تدينون ، أما أنا فلست أدين أحداً . وسمعناه ثالثة ينادى الجموع : إن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه ، الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير . فالانسان يقع تحت الدينونة لأنه رفض الخلاص ، ومثله فى ذلك مثل الانسان الذى يموت جوعاً لأنه رفض الطعام . وسمعناه مرة أخرى ينتهر تلميذين من تلاميذه لأنهما طلبا مرة إهلاك قرية أساءت اليهم وهو يقول : « لستما تعلمان من أى روح أنتما ، لأن ابن الانسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥٥ — ٥٦) . مما يتفق غاية الاتفاق مع طبيعة المحبة التى فاض بها قلبه فاذا نبع دائم بها يأتى اليه العطاش فترتوى نفوسهم من مائه المحيى ، فاذا كان هذا شأن الديان الذى من حقه وحده أن يدين « لأن الآب لا يدين

أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (يو ٥ : ٢٢) « فمن أنت يا من تدين غيرك » (يع ٤ : ١٢) .

وما أجمل أن نستعيد لذاكرتنا هنا مسلك ذلك الفريق من الكتبة والفريسيين الذين فاضت بالقسوة قلوبهم ، وأعمى الرياء بصائرهم وامتلأت بالوقيعة والشر نفوسهم وهم يتقدمون إليه بامرأة خاطئة قائلين ان موسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجم فماذا تقول أنت ؟ هل يستطيع أحد أن يقول إنهم أتوا فى ذلك ذنباً أو اقترفوا جرماً ؟ بل ، ألا يتراءون للعالم فى ذلك أنهم حماة الناموس الساهرون عليه ، الغيورون على تنفيذ أحكامه ؟ نعم ، ولكن فاحص القلوب قد دان عملهم ، لأن قلوبهم كانت مكشوفة أمامه ، تعرض عليه من ألوان الخطايا مالا يذكر الى جانبها خطية هذه المرأة العاثرة ، وتزيد عليها بما تنفثه فى هذه الساعة من شر ورياء ومكر ، لذلك كشف لأبصارهم وبصائرهم عن أعمالهم المخزية المستترة وراء مظاهر خداعة . فى كلمات خطها على الأرض ، فثارت عليهم ضمائرهم تزجرهم وتبكتهم ، واذا هم يتسربون من أمام وجهه الواحد فى أثِر الآخر ، فلا يبقى أخيراً إلا يسوع والمرأة أمامه فيقول لها : « أين هم أولئك المشتكون عليك أما دانك أحد ؟ فتجيب المرأة لا أحد يا سيد ، فيقول لها : ولا أنا أدينك ، اذهبى ولا تخطىء أيضاً » (يو ٨ : ١٠ ـــ ١١) . ما أعظم محبتك يارب ، وما أعظم رحمتك بالانسانية العاثرة . وما أقسانا نحن البشر وأشدنا غروراً وأنانية ورياء . كيف يدين الخاطىء الغارق فى إثمه ودنسه ويقسو فى دينه . ويرحم الديان العادل المتعالى فى برّه وقداسته ، ويحنو فى رحمته « لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان ، كل من يدين ، لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك ، لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمر عينها » (رو ٢ : ١) .

« فمن أنت الذى تدين عبد غيرك ، هو لمولاه يثبت أو يسقط » (رو ١٤ : ٤) وأما أنت فلماذا تدين أخاك أو أنت أيضا لماذا تزدرى بأخيك ، لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسى المسيح فلا نحاكم أيضاً بعضنا ، بل بالحرى احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة » (رو ١٤ : ١٠ ـــ ١٣) . من أقامك دياناً وقاضياً حتى تعلو منبر القضاء وتحكم بالظلم والغدر والسوء على غيرك . فأكرر عليك القول ألا تختلس حقوق الله ، ولا تسرق دينونة القادر على كل شىء ، فهو المطلع وحده على القلوب والضمائر ، وكل شىء مكشوف وعريان أمامه .

إن الظنون الردية ودينونة الآخرين تنشأ من الكبرياء الأمر الذى بسببه يظن الانسان أنه شىء . أو أنه حاصل على ما لم يحصل عليه غيره من الفضائل والمواهب ولكنك لو اتضعت وعرفت حقارة ذاتك لأجتنبت الدينونة ولما تطلعت الى نقائص الغير . فراقب نفسك لئلا

يقال لك أيها الطبيب أشف نفسك . إن رأيت نقيصة فى قريبك فابحث ذاتك هل هى فيك أم لا ، فإن وجدتها كامنة فى شخصك فاجتهد أن تنتزعها ، وإن وجدت فضيلة فى آخر فاكتسبها منه إن كانت غير موجودة عندك ، لأن ذلك أليق وأفضل لك . « ومن يستر معصيته يطلب المحبة ومن يكرر أمراً يفرق بين الاصدقاء » (أم ١٧ : ٩) .

قال القديس دوروثيؤس : إن أصل الادانة هو عدم المحبة ، لأن المحبة تغطى كل عيب : أما القديسون فانهم لا يدينون الأخ ، لكنهم يتألمون معه كعضو منهم ، ويشفقون عليه ويعضدونه ويتحايلون فى سبيل خلاصه ، حتى ينشلونه كالصيادين الذين يرخون الحبل للسمكة قليلا حتى لا تخرق الشبكة وتضيع ، فاذا توقفت ثورة حركتها حينئذ يجرونها قليلا قليلا ، هكذا يفعل القديسون ، فانهم بطول الروح والمحبة يجتذبون الأخ الساقط حتى يقيموه . كما فعل الشيخ القديس مقاريوس الكبير . إذ جلس على الماجور الذى كانت تحته المرأة ، لكى لا يجدها أولئك الذين نموا على الأخ ... بشفقة ومحبة ، لا باستنقاص وتعيير .

لا تطمع أن يكون جميع الناس خالين من النقائص فلابد أن يظهر من العجز والضعف نقائص كثيرة يجب أن تحتملها ، وإن لم تحتملها فكيف يحتمل الناس نقائصك . هل تظن فى نفسك أنك خال من العيوب ، لا أحد بغير نقيصة ، ولا إنسان خاليا من عيب وما من أحد يحرز الكمال . بل كلنا فى حاجة لأن نحمل بعضنا بعضاً ، وينصح بعضنا بعضاً ، لأننا جميعاً مفتقرون الى المعونة والمساعدة والصفح والسماح والشفقة ، كلنا فى حاجة الى الرفق والتأنى والاحتمال والغفران . اعرف ذاتك وما فيها من النقص والضعف والوهن ، ولا تعكر صفوك من زلات صغيرة تجدها فى الغير . روض نفسك على ذلك ، وثبت علائق المودة بينك وبين اخوانك بذلك فإنك توصد دعائم الأمن والسلام . أيها المسيحى ان رأيت أخاك مذنبا أو مسيئا فبادر بوعظه ونصحه وارشاده اذا تيسر لك ذلك والا فلا تشهر بعيوبه ونقائصه ، بل اتركه لمن يدينه ويكفيك ان تتألم له وتصلى من أجله . وان رأيته محبوبا افرح له . وان رأيت اثنين متحابين فاعمل على ازدياد محبتهما . احذر النميمة لأنها نار مشتعلة وسم قتال .

قال القديس مكاريوس : احفظوا ألسنتكم من الكلام بالشر على اخوتكم لأن الذى يقول شراً على أخيه يغضب الله الساكن فيه والذى يعمله كل واحد برفيقه فبالله يعمله . وقال أيضاً : احفظوا آذانكم من سماع كلام النميمة والوقيعة لكى تكون قلوبكم طاهرة لأنه بسماع الحديث النجس لا يمكن للقلب ان يحفظ طهارته بلا دنس .

ليتنا نسلك بالكمال المسيحى الذى يليق بأولاد الله بكل محبة وسلام متجنبين كل شقاق وفتنة وخصام . وليتمجد اسمه القدوس من الآن والى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الثانى من الصوم الكبير

معمودية التوبة

« كان يوحنا يعمد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا » (مر١:٤) .

فى الوقت الذى نتحدث عنه الآن ظهرت شيعة تدعى شيعة الأسينيين وانتشرت فى فلسطين لكن موطنها كان فى واحة « عين جدى » .

كان هدف الأسينيين الطهارة الأدبية والطقسية . كانوا يسعون نحو المثل الأعلى للقداسة التى اعتقدوا أنها لن تتحقق فى هذا العالم . ولذلك هجروا القرى والمدن ولجأوا إلى المغاير وشقوق الأرض ، وكرسوا أنفسهم للذهد والتقشف والأصوام والصلوات ، وكانوا يعولون أنفسهم ببعض أعمال زراعية خفيفة . ويخبرنا الذين بحثوا تاريخهم أن النقطة الرئيسية عندهم كانت هى الإيمان بكلمة الله الموحى بها . كانوا يرجون أن يصلوا إلى أسمى درجات الشركة مع الله بالتأملات والصلاة وتعذيب الجسد والغسلات الكثيرة والتدقيق فى حفظ نواميس الطهارة الطقسية . وقد اتفقوا مع الفريسيين فى حفظ السبت بالدقة المتناهية . كان طعامهم اليومى فى أبسط الأنواع ، وكانوا يتناولون فى أمكنة اجتماعاتهم الدينية . وبعد الاستحمام يتلون بضع صلوات ونصائح ثم يذهبون إلى غرف تناول الطعام بوجوه مغطاة كأنهم ذاهبون إلى هيكل مقدس . كانوا يمتنعون عن الأقسام ويحتقرون الثروة ، ويمقتون جداً الحرب والعبودية ، ويواجهون التعذيب والموت بكل شجاعة ، ويعافون الإنغماس فى الملذات .

وواضح أن يوحنا لم يكن عضواً فى هذه الجماعة المقدسة التى كانت تختلف اختلافاً بيناً عن الفريسيين والصدوقيين فى زمانهم . كان الأسينيون يلبسون ملابس بيضاء رمزاً للطهارة التى ينشدونها ، أما هو فكان يكتفى بلبس ثوب من وبر الإبل ووضع منطقة من جلد على حقويه . كانوا يغمسون الخبز بالزوفا (الزعتر) أما هو فكان يغمسه بالعسل . كانوا يعيشون حياة اجتماعية أما هو فعاش وحيداً منذ فجر حياته .

وبالرغم من ذلك فإن يوحنا المعمدان لم يتأثر بأية ظروف كائنة فى عصره . فإن الله منحه قدرة انفرد بها وحده . إما أنه كان شاعراً بهذا فيتبين من تصريحه الذى قال فيه : « الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى » (يو١:٣٣) . ومن إجابة المسيح

للفريسيين « معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس » يتضح أنه أراد أن ينقل إلينا نفس الفكرة . وفضلاً عن ذلك فإن الروح القدس يؤكد لنا على لسان الإنجيلى الرابع أنه « كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكى يؤمن الكل بواسطته » (يو١:٦) كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية .

١ ــ الدعوة للتوبة :

إن معنى التوبة حسب التفسير الحرفى للكلمة فى اليونانية هو « تغيير الاتجاه » . ولعله من الأفضل أن نقول : تغيير فى وجهة نظر الإرادة . إن النفس غير التائبة تختار طريقها وإرادتها دون مبالاة بناموس الله . « اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع . فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » (رو٨:٧،٨) أما فى التوبة فإن النفس تغير موقفها . لأنها لا تعود بعد ترفض نير إرادة الله كثور حرون بل تخضع له وتكون مستعدة أن تخضع . إن تأنيب الضمير يعمل عمله بصفة مستمرة ، والشعور بأباطيل كل المخلوقات موجودة بصفة مستمرة ، والرغبة المُلحة نحو الحياة الحقيقية ، ونحو الرجوع من الظلمة إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله .

مما لا شك فيه أن التوبة مظهر من مظاهر الإرادة . فى بدايتها قد لا يكون هنالك أى شعور بالفرح أو الصلح مع الله ، بل شعور بأن بعض طرق الحياة خاطئة وشريرة ومؤذية ومحزنة لله ، ورغبة تتحول إلى عزم على الرجوع عنها وطلب الله « الذى صنع الجبال وخلق الريح ، الذى يجعل الفجر ظلاماً ويمشى على مشارف الأرض » (عا٤:١٣) .

يمكن اعتبار التوبة بأنها الجانب الآخر من الإيمان . هما وجهان لعملة واحدة ، ناحيتان لعمل واحد . إن كان عمل النفس الذى يأتى بها إلى علاقة طيبة مع الله يسمى رجوعاً عن الطريق الذى تسلكه فإن التوبة تمثل الرغبة فى الرجوع إلى الله . يجب أن نكون راغبين فى الرجوع عن الخطية وعن برنا الذاتى ، هذه هى التوبة . ويجب أن نكون راغبين فى أن نخلص بالله ، بطريقته ، ويجب أن تأتى إليه من أجل هذه الغاية ، وهذا هو الإيمان .

ونحن نحتاج إلى الرجوع عن برنا الذاتى كرجوعنا عن خطايانا . تحدث أوغسطينوس عن مساعيه وراء البر وقال عنها إنها خطايا جميلة . وبولس الرسول تنصل من كل

المساعى التى بذلها للاصطلاح مع الله قبل رؤية وجه المخلص . يجب أن تكف عن جهودك التى تبذلها لتخلص نفسك . ليست هذه إلا « ثوب عدة » على حد تعبير النبى (إش٦٤:٦) . لا شيء غير المخلص وعمله ينفع النفس التى يجب أن تواجه الفحص أمام العدل الإلهى .

تأتى التوبة أحياناً لإصغاء إلى مطالب المسيح . فإننا نستيقظ فجأة لنتحقق من شخصيته ، ونرى كيف يحبنا ، وكم ينقصنا ، والجحود الشديد الذى أظهرناه نحو آلامه وقطرات دمائه وصليبه وجمال صفاته وقوة مطالبه .

وفى أحيان أخرى تنتج التوبة من كرازة يوحنا المعمدان . عندما نسمع عن الفأس توضع على أصل الشجر ، وعن النار التى لا تطفأ المُعدة لإلتهام التبن ، ترتعش فرائص القلب . عندما تؤخذ إلى حافة الهاوية فنضطر أن نرى بأن طريق الغرور الذى نسلكه ينتهى بالهلاك المحتم ، عندما تنهدم ثقتنا فى برنا الذاتى ونسمع كرازة المعمدان — فى مثل هذا الوقت ترى النفس كل آمالها فى أباطيلها التى صنعتها لنفسها ، وترجع منها كلها كما رجعت مريم من القبر الذى دفنت فيه كل آمالها فوجدت يسوع واقفاً ، ومجد القيامة بادياً على وجهه ، ومحبته الملتهبة تشع من عينيه .

وخليقٌ بنا أن نميز بين الكلمتين « توبة » و « ندامة » . فالأولى هى أول عمل للإرادة عندما تنتعش وتحيا بالروح القدس فترجع من الأعمال الميته لتعبد الله الحى الحقيقى ، والثانية تمثل الانفعالات التى تتأثر بقوة بمرور السنين بالروح القدس إذ يبين كل الآلام والأحزان التى سببتها ولا تزال تسببها خطايانا لربنا المبارك . إننا نتوب مرة واحدة لكننا نندم مراراً . إننا نتوب ونؤمن بالإنجيل ، نؤمن بإنجيل ابن الله ، وإذ ننظر إلى الذى طعنوه ننوح ، إننا نتوب عندما نطيع دعوته للمجيء إليه لنحيا ، ونندم إذ نقف خلفه باكين ، ونبدأ بأن نغسل قدميه بدموعنا ونمسحهما بشعر رؤوسنا .

إن لم يكن يوحنا المعمدان قد عمل عمله فيك فاحرص على أن تفتح قلبك لصوته الداوى . دعه يتمم خدمته . أحرص على أن لا ترفض مشورة الله .

٢ — علامات ومظاهر التوبة :

أ — الاعتراف : « **واعتمدوا جميعهم منه فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم** » ليس من الميسور أن نقول ماذا تعنيه هذه العبارة بالدقة . لكن هل المقصود أن الناس إذ أحسوا بتأنيب الضمير ومرارة النفس بسبب فساد حياتهم وشعورهم بخطاياهم الدفينة

وقفوا « مقرين ومخبرين بأفعالهم » كما حدث فى موقف خالد بعد ذلك بوقت طويل (أع١٩:١٧—٢٠) .

اعترفَ المتمسك بمجرد المظاهر أن قبر خدماته الدينية المبيض يخفى عفونة ونتانة . واعترف المتشكك بأن سبب رفضه الديانة يعزى إلى بغضة لمطالب ناموس الله المقدس . واعترف الجموع بأنهم أنانيون شهوانيون أغلقوا أحشاءهم ورفضوا أن يقدموا للفقراء ما يحتاجونه من لباس وطعام . واعترف العشار بأنه قد أبتز أموالاً أكثر من اللازم . واعترف الجندى بأنه تحت ستار وظيفته أزعج المساكين ووجه التهم الكاذبة لكثيرين من الأبرياء . واعترفَ صاحب السيرة الشريرة أنه كثيراً ما كمن للدماء وأهلك الأبرياء طمعاً فى ربح أو حقداً عليهم وهكذا امتلأ الجو من صراخ وتنهدات الجماهير المتألمين الذين رأوا خطيتهم لأول مرة فى نور الأبدية وفى ضوء هلاكها المحتوم . وهكذا كانت لهب « الغضب الآتى » تسطع أشعتها الفاحصة علىَ التصرفات التى كانت ترى فى غبش الجهل والإهمال أنها لا غبار عليها .

وبجانب شاطىء ذلك النهر اعترف الناس بخطيتهم لا إلى الله فحسب بل أيضاً إلى بعضهم بعضاً وإلى يوحنا المعمدان نفسه . وهنا زالت الأحقاد القديمة وسويت النزاعات السابقة ، وتبودلت كلمات الاعتذار والصفح ، وصافحت الأيدى بعضها بعضاً بعد مرور سنوات من القطيعة والنزاع .

إن الاعتراف علامة أساسية للتوبة الصادقة ، وبدونها يصبح الغفران مستحيلاً . « من يكتم خطاياه لا ينجح . ومن يُقربها ويتركها يُرحم » (أم٢٨:١٣) « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » (١يو١:٩) طالما كنا ملتزمين الصمت فإن عظامنا تشيخ فى آلامنا الداخلية وتحرقنا الحمى ببطء ولا يمكن أن نجد راحة ولو اضطجعنا على أريكة من حرير . لكن عندما نعترف بخطايانا فإننا نجد الراحة فى الحال « قلت اعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى » (مز٣٢:٥) .

اعترفى لله بخطيتك أيتها النفس المتعبة التى قد حرمت من رؤية المسيح . الأرجح جداً أن خطية دفينةأو خطية لم يُعترف بها تحجب أشعة الشمس الحقيقية . لا تلتمس المعاذير ، لا تهون شيئاً ، لا تترك شيئاً . لا تتحدث عن الأخطاء فى الأحكام بل عن عدم استقامة القلب والإرادة . لا تكتفِ باعتراف إجمالى بل أذكر خطاياك بالتفصيل ، قدم كل تصرف خاطىء أمام محكمة الله العادلة ، أكشف الأسرار وتحدث عن الرواية

المظلمة الأليمة . أبدأ من البداية ثم كمل اعترافك . وحالما تعترف بخطاياك فإنك تجد التأكيد بالغفران من ذاك الذى أحبنا وبذل نفسه كفارة لخطايانا وليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم . حالما ننتهى من الاعتراف ، بل حتى فى أثناء الاعتراف نسمع الصوت الإلهى يؤكد لنا بأن خطايانا الكثيرة قد أبعدت عنا كبعد المشرق عن المغرب ، وقد طرحت فى أعماق البحر.

لكن الاعتراف يجب أن لا يكون لله وحده أو للكاهن وحده عندما تكون الخطايا قد أساءت إلى الآخرين . إن كان لأخينا شيء علينا وجب أن نبحث عنه ــ تاركين قرباننا على المذبح ــ ونصطلح معه أولاً . يجب أن نكتب خطاباً طالبين الصفح أو ننطق بكلمات الاعتذار . يجب أن نُصلح ما أفسدنا . اصلاحاً كريماً ونعوض ما أتلفناه . يجب أن لا نتخلف وراء صفوف خطاة العهد القديم الذين أمروا بأن يضيفوا خُمساً عند رد الخسائر التى سببوها لإخوتهم . والخطية الوحيدة التى نتبرر فى الاعتراف بها لإخوتنا هى تلك التى ارتكبناها ضدهم . وما عداها فيجب أن نعترف بها لله على يد كاهنه .

ب ــ أثمار تليق بالتوبة « **اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة** » هذا ما قاله يوحنا المعمدان بشيء من الغضب عندما رأى الكثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته . لقد أصر على أن المسيحية العملية ليست أقوالاً بل حياة . ليست المظاهر والطقوس بل المبادىء . وقرر بأن صدق التوبة يجب أن تشهد له الثمار المناسبة « هل يجتنون من العنب شوكاً أو من التين حسكاً » (مت ٧:١٦) .

ولعل طلب المعمدان هذا هو الذى بعث زكا على اعترافه للمسيح لما دخل إلى بيته . كان هذا العشار يعيش فى أريحا التى كرز يوحنا بجوارها ، والأرجح أنه كان واحداً من العشارين الذين خلبت ألبابهم خدمته . إننا نتخيل التعليقات التى جرت على ألسنة أصدقائه حينما رأوه فتهامسوا بعضهم إلى بعض . قال واحد منهم « أليس هذا هو زكا ؟ » وقال الآخر « ماذا يفعل هنا ؟ » وقال ثالث « لعله قد جاء الوقت لكى يعود إلى صوابه » وقال رابع « أرجو أن يستطيع المعمدان التأثير على حياته » .

وكان هنالك ما مس ذلك القلب المتحجر لقد نبت فيه إيمان عظيم وعزم أكيد . لعله اشترك فى الاعترافات السابق الإشارة إليها . لكنه فعل أكثر من ذلك . فإنه لدى وصوله إلى أريحا صار إنساناً جديداً . لقد أعطى نصف أمواله لإطعام المساكين ، وإن كان قد وشى بأحد رد له أربعة أضعاف . كثيراً ما شوهد خادمه فى أحقر أحياء المدينة

باحثاً عن أفقر المساكين وموزعاً عليهم الصدقات بسخاء ، وسُر الكثيرون من الفقراء إذ وجدوا أن مبالغ محترمة تدفع إليهم مع قصاصة ورق موقع عليها من محصل الضرائب الغنى يقول فيها « لقد أخذت منك مبلغاً من المال منذ سنوات دون أن يكون لى الحق فيه ، وها أنا أعيده إليك مع تعويض أربعة أضعاف » . وإن سأله أحد عن سبب كل هذا أجاب « لقد نزلت إلى الأردن وسمعت المعمدان ورأيت المسيح واعتقد أن الملكوت قريب وأن الملك قد اقترب وأريد أن أستعد له حتى إذا ما أتى أمكنه أن يمكث فى بيتى » .

إنك لن تستطيع أن تصطلح مع الله إلا إذا اصطلحت مع أخيك الإنسان . ولا يكفى أن تعترف بالإساءات التى اقترفتها بل يجب أن تكون مستعداً للتعويض عنها على قدر استطاعتك . ليست الخطية أمراً هيناً ويجب معالجتها من جذورها وفروعها .

جـ ــ معمودية التوبة : « واعتمدوا منه معترفين بخطاياهم » إن خاصية التطهير التى للماء قد اعطته أهمية دينية منذ الأجيال السحيقة . فالبشر نظروا إلى الخطية كتلوث فى القلب وصاغوا طلباتهم لإزالتها فى كلمات مشتقة من استعمال الماء : « طهرنى بالزوفا فاطهر اغسلنى فأبيض أكثر من الثلج » .

لقد تاقوا أن يشعروا بأنه كما يتخلص الجسد من الوسخ هكذا ينبغى أن تتحرر النفس من الدنس .

على أنه لم يكن فى تعليم يوحنا شىء من هذا . فإنه لم ينادِ بمعمودية التطهير بل بمعمودية التوبة . كانت تعبر عن وترمز إلى رغبة النفس وقصدها أن تعترف بخطاياها كشرط أساسى للحصول على الغفران الإلهى .

ليس أمراً جوهرياً أن نناقش الموضوع الخاص بالمصدر الذى استقى منه يوحنا معموديته . فالبعض يقولون إنه استقاها من عادات الأسينيين الذين كانوا يلزمون جميع المتهودين من الأمم بممارسة هذا الطقس . لكنه يكفينا أن نذكر بأنه قد أرسل ليعمد ، وإن فكرة معموديته كانت « من السماء » ، وإن الطقس إذ وصل إلى يديه اتخذ شكلاً جديداً وأهمية جديدة . كان يعنى الموت عن الماضى ودفنه ، والقيامة إلى حياة جديدة أفضل .

من السهل أن نرى كيف أن كل هذا وجد قبولاً عند الشعب ومس قلوب الشبان بصفة خاصة . فى ذلك الوقت كان هنالك بجوار بحر الجليل جماعة قليلة من الشبان

الغيورين الذين تأثروا جداً بالتيارات الفكرية المحيطة بهم ، وكانوا يمقتون حكم الرومانيين وعلى أحر من الجمر انتظاراً لمجىء الملكوت .

عندما كانوا يقضون ساعات الليل فى سفن الصيد كثيراً ما تحدثوا عن عهد الله القديم ، وعن مجىء المسيا ، وعن رجاسات خدمة هيكلهم المحبوب ، وإذ أتتهم الأنباء يوماً ما عن هذا الكارز الجديد الغريب تركوا كل شىء وهاموا على وجوههم حتى وصلوا إلى وادى نهر الأردن فوقفوا مبهوتين أمام كلماته .

تعرف يوحنا عليهم كلهم إما واحداً فواحداً أو جملة ، فأصبحوا أصدقاءه الحميمين وتلاميذه الموالين . نحن نعرف اسم واحد أو اثنين منهم (يو١ : ٤٠) ، أندراوس وفيلبس وهذان تركا معلمهما السابق لإتباع المسيح ، لكننا لا نعرف شيئاً عن الباقين سوى أنه علمهم أن يصوموا ويصلوا ، وأنهم التصقوا بمعلمهم العظيم حتى حملوا إلى القبر جثته عديمة الرأس . وبعد موته التصقوا بذاك الذى سبق أن نظروا إليه بشىء من الشك بأنه منافس له .

كان ذلك يعنى شيئاً كثيراً ليوحنا . فإنه لم يكن له أصدقاء قط . ولا شك فى أن محبة وولاء هؤلاء الشبان النبلاء والتفافهم حوله بعثت فى نفسه راحة جزيلة ، لكنه كان يحول أنظاره بصفة مستمرة عنهم أجمعين كأنه كان يتطلع إلى شخصية أسمى تبرز حالاً من الجماهير ، وإلى ذاك الذى يبعث صوته فى نفسه أعظم فرح ويكمل فرحه لأنه سيكون هو صوت العريس نفسه .

وله المجد دائماً أبدياً ، آمين .

تجربة المسيح على الجبل

ثم أصعد يسوع الى البرية ليجرب من إبليس (مت ٤ : ١)

نحن اليوم أمام الركن الثالث من الصوم الكبير . أمام يسوع المسيح الصائم . أمام آدم الثانى يبدأ من حيث انتهى آدم الأول .

كانت حرب فى الفردوس بين الشيطان والإنسان وهزم الإنسان هزيمة كانت نتيجتها الطرد الى برية العالم ونحن الآن فى البرية نرى حرباً ثانية .

١ ـــ فتقدم إليه المجرب (مت ٤ : ٣) .

يظن بعض المفسرين أن التجربة كانت همسات من الداخل لعمل شيء مخالف لإرادة الله ، ويطبقون هذا التعليل على التجارب التى يقع فيها الناس . وهذا فكر خاطىء من أساسه لأن المسيح كلى القداسة ، ولا يمكن ان تأتيه أى ظلال من الهمسات الداخلية الخاطئة ، فالتجربة قد جاءت من الخارج . من شخصية حقيقية ولو أنها غير منظورة .. والذين يتوهمون أن الشيطان شخصية خيالية ليس لها وجود ينكرون وحى الكتاب المقدس الذى يثبت فى مئات من المواضع أن الشيطان شخص حقيقى ، بل رئيس وله ملائكة وجنود يستخدمهم فى الشر لإيقاع البشر فى الخطية . إنها حيرة كان يقفها الشيطان باستمرار ، كلما نظر الى السيد المسيح . كلما يرى فيه قوة خارقة للطبيعة تشير الى لاهوته ، يتبع الرب ذلك بمظهر ضعيف يبلبل فكر الشيطان فلا يصدق أنه الله .

نرى الرب يخفى عظمته بولادته فى مزود وبالهرب الى مصر وبعد ذلك المجد العظيم الذى ظهر به الرب فى الأردن : بعد شهادة يوحنا المعمدان ، ثم شهادة الآب وحلول الروح القدس يبدو الرب على الجبل جوعانا ضعيف الجسد ، يتحير الشيطان فى مظهره فلا يصدق انه الله . جاء الشيطان فى شك الى الرب ، محاولا أن يعرف من هو . جاء يجربه ويختبره ، ليرى ماذا تكون طبيعته . كانت حرب شديدة استعمل فيها الشيطان كل ما فى العالم من أسلحة . « لأن كل ما فى العالم ، شهوة الجسد . شهوة العيون . تعظم المعيشة » (١يو ٢ : ١٦) . وكانت نصرة عظيمة . انتهت بزجر الشيطان وطرده . إذهب عنى يا شيطان . وبنعمة الله سنتكلم عن النقط الآتية :

التجربة الأولى : بعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً (مت ٤ : ٢)

١ ــ شهوة الجسد :

كان يسوع المسيح جائعاً . هى بعينها تجربة الشيطان لأبوينا الأولين فى الفردوس . حارب الإنسان الأول بالشك أحقاً قال الله لا تأكلا ؟ أحقا يحرمكما الله الحنون من الثمرة الشهية ! وهل هذا يتفق مع محبة الله وجوده وحنوه ؟ لم يقدر الإنسان الأول أن يصوم عن شجرة واحدة فى الفردوس . « نظرت حواء الى الشجرة فإذ هى جيدة للأكل . أكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل » (تك ٣ : ٦) . فسقط الاثنان معاً ، وكان سقوطهما عظيما إذ سقط معها الجنس البشرى ، وكان تحت حكم الموت واقعا ومقيما . والى اليوم يسقط كثيرون منا فى هذه المعركة . لقد صرخ بنو اسرائيل نريد لحما . أين قدور اللحم التى فى مصر ؟ فجاءهم الرب باللحم وطيور السلوى حتى صارت أكواما مكومة وأكداسا مكدسة مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك . ويقول الكتاب المقدس إن الشعب الجشع الشره أكل اللحم حتى خرج من مناخرهم فسقط مئات الألوف موتا . ومن تجارب البطون أيضاً ، الشراب الفاسد الذى قال فيه سليمان الحكيم : « لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين ؟ للذين يدمنون الخمر » (أم ٢٣ : ٢٩ ــ ٣٠) .

وكما حدث لموسى عند صخرة العبرانيين . لقد ورد فى (عدد ٢٠ : ١٠ ــ ١٣) ما يلى : « وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة وقال لهم اسمعوا أيها المردة أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء . ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاة مرتين ، فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواشيها فقال الرب : لموسى وهارون : من أجل انكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى اسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التى اعطيتهم إياها ، هذا ماء مريبة حيث خاصم بنو اسرائيل الرب فتقدس فيهم » (عد ٢٠ : ١٠ ــ ١٣) .

ومن هذا يظهر أن موسى جرب الرب فى مقدرته على ان ينبع من الصخرة ماء ، ولكن الرب أراد أن يتمجد ، فاستجاب وانبع ماء غزيراً . هذه هى التجربة فى قصاصها وعقابها . وليس أعظم من أسلحة الانتصار عليها إلا كلمة الله المكتوبة . كان يسوع جائعاً .. وكيف يجوع الإله ؟؟ إن يسوع الذى جاع هو الذى اشبع الخمسة آلاف من خمس خبزات . ولكنه آدم الثانى « الذى أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فى ٢ : ٧) .

جاع ليُعطينا من هذا الجوع دروساً روحية عميقة فيشبع نفوسنا بالنعمة . جاع ليعلمنا

أن آدم الأول هزم أمام شهوة الجسد أما هو فانتصر . صوب الشيطان السهم الأول : « إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً » (مت ٤ : ٣) . وكان السهم قويا ... ان يسوع الجائع ... ان يسوع الجائع يستطيع أن يحول الحجارة الى خبز ويأكل . إنه خلق الإنسان من تراب الأرض فكيف لا يخلق من الحجارة خبزاً ليأكل هو ويشبع وهل فى هذا من شر ؟ ليس الشر فى تحويل الحجارة الى خبز ولكن الشر أن يأخذ هذا الخبز من يد الشيطان . ينبغى أن نضع نصب أعيننا أن ابن الله أخلى نفسه آخذاً صورة عبد .. واجتاز آلام الحياة المختلفة ليكون معينا للمجربين . فإذا استعمل لاهوته لإشباع الجوَع فلم يكن بذلك قدوة للفقراء الجائعين . وهناك سبب هام للغاية وهو أن المسيح أخذ على نفسه أن لا يستفيد شخصياً من معجزاته فكانت كلها لخير الآخرين . حتى تم القول : خلص آخرين وأما نفسه فلم يقدر أن يخلصها من الصليب . فقد تعب من الجوع والسفر وجلس عند البئر عطشاناً فى حاجة الى جرعة ماء وهوخالق البحار والأنهار .

احترس ولا تأخذ لقمة العيش من يد الشيطان .
كلها بعرق جبينك خذها من يد الله ولا تخطفها من يد الفقير . إياك والطمع . « فالتقوى مع القناعة تجارة عظيمة » (١تى ٦ : ٦) تمثل بمن قال : « أعرف أن أجوع وأعرف أن أستفضل » (فى ٤ : ١٢) . الرب يسوع يرد على المجرب : « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) .

إن الإنسان لم يخلق من جسد فقط بل هناك الروح الجوهرة الغالية التى هى نفخة الله التى جعلت التراب نفساً حية . هل نذكر طعام الجسد الفانى وننسى طعام الروح الخالدة . إن الروح عندما تشبع تقوى على الجسد فتنسيه جوعه وبالعكس عندما نترك للجسد العنان يتحول الإنسان الى حيوان يعيش ليأكل لا يأكل ليعيش ولذا قال الرسول : أكبح جسدى واستعبده لنذكر هذا وليذكره من لم يصم وقد نسى الكثيرون الصوم أمام شهوة أجسادهم . لقد فضلوا شهوة الجسد ، حتى على عقائدهم ومجدهم فى خزيهم » (فى ٣ : ١٩) . حجته الوحيدة الباطلة فى ترك الكنيسة الأرثوذكسية . إن أصوامها كثيرة .. وأنسته بطنه إن أعظم سلاح لهزم الشيطان كان الصوم . « إن هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم » (مر ٩ : ٢٩) . ونحن فى حرب مع الشيطان فما أحوجنا الى الصيام الكثير .

إن حالنا اليوم غير حال الذين تمسكوا بالصوم لنتشبه بربنا يسوع المسيح له المجد الذى هزم الشيطان . بالصوم .
التجربة الثانية : ثم أخذه إبليس إلى جبل عالٍ جداً (مت ٤ : ٨) .

٢ ــ شهوة العيون :

أراه جميع ممالك العالم ومجدها .

نعم هى شهوة العيون التى كانت علة السقطة الأولى « نظرت الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون شهية للنظر » (تك ٣ : ٦) فعين حواء التى رأت بها الشجرة واشتهتها هى التى كانت مفتاح السقوط الأول للجنس البشرى . وعين داود هى التى اسقطته فى خطية التعدى ، « فرأى من على السطح » (٢صم ١١ : ٢) . ان وعود الشيطان منذ القديم للإنسان وعود مغرية : جميع ممالك الأرض ومجدها أعطيك . إن قتلى العين فى التاريخ أكثر ممن قتلهم السيف والرمح ، إن آلافا من الشباب أذلتهم وافقدتهم حياتهم الأبدية ، لقد ذكر الكتاب المقدس عينات من هؤلاء ..

إن السيد المسيح كشف عن سر هذا فقال : « سراج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً » (مت ٦ : ٢٢ ــ ٢٣) . عثرة العين .. عثرة قاتلة لهذا قال السيد المسيح له المجد : « إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » (مت ٥ : ٢٩) .

إن أفكارنا لا ترتبك بالعمل الشرير إلا بعد أن تحاربنا عيوننا ، ولذلك نسمع أيوب الصديق يقول : « وذهب قلبى وراء عينى » (أى ٣١ : ٧) ولكى يمتلك الله قلوبنا يطالبنا بأن نسلم إليه عيوننا ، يقول : « يا ابنى أعطنى قلبك ولتلاحظ عيناك طرقى » (أم ٢٣ : ٢٦) . ما الذى أغرق العالم بالطوفان ؟ أليس نظر بنى الله الى بنات الناس أنهن حسنات ؟» (تك ٦ : ٢) وما الذى أذل شمشون ؟ أليس مشاهدته لجمال دليلة ؟ (قض ١٦ : ٤) . وما الذى أسقط داود ؟ أليس نظره الى جمال بتشبع ؟ (٢صم ١٢ : ١٠) . وما الذى أضل سليمان ؟ أليس كل ما اشتهته عيناه لم يمسكه عنهما ؟ (جا ٢ : ١٠) . من أجل هذا نسمع أيوب الصديق وقد اكتشف سر السقوط فقال : « عهداً قطعت لعينى فكيف اتطلع فى عذراء ؟ » (أى ٣١ : ١) . ان الله يخاطب ملاك كنيسة اللاودكيين قائلا : « كحل عينيك بكحل لكى تبصر » (رؤ ٣ : ١٨) . وهذا معناه أن يحتقر الانسان أباطيل العالم وأمجاد العالم وينظر الى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع .

فلتكن « عيوننا بسيطة لكى يكون الجسد كله نيراً » (لو ١١ : ٣٤) . أقطع عهداً مع عينيك أن لا تنظر إلى أى شىء ليس لك لتشتهيه . لقد أرى الشيطان يسوع جميع

ممالك العالم وهذا ليس بأمر غريب لأن ذلك كان بسماح منه ليعطينا دروساً فى أسلحة الشيطان التى من أهمها أن يعلق قلوب اتباعه بمحبة العالم . عرض الشيطان أمام السيد مجد العالم وجماله تماماً كما يحاربنا كل يوم ويجمل العالم أمامنا فنتعبد للعالم ، ونسجد لرئيس هذا العالم ، ونسر فى ركابه . « غير ناظرين إلى عالم أفضل وأمجاد لا تفنى ولا تتدنس ولا تضمحل (١بط ١ : ٤) كان الرد قوياً والسهم شديداً . « للرب إلهك وحده تسجد وإياه تعبد » (مت ٤ : ١٠) . كان تجاسر الشيطان فى هذه التجربة كبيراً . فى أن يطلب من ابن الله أن يسجد له . لذلك.زجره الرب يسوع وقال له أذهب يا شيطان . حسبه كباقى البشر الذين يسبحونه ويتعبدون له ليعطيهم العالم ، والعالم كله باطل الأباطيل وقبض الريح فيا من تسجد للشيطان وتتجند فى مملكته استيقظ من غفلتك وأعلم يا ابن إبليس أنك بمحبتك للعالم تعادى الله . محبة العالم عداوة لله . كلما ذهبت الى الكنيسة اصغ لما يقول قارىء الكاثوليكون فى نهاية القراءة . « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . العالم يمضى وشهوته (١يو ٢ : ١٥ ، ١٧)
التجربة الثالثة : ثم أخذه إبليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل (مت ٤

٣ ــ تعظم المعيشة :

ان عدو الخير لا يتركنا حتى فى أقدس الأمكنة « لأنه يجول دائماً ملتمساً من يبتلعه » (١بط ٥ : ٨) . « لقد مثل أمام الله بين أبنائه » (أى ١ : ٦) . وقال له الله من أين جئت فكان رده مس الجولان فى الأرض والتمشى فيها . إنه لا يترك مكاناً إلا ويدخله . اسمعه ماذا يقول للسيد : « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فلا تصدم بحجر رجلك » (مت ٤ : ٦) . ما نوع هذا السلاح ؟ وماذا كان قصد الشيطان ؟ كان الشعب اليهودى يملأ الهيكل وخارج الهيكل وكانت تجربته مغرية إذ لو طرح إنسان نفسه من أعلى مكان فى الهيكل الذى يرتفع ستين ذراعا عن مستواه الأرضى . ونزل سليما ورآه الناس هكذا يعظموه ويمجدوه . إذاً هى تجربة التعظم . تجربة الكبرياء والزهو ، ولما رأى الشيطان أن يسوع فى التجربة الأولى والثانية قاومه بالمكتوب عزز كلامه بالقول « مكتوب أنه يوصى ملائكته بك » (مت ٤ : ٧). « أما قائدنا الأعلى ورئيس خلاصنا » (عب ٢ : ١٠) . الذى سبق فحصننا بالتواضع وقال : تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب تجدوا راحة لنفوسكم . هزمه فى هذه التجربة بقوله : مكتوب لا تجرب الرب إلهك . أعنى ان السقوط من أعلى جناح الهيكل بقصد الزهو والخيلاء اتكالا على أن الله يوصى ملائكته . تجربة يقوم بها من ليس له إيمان فى الله . ليكن لنا إيمان بالله

ونمشى بحذر ، وإن جاءت تجربة بدون قصد فالله يرسل ملائكته كما أرسلهم قديما لدانيال « وخلصه من الأسود الكواسر وسد أفواههم » (دا ٦ : ٢٢) . إن هذه التجربة من أشد التجارب فهى السلاح القديم الذى شهره ابليس فى الفردوس . سلاح المجد والعظمة « تصيران كالله » (تك ٣ : ٥) .

إن العظمة كثيراً ما تنحدر بصاحبها الى أسافل الحضيض . بل هى التجربة التى سقط بسببها الشيطان . وان الله الذى يفتح أحضانه لكل تائب يقاوم المستكبرين ويعطى نعمة للمتواضعين . لقد حاول الشيطان وتآمر لخراب كنيسة الله فى بدء تأسيسها فأدخل فكرة العظمة فى التلاميذ فسألوا الرب من هو أعظم فى ملكوت السموات فضرب لهم مثلا عملياً إذ مسك طفلا وقال : « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات (مت ١٨ : ٣) . لقد تنازل السيد وغسل أقدام تلاميذه وقال لهم : « إن كنت وأنا السيد قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأنى أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو ١٣ : ١٤ — ١٥) . فلنحترس من هذه التجربة ولنعلم أن قبل السقوط تكون الكبرياء .

٢ — يسوع المنتصر :

لماذا يسمع ابن الله للشيطان أن يجربه بأخذه الى جبل عال ثم إلى المدينة المقدسة ؟ أن يسوع سمح ليعطينا دروساً فى كيفية الانتصار وهذه الدروس هى :

١ — أول سلاح للانتصار كان الصوم :

فاعلم علم اليقين أنك غالب للشيطان ومنتصراً عليه مادمت لا تعطى للجسد شهوته « لأن الجسد يشتهى ضد الروح » (غل ٥ : ١٧) . « صم بطهارة وبر وأنت تقوى وتغلب الشرير » (١يو ٢ : ١٣) . « أما الروح فنشيط أما الجسد فضعيف » (مر ١٤ : ٣٨) .

٢ — السلاح الثانى مكتوب ... فى الثلاث تجارب :

نسمع صوت السيد مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . قيل لا تجرب الرب إلهك . هذا هو السلاح القوى . سلاح المؤمن القوى البتار ، الذى يجب أن يتسلح به ليل ونهار ، حتى يستطيع الانتصار على ذلك العدو القهار « لأن كلمة الله أقوى من كل سيف وسلاح ذى حدين » « هذا هو سيف الروح الذى هو كلمة الله » (أف ٦ : ١٧) .

الذى نقطع به رأس الحية القديمة . اقرأ كثيراً وفتش الكتب وتسلح بهذا السلاح وأشهره « كسيدك تنطفىء جميع السهام الشرير الملتهبة » (أف ٦ : ١٦) . لقد نجح تيموثاوس فى قيادته للكنيسة : « لأنه كان منذ الطفولة يعرف الكتب المقدسة » (٢تى ٣ : ١٥) . حقاً إن « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون انسان الله كاملا متأهباً لكل عمل صالح » (٢تى ٣٢ : ١٦ ــ ١٧) .

وكلمة الله هى العزاء لقلوبنا : « هذه هى تعزيتى فى مذلتى لأن قولك أحيانى » (مز ١١٩ : ٥٠) . وكلمة الله هى النور لطريقنا : « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » (مز ١١٩ : ١٠٥) . وكلمة الله حياتنا « يارب الى من نذهب وكلام الحياة الأبدية هو عندك » (يو ٦ : ٦٨) .

٣ ــ الامتلاء من الروح القدس :

أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس ، وكان أربعين يوماً يجرب من إبليس .

صلِ كثيراً لأنك امتلأت بالروح القدس بعد المعمودية ولكنك أطفأت هذا النور واحزنت الروح القدس ببعدك عن الله .

صل للرب يسوع ليملأك بهذا الروح . كل قداس ردد فى سرك مع الكاهن وقت صلاة الساعة الثالثة . روحك القدوس الذى أرسلته على تلاميذك الأطهار فى وقت الساعة الثالثة لاتنزعه منى بل جدده فى داخلى روحاً طاهراً ومحيياً روح القداسة والعدالة والسلطة أيها القادر على كل شىء . وما دام فيك روح الله فلن يغلبك الشرير .

٤ ــ اطلب مساعدة الأسد الغالب من سبط يهوذا :

وقد علمنا فى الصلاة الربانية أن نلجأ إليه عندما يهاجمنا الشرير . « نجنا من الشرير » (مت ٨ : ١٣) . « لأن ابن الله أظهر لكى ينقض أعمال إبليس » (١يو ٣ : ٨) . ليعطنا الرب النصرة والغلبة على الشيطان وأننا لا نجهل أفكاره فلنتسلح بسلاح الله الكامل لننتصر كما انتصر سيدنا . تلك هى أهم الأسلحة الناجحة التى استخدمها الرب يسوع فى محاربة إبليس . بعدها أنصرف الشيطان مهزوماً يجر وراءه أذيال الخيبة والفشل .

ليعطنا الرب النصرة والغلبة على الشيطان . ولنسحقه فى كل جولاتنا ومعارك حياتنا منتهرين إياه إذهب عنا يا شيطان . ولإلهنا المجد الدائم الى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الثالثة من الصوم الكبير

الإنقسام

إن انقسم بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت ان يثبت (مر ٣ : ٢٥) .

البيت المتحد : يحدثنا عنه العهد القديم مفتخراً بثباته ، ومبتهجا بسلامه هو بيت يشوع بن نون الذى قال : « أما أنا وبيتى فنعبد الرب » (يش ٢٤ : ١٥) وكما يحدثنا العهد الجديد عن بيت نظيره وهو بيت كرنيليوس القائد الرومانى الذى ذكر عنه بقوله « كان تقياً وخائف الله مع جميع بيته » (أع ١٠ : ٢) . وصفات ذلك البيت أن أساسه من الصخر ، وقوائمه من جلمود ، وأبوابه من فولاز . يصارع عواتى الريح ويقاوم أخطر الأنواء ، فاذا صدمت ذلك البيت لا تنال منه شيئاً بل يثبت الى الأبد . ذلك لأن الأساس الصخرى لذلك البيت هو الايمان ، وقوائمه الجلمودية هى المحبة ، وأبوابه الفولازية هى البر والتقوى . البيت المنقسم : هو مقام على الرمال وحوائطه من قشور وأبوابه من قش فاذا هبت الرياح وصدمت الأنواء ذلك البيت فيسقط ولا يكون فيما بعد ، ذلك لأنه تسوده الكبرياء ، ويرتويه الطمع ، وتكتنفه الأنانية ، واسم الله ليس فيه .

وقد تنقسم المدينة على ذاتها عندما يحارب سكانها بعضهم بعضا ، كما ينقسم الإنسان الواحد على ذاته أيضاً عندما تسوده الانفعالات المتضادة والمتناقضة ما بين الروح والجسد ، والعقل والعاطفة ، وعامل الخير والشر . فما لا يريد أن يفعله إياه يفعل ، لذلك صرخ النبى داود بقوله : « وحد قلبى يارب لخوف اسمك » (مز ٨٦ : ١١) . وطبعاً ان الخصام والشقاق فى البيوت والطوائف والكنائس والمدن والممالك يوردها الانحلال والدمار . على أن عوامل الانقسام ومعاول الهدم لذلك : البيت ، وتلك المدينة ، وذات الانسان ، كثيراً ما تكون كما يأتى :

أولا ـ الكبرياء ومصدرها محبة العالم :

سئل شيخ : ما هى أعظم الفضائل ؟ فقال : إذا كانت الكبرياء أشر الخطايا حتى أنها أهبطت طائفة من السماء الى الأرض ، فمن البديهى أن يكون الاتضاع الحقيقى المقابل لها أعظم الفضائل ، إذ هو يرفع الانسان من الأعماق الى السماء ، وقد طوبه الله قائلا : مغبطون أولئك المساكين بالروح . أى المتضعين بقلوبهم فان لهم ملكوت السموات . لذلك تتولد الكبرياء فى الانسان المحب للعالم ، كما قال الوحى الإلهى : « ان محبة العالم عداوة لله » (يع ٤ : ٤) « وقبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح » (أم

١٦ : ١٨) . والانسان المتكبر يريد السيادة على الجميع ويجعل نفسه فوق الكل ، وينسى أنه من تراب ، والى تراب يعود . تأمل فى ذاتك : ماذا كنت ؟ وماذا أنت الآن ؟ وماذا تكون فيما بعد ؟ ألا تعلم أنك كنت عدما غير موجود ، وحين وجدت تكونت من مادة حقيرة دنيئة ، وأنت الآن جسد حقير بالٍ مفعم بنتانة ونفس مسكينة رازحة تحت أثقال لا حد لها .

تأمل فى الأزهار والأشجار فانها أجمل من جسدك ، أما تخرج الأشجار زيتاً واثماراً لذيذة شهية ورائحة عطرة أما جسدك فينتج أقذاراً وأوساخاً . تأمل نهاية حياتك ألا يعود جسدك هذا الى تراب ، ورماد ، فعلام تفتخر وأنت تراب ؟ وبِمَّ تتعالى وتتكبر وأنت رماد ؟ ما هى حياتك ؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) . ما حياتك سوى سلسلة أتعاب وشقاء . فما أضعف الإنسان وأوهى قوته وأشد ذله . إنه ضعيف ذليل أسير لأمياله وعاداته . خاضع لارادته وملكاته . ومع ذلك يتعالى ويظن أنه شيء . « تواضع قدام الرب فيرفعك » (يع ٤ : ١٠) . « لأن الله يقاوم المستكبرين . وأما المتواضعين فيعطيهم نعمة » (١بط ٥ : ٥) لأن الرب يكرم الذين يكرمونه . قالت السيدة العذراء : « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى ، لأنه نظر الى اتضاع أمته فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى » (لو ١ : ٤٦ — ٤٨) .

التواضع أفضل من العلم . رجل فقير قليل المعرفة ومتواضع أفضل بكثير من فيلسوف غنى متكبر . إذاً الكبرياء مرض خطير ، لا علاج له . ويحدثنا العهد القديم عن ملك : جبار ، تكبر واستكبر وظن نفسه الهاً مقتدراً وعظيماً متسلطا ، فسقط أخيراً ، وكان سقوطه قاسيا وأليما ، ففى وقت من الأوقات كان نبوخذ نصر الملك يتمشى على قصر مملكته بابل وقال : « أليست هذه بابل العظيمة التى بنيتها لبيت الملك بقوة اقتدارى ولجلال مجدى . والكلمة بعد فى فم الملك ، وقع صوت من السماء قائلا لك يقولون يا نبوخذ نصر الملك : « إن المُلك قد زال عنك ، ويطردونك من بين الناس ويكون سكناك مع حيوان البر ، ويطعمونك العشب كالثيران ، ويمضى عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العلى متسلط فى مملكة الناس . وأنه يعطيها لمن يشاء » (دا ٤ : ٣٠ — ٣٢) .

ويحدثنا أيضاً العهد الجديد عن ملك آخر نسى أنه إنسان وجعل نفسه إلهاً ، « فى يوم معين لبس هيرودس الملك الحُلة الملوكية ، وجلس على كرسى الملك وجعل يخاطبهم فصرخ الشعب هذا صوت إلهٍ لا صوت إنسانٍ . ففى الحال ضربه ملاك الرب ، لأنه لم يعط المجد لله ، فصار يأكله الدود ومات » (أع ١٢ : ٢١ — ٢٣) . وهكذا عوقب هذان

الملكان ، اللذان تجبرا واستكبرا بزوال ملكهما ، وخراب ديارهما .

ثانياً ــ الطمع ومصدره محبة المال :

نلاحظ الأفراد على اختلاف أجناسهم وتباين أديانهم وتنوع رتبهم فى وسط هذا المجتمع الانسانى يميلون إلى جمع المال بشتى الوسائل ويبذلون ما فى وسعهم لنوال أكبر قسط منه فيجذبهم إليه فيجرون وراءه ويتخذونه معبوداً ثانياً لهم ألم يقل لنا عنهم السيد المسيح : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (مت ٦ : ٢٤) . فيجنون من وراء ذلك ثماراً رديئة دنيئة .

فان المال يفتن كل بار وجمع المال أصل للبلاء

فى سبيل محبة المال يخسر الانسان الصداقة الأخوية ويدنس شرفه فيشكو غيره فى المحاكم ويتسبب من وراء ذلك الخصام والنزاع فى الحياة .

لو انصف الناس استراح القاضى وبات كل عن أخيه راضى

يا من تحرق أموالك فى تدخين السجائر وأنت يا من ترمى أموالك لملء جوفك بالخمر والمسكر . يا من تبعثرها على الملاذ والشهوات . اعلم علم اليقين ان الله سيحاسبك على كل قرش يصرف فى غير محله . فمما لا شك فيه أن الطمع مصدره محبة المال . « ومحبة المال أصل لكل الشرور الذى اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان ، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١تى ٦ : ١٠) . والنفس الجائعة لا شبع لها ، بل دائماً تطلب المزيد . ومن أحب الفضة لا يشبع من فضة . وكثيراً ما يكون الطمع هو محبة المال مجلبة للهلاك والخراب كما حدث لجيحزى تلميذ أليشع النبى قديما عندما طمع فى مال نعمان السريانى الأبرص فسعى وراءه واشتهى أن يأخذ مما قد رفضه سيده أليشع ، وكان متعطشا للثراء مستعبدا لمحبة المال فأخذ من نعمان الشيء الكثير وادخله الى بيته وعاد يقف أمام رجل الله الذى سأله قائلا : « من أين يا جيحزى ؟ فقال لم يذهب عبدك الى هنا أو هناك . فقال له : ألم يذهب قلبى معك حين رجع الرجل من مركبته للقائك ؟ أهو وقت لأخذ الفضة ولأخذ ثياب ، وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد وجوار . فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك الى الأبد ، وخرج من أمامه أبرص كالثلج » (٢مل ٥ : ٢٥ ــ ٢٧) ولعل هذا أيضا يذكرنا بحادثة يهوذا الاسخريوطى « الذى ذهب الى رؤساء الكهنة ، وقال : ماذا تريدون أن تعطوني من الفضة وأنا أسلمه لكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه » (مت ٢٦ : ١٤ ــ ١٦) . وكان حبه للفضة أن يبيع سيده بهذه الدريهمات القليلة حتى سقط من درجته الرسولية ، وأخيراً صارت « داره خرابا وأخذ

وظيفته آخر » (مز ١٠٩ : ٨) . فكم كان الطمع وحب المال سببا فى خراب البيوت ، وانهيار الأسر الآمنة .

ثالثا ــ الأنانية ومصدرها محبة الذات :

قال الآب نستاريون : ان اللص كان على الصليب وبكلمة واحدة تزكى ، ويوداس كان من جملة الرسل ، وفى ليلة واحدة أضاع كل شيء ، من أجل ذلك لا يفتخر أحد من صانعى الحسنات ، لأن كل الذين وثقوا بذواتهم سقطوا . وتصدر الأنانية من محبة الذات وهى من جوانب الكبرياء والأنانية ، تفقد الإنسان الأحاسيس والمشاعر نحو الآخرين وتركز كل اهتمامه بذاته فقط وتجعل الانسان لا يعيش إلا لنفسه فقط ولقد قيل : ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط .

والانانية تجلب البغض . قال ماراسحق : الذى يبغض صورة الله لا يمكن أن يكون محبوبا من الله . وتبذر عوامل الشر والكراهية . وتنتزع المحبة من القلوب ، فلا حساب لصغير مع كبير ولا اكتراث للكبير مع الصغير . ويعيش الانسان بها مزهوا فخورا . يطلق البخور للصنم أنا وليس أمامه إلا أنا صباحاً ومساءً دون أن يعلم أن ذلك سيقود الى الخراب والانهيار . ويحدثنا العهد القديم عن جليات الجبار الذى وقف أربعين يوما يعير صفوف الله الحى متفاخراً بقوله : « أى اله يخلصكم من يدى ؟ وهو لا يعلم أنه بحجر صغير بكف مقلاع الفتى داود سوف يحطم كبرياءه وانانيته فيقتل ويقطع رأسه وينهزم جيشه . ويصير داره خرابا » (١صم ١٧ : ١٦) .

هو ذلك البيت المتحد ، البيت القوى باتحاده ، الذى لا ينطفىء نوره ولا تختفى سعادته . ليس فى العالم كله مكان يضاهى البيت السعيد جمالا وراحة . فأينما سافرنا وأينما نزلنا ، لا نجد أفضل من البيت الذى يخيم عليه ظل السعادة . فالسعادة والبيت كلمتان مترادفتان فى المعنى اذا عرف رباه ــ الأم والأب ــ ان يعيشا العيشة الهنيئة الصحيحة . إن البيت هو البقعة المباركة العزيزة الحلوة فى كل الأرض أكثر من أى بقعة أخرى . قال أحد المؤمنين لا تنسى أبداً ان حياتك البيتية هى الكتاب المقدس الذى يقرأه ابنك وابنتك وزوجتك . إنهم يقرأونه بكل دقة . لنفتح لله بيوتنا حتى يدخل يتعشى معنا ونتعشى نحن معه ولنصلِ دائماً حتى يستطيع رب كل أسرة أن يقول ولله المجد من الآن والى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من الصوم الكبير

القلب والشيطان

« لأن من القلب تخرج أفكار شريرة ... » (مت١٥:١٩) .

يقوم القلب بدور خطير فى حياة الإنسان الروحية والجسدية ، مرتفعاً به أو هابطاً به ، حياً أو ميتاً ، لذلك يقول الحكيم : « فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة » (أم٤:٢٣) . ولقد طلب سليمان الحكيم شيئاًواحداً لا غير « اعط عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر » (١مل٣:٩) واستجاب له الرب وقال له : « هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك » (١مل٣:١١ ، ١٢) .

القلب هو ساحة قتال ومنطقة حرب بين الله والشيطان ، بين الخير والشر ، الحياة والموت . يقول السيد المسيح : « إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد ، ثم يقول أرجع إلى بيتى الذى خرجت منه ، فيأتى ويجده فارغاً مكنوساً مزيناً ، ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أُخر أشر منه ، فتدخل وتسكن هناك . فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل » (مت١٢:٤٣ــ٤٥) .

إن يسوع المسيح يصور القلب البشرى كساحة قتال تملؤه قوات الخير أو قوات الشر . ولا يمكن أن يكون هناك أرض محايدة دائمة ، وكذلك لا يمكن منع هذا الجانب من الاحتلال النهائى ــ إما الله أم الشيطان ، فلابد أن يكون المالك للقلب هذا أو ذاك بهذا علمَّ المسيح ، وهذا أيضاً ما تُعلمّ به المسيحية اليوم وغداً .

إن العلم الحديث يثبت وجهة نظر الكتاب المقدس عن الإنسان كشخصية رابطة الجأش وسيد مصيره ، بل كميدان لقوات الخير والشر المتصارعة ، عرضة لاحتلال قوات إبليس من جانب ولغزوة النعمة الفادية من الجانب الآخر .

وليس معنى هذا أن الإنسان قضى عليه أن ينحاز إلى جانب الشر أو إلى جانب الخير ، ولكن ليعلن أنه يوجد طريقان وقوتان ومبدآن . فيوجد الطريق الصاعد إلى فوق ، والطريق المنحدر إلى أسفل ، كما يوجد قوة المسيح وقوة الشيطان ، ويوجد المبدأ الصالح والمبدأ الشرير .

فأى طريق نسلكه ؟! .. وأى مبدأ سيملك علينا ؟! ومن سيكون معنا ، المسيح أم الشيطان ؟ فعلينا أن نختار !! إن ميزاناً دقيقاً للمصير مسلّم لكل واحد منا ، والله لا يمسه والملائكه لن تقربه وإبليس لن يستطيع أن يحركه . ولكن الإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يقرر مصيره . نعم ، هو وحده الذى يمكنه أن يلقى ثقله فى الكفة بنفسه ، يمكنه أن يقرر فى أى اتجاه تتحرك إبرة الميزان وأية قوة ستكون هى السائدة على قلبه وحياته كلها .

إن الشيطان إذا سُمح له بالدخول إلى الحياة أو إلى القلب ، ففى الوقت المناسب يسيطر على الإنسان كله « فدخل إبليس فى يهوذا الذى يدعى الإسخريوطى ، وهو من جملة الاثنى عشر ، فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم ، ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة » (يو١٣:٢٧) .

إن ذلك التلميذ ، يهوذا ، الذى احتل الشيطان قلبه ، جعله يساوم أولئك القادة الدينيين الذين تسكن الشياطين قلوبهم وأسلم مخلص العالم إلى أيدى رؤساء الكهنة ، وكانت النتيجة صلب المسيح .

إن القديس يوحنا يضيف عبارة لها دلالتها « خرج (يهوذا) للوقت وكان ليلاً » (يو١٣:٣٠) . نعم كان بالنسبة ليهوذا ليلاً طبيعياً ، وكان ليلاً روحياً دون أن يظهر فيه نجم رجاء واحد . فذاك الذى كان يملك أن يتألق كأبهى النجوم فى سماء الإنجيل الخالد قاده الشيطان ليضع حبلاً يلفه حول عنقه ، ففعل وخنق نفسه فى شجرة ، وتحت ثقل جسمه انقطع الحبل تاركاً جسماً مجندلاً ليكون وليمة للدود والنار التى لا تطفأ أبداً . هذا مثال ورمز صامت لعاقبة خدمة الخطية واللذات والشيطان وتسليم القلب له .

لكن كيف نستطيع أن نقهره ؟!

يمكننا أن نقهره ونغلبه عندما نستطيع أن نطرده من قلوبنا ، وبعد أن نغسله من آثاره الآثمة ونحرره من عبودية إبليس وهذا فى أمور كثيرة نذكر بعضاً منها :

الأمر الأول ـــ بدم المسيح :

« وهم غلبوه بدم الخروف » (رؤ١٢:١١) . نعم فالجلجثة (الصليب) هى دائماً الجواب الأساسى . إن الشيطان حاول أن يجعل الجلجثة الهزيمة الأخيرة ، ولكن يسوع المسيح له المجد جعلها ساعة النصرة المجيدة الظافرة « لكى يبيد ذاك الذى له سلطان

الموت ، أى إبليس » (عب١٢:١٤) .

إن غضب الله المشتعل ضد الخطية قد أحرق ما هو حول الجلجثة ، حيث يمكنك أنت ويمكننى أنا أن نجتمع حول صليب الرب يسوع المسيح ، آمنين من نيران الهلاك . ابدأ سيرك إلى السماء عند صليب الجلجثة كن قريباً من الصليب والمسيح طول طريق سياحتك ، مواظباً على ممارسة الأسرار المقدسة التى تطهرك من كل إثم وخطية .

الأمر الثانى ـــ بكلمة الله :

إن كلمة الله أكبر سلاح رادع لأسلحة الشيطان . والعجيب أن إبليس نفسه كان يستخدم هذا السلاح ، أليس هذا عجيباً ؟!

لقد نجح الأسقف تيموثيوس فى قيادته للكنيسة لأنه كان « منذ الطفولية يعرف الكتب المقدسة ... » (٢تى٣:١٥) . حقاً إن « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون إنسان الله كاملاً متأهباً فى كل عمل صالح » (٢تى٣:١٦،١٧)

ويقول القديس بولس شاهداً لقوة الكلمة « لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » (عب٤:١٢) . ثم يقول أيضاً « خذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله » (أف٦:١٧) .

بعد أربعين يوماً قضاها السيد المسيح صائماً ومصلياً كان ضعيفاً ومعيياً بالجسد كإنسان تام . ففى هذه الساعة ، ساعة الضعف الشديد ، جاء الشيطان إليه بتجربة قوية تكاد أن تكون قاهرة:

جاء أولاً المجرب وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب وقال السيد المسيح : « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت٤:٤) وفى المرة الثانية : أوقفه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت أنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك . فقال له يسوع : « مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك » (مت٤:٧) أما فى المرة الثالثة : يقول الكتاب المقدس : ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عالٍ جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع : « اذهب

ياشيطان ، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (مت٤:١٠) .

الأمر الثالث ـــ وسائط النعمة :

النعمة الإلهية سلاح جبار لو حصل عليها الإنسان لاستطاع أن يقهر إبليس وكل قواته ، كما قال السيد المسيح : « هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم » (مت١٧:٢١) .

إن الصلاة هي باب الانتصار ، كما يقول القديس يوحنا الدرجي « إن المحن والعثرات والعوز والضيقات التى تحل بالإنسان لا يمكنه أن يحتملها أو ينتصر عليها إلا بمعونة الله التى تعطى للذين يسألونه فى الصلاة » .

لقد انتصر آباؤنا فنقلوا جبل المقطم ، وغلبوا بذلك مؤامرة اليهودى الذى باع نفسه للشيطان ، فدبر هذه المكيدة . ولكن الكنيسة غلبته بالصلاة .

وانتصر أبونا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أبو الرهبان بالصلاة على قوات الظلمة فى البرية . « أما منتظرو الرب فيجددون قوة ، يرفعون أجنحة كالنسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون » (إش٤٠:٣١) .

يقول السيد المسيح : « اسهروا إذن وتضرعوا فى كل حين لكى تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون .. » (لو٢١:٣٦) .

لقد صعد موسى النبى إلى الجبل ، فانتصر شعبه بقيادة يشوع بن نون . وهكذا نحن حين نصعد على جبل الصلاة فلابد لنا أن ننتصر على العدو .

فنشكر الله الذى أعطانا سلطاناً أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو (الشيطان) .

الامر الرابع ـــ الاتضاع :

لا شيء يغلب الشيطان إلا روح الاتضاع لأن الله « يقاوم المستكبرين أما المتواضعون فيعطيهم نعمة » (يع٤:٦) . سقط الشيطان عن طريق الكبرياء ، ولا يوجد طريق إلى غلبته والانتصار عليه إلا بمحاربة الكبرياء .

سُئل القديس مقار الكبير عن أعظم الفضائل ، فقال « إذا كانت الكبرياء أشد الرذائل حتى أنها أسقطت طغمة بأكملها من الملائكة ، فالتواضع أعظم الفضائل » .

كان القديس أوغسطينوس يصلى دائماً ويقول « يا ليتنى أعرف ذاتى وأعرفك » ويقول أيضاً فى الاتضاع : « إن الله هو أعلى » ، إن وضعت ذاتك ينحدر إليك وإن رفعت نفسك يهرب منك » . فباتضاع الإنسان يمكنه أن يقهر إبليس وينتصر عليه .

الأمر الخامس ــ مقاومته وعدم الخضوع له :

الذى علينا هو أن نقاوم الشيطان ولا نسمح له « قاوموا إبليس فيهرب منكم » (يع٤:٧) . ولذلك ينبهنا الرسول بطرس فيقول : « اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو ، فقاوموه راسخين فى الإيمان » (١بط٥:٨،٩) . أما القديس يوحنا فيشجع المؤمنين ويشهد لهم قائلاً : « وهم غلبوه .. بكلمة شهادتهم » (رؤ١٢:١١) .

إننا لا نستطيع أن نستلقى على ظهرنا أو ننام على الوسائد الناعمة حيث الراحة ثم ندخل السماء ونحن متكاسلون .

يجب علينا أن نتكلم ونشهد للمسيح . علينا أن نقف على أقدامنا إلى جانب الله ، آخذين ترس الإيمان وسيف الروح ، ونخرج لنجاهد جهاد الإيمان .. وهكذا نمسك بالحياة الأبدية » (١تى٦:١٢) .

إن أعظم ما يحتاجه العالم اليوم هو رجال ، رجالٌ لا يُشترون ولا يباعون ، رجال هم فى أعماق نفوسهم مخلصون وأمناء ، رجال لا يخشون أن ينادوا الخطية باسمها الحقيقى ، رجال ضميرهم مخلص وأمين كإبرة البوصلة ، رجال يقفون إلى جانب الحق ولو هوت السماء إلى الأرض ، رجال لهم قلوب من فولاذ لا تؤثر فيها محبة العالم ، قلوب انتصرت وملكت مع المسيح ولم يعد لإبليس أن يتسرب إليها ، قلوب تنقت من الخطية وتطهرت من الإثم وعاينت نور مجد الله « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت٥:٨) .

« إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ، فإن خلاصنا أقرب مما كان حين آمنا . قد تناهى الليل وتقارب النهار ، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور ولنسلك بلياقة كما فى النهار ، لا بالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعهر ، لا بالخصام والحسد ، بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » (رو١٣:١١ــ١٤) .

وله المجد دائماً .

الابن الضال

لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالا فوجد (لو ١٥ : ٢٤) .

مرَّ من الصوم الكبير المقدس أسبوعين والكنيسة تضع أمامنا اليوم مثلا من أروع الأمثلة هو إنجيل فى إنجيل هو بشارة للخطاة ورجاء عظيم للعصاة .

يظن البعض ان الله مثل بنى البشر الذين يمقتون الأشرار مقتاً ويتمنون لهم الهلاك والفناء سريعا . هذا مخالف للحقيقة يا أحبة الرب . لا شيء يسر قلب الله ويبهج نفسه أكثر من أن يسمع أن إنسانا خاطئا أظهر رغبته فى التوبة والرجوع إليه والتقرب منه .

ابن يقف أمام أبيه بغير أدب ولا اعتبار ... لم يخطر بباله أن الوصية الأولى . فى اللوح الثانى من لوحى العهد : « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض أول وصية بوعد » (أف ٦ : ٢) . « نسى أن الرب يسوع مثلنا الأعلى كان خاضعاً لهما » (لو ٢ : ٥١) . ولكن هو العقوق . هى الطياشة . هى محبة المال الذى ينسى الإنسان إلهه ووصاياه . الابن يشير بيديه ويرفع صوته « أعطنى القسم الذى يصيبنى من المال » (لو ١٥ : ١٢) . يريد أن يرث أباه الحى وكأنه كان ينتظر موت أبيه . ولكن عمر أبيه قد طال ولم يسرع الموت إليه بل يسير إليه بخطى بطيئة . وقف وكأنه ملاك الموت أمام الشيخ فى عناد وشر يطلب نصيبه من المال حمانا الله من عدم احترام الوالدين . « لأن العين المحتقرة والدها والمستهزئة اطاعة امها يأكلها الدود وتقودها غربان الوادى » (أم ٣٠ : ١٧) .

أخذ الشاب نصيبه من المال واستعجل فى السفر الى هذه الكورة البعيدة . كيف جرؤ ذلك الابن أن يضحى ببيته ويسافر الى كورة بعيدة ؟ كيف ضحى بحنان الأب وعطف الأم ، ذلكما الأبوان اللذان يركن إليهما الابن وهما جناحا قوة ، وأمان له . لقد عرف سليمان الحكيم قيمتهما فقال موصياً : « يا ابنى احفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك أربطها على قلبك دائماً ، قلد بها عنقك ، إذا ذهبت تهديك ، إذا نمت تحرسك ، وإذا استيقظت فهى تحدثك لأن الوصية مصباح والشريعة نور » (أم ٦ : ٢٠ ـــ ٢٣) . إنها روح التمرد والعصيان التى ساقت هذا الشاب إنسياقً وراء ما يسميه الكثيرون بالحرية ، إن الخاطىء يريد أن يبعد عن رقابة الله عن رقابة الضمير يبعد عن الكهنة والوعاظ .. « قال

الجاهل فى قلبه ليس إله » (مز ٥٣ : ١) . ماذا فى الكورة البعيدة . فيها خمر والقمار والخلاعة . والاستباحة فيها الفساد والإلحاد . وفيها أيضاً الهلاك والجوع . « البعداء عنك يبيدون » (مز ٧٣ : ٢٧) .

إن الابن الضال كرر مأساة عيسو فأستباح لنفسه الشر والعصيان وباع امتيازات البنوة ، ورفض حضن الآب . لقد انفصل الابن عن أبيه ، وهذا يمثل انفصال المؤمن عن الله . ولقد قال القديس أوغسطينوس : موت الجسد هو انفصال النفس عن الجسد ، أما موت النفس فهو انفصال النفس عن الله ، فالخاطىء يعتبر ميتا وإن كان حيا ، لأن أجرة الخطية هى موت . لقد بذر ماله بعيش مسرف وقد ألقى الابن الأكبر الضوء على حياة أخيه فى هذه الناحية فقال لأبيه أكل معيشتك مع الزوانى . إن صداقة هذا الشاب هى التى جنت عليه « فالمعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة » (١كو ١٢ : ٣٣) . والصداقة الفاسدة كثيراً ما تجر على أصحابها وبالا ولذلك قالوا :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

إن صداقة اصحاب الابن الضال لم تكن على أساس من الحب أو الاخلاص فبمجرد أن نفذ ذهبه ، ذهبوا عنه ، وبمجرد أن انتهت فضته ، انفضوا من حوله . وصدق عليه قول الشاعر :

ان قل مالي فلا خل يصاحبنى   أو زاد مالي فكل الناس خلانى

فكم عدو لبذل المال صاحبنى   وصاحب عند فقد المال خلانى

تلك هى الصداقة المغرضة النفعية .

هل غابت عنا صداقة يوناثان لداود ؟ هذه هى الصداقة العظيمة ، المحبة القوية كالموت التى لم يقف فى طريقها أى عائق أو أى معطل ، لقد انتصرت على كل شيء ... يا لها من صداقة صادقة ، ولذلك لمامات يوناثان رثاه داود بمرثاه خالدة بليغة يقول : قد تضايقت عليك يا أخى يوناثان ، كنت حلواً لى جداً ، محبتك لى أعجب من محبة النساء . كيف سقط الجبابرة ؟ والصداقة الفاسدة المفسدة أوصلته الى الجوع والفاقة . لقد اشتهى أن يأكل الخرنوب طعام الخنازير فلم يجد . لقد أنفق كل شيء وحدث جوع شديد ، فابتدأ يحتاج وبلسانه نسمعه يعترف ويصرح هذا التصريح كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعا ؟ ولكن ... ما الذى جعله يحتاج ؟ لقد بذر ماله بعيش مسرف ... ثم ... أكل معيشته مع الزوانى . التبذير ... شر لا يضبط ، والسكير والمسرف يفتقران الى رغيف خبز .

ولما ابتدأ يحتاج لم يقبله أحد بل صار مخذولا ومرذولا من الجميع وطرد من الكورة ، ولم يجد له مأوى إلا أن يعيش مع الخنازير ، ويتمرغ فى حمأتها ، ويتلطخ بقذارتها ، وتشير الخنازير الى الشياطين الشريرة والأرواح النجسة ولم يكن له بد إلا أن يعيش معها ، ويبيت فى زرائبها ، ويأكل من أكلها ويشرب من شربها ، فتهرأت ثيابه وانكشف لحماته ، وضمر لحمه وعظامه ، وتقرحت يداه وسيقانه ، وسقط على الأرض وليس له من مغيث ولا مجيب . لم يجد خبزا ولا أى طعام ، يملأ به بطنه الخاوية ، إلا الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله ، وحتى هذا الخرنوب لم يستطع أن يشبع منه ، فعندما كان يتسلق الشجرة ويهزها ، ليسقط منها شيء يأكله كانت الخنازير تسرع إليه وتأكله ولم يجد لنفسه منه شيئاً وكما تشير الخنازير الى الأرواح الشريرة والشياطين ، هكذا يشير الخرنوب الى الاثم الذى يشربه الأشرار كالماء ، والنجاسة التى هى طعامهم وشرابهم .

الرجوع الى النفس هو أساس إصلاح النفس .

والرجوع الى النفس معناه استيقاظ الضمير ،

لقد رجع الابن الضال الى نفسه وقال : كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعا . لقد أمسك فى يده ميزاناً وضع فى إحدى كفتى الميزان العالم والمال والشهوة واصدقاء السوء والزوانى وأخيراً الجوع . ثم وضع فى الكفة الأخرى البيت ورعاية الآب ، الخدم والحشم والأكل الوفير ، وبعد هذه المقارنة رأيناه وقد رجع الى نفسه . هذه صرخة الضمير الصاحى الواعى . ليتنا جميعاً نستيقظ من غفلتنا وتصحو فينا ضمائرنا .

قيل عن القديس أرسانيوس الذى كان يشتهى البطريرك أن يأتى اليه ويأخذ منه بركة ، أرسانيوس هذا كان يبكى على خطاياه حتى تساقطت رموش عينيه . لقد كان ضمير أرسانيوس القديس يقظاً جداً حتى أنه كان يبكى بمرارة وبصوت مرتفع على خطاياه حتى أن تلميذه كان يسمعه ، ومرة قال له تلميذه لماذا تبكى يا سيدى ؟ قال له القديس أرسانيوس أبكى على خطاياى وجهالاتى . فقال له تلميذه حتى أنت يا سيدى لك خطايا . فقال له الشيخ القديس صدقنى يا ابنى لو كشف الله خطاياى لما كان يكفى ثلاثة أو أربعة رجال ليبكوا عليها . إننا فى حاجة ماسة الى جلوسنا الى أنفسنا . وإلى يقظة ضمائرنا .

بعد أن رجع الى نفسه وقارن بين حالته التى آلى إليها وحالته التى كان عليها ، قرر الرجوع الى أبيه . وهكذا نحن علينا أن نفكر فى أنفسنا ثم نفكر فى الله والرجوع اليه . أقوم وأذهب الى أبى . قال الشاب أقوم الآن ، الآن وليس غداً أو بعد غد . الابن الضال

يقوم من نومه لا بل من موته : كان ميتا فعاش . استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح .

سئل يوماً أحد القديسين : متى أتوب يا سيدى ؟ عرف الشيخ نفسيته ورغبته فى حياة العالم ، فقال له العب الآن ، أعمل ما تشاء الآن ، ولكن فى اليوم الذى يسبق مماتك تب . فابتهج الشاب ولكنه عاد يقول للقديس : ولكن يا سيدى لم تخبرنى بعد متى سأموت ؟ قال القديس ألا تعرف يوم مماتك ؟ قال لا . قال إذن تب اليوم . قال الوحى : « اسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحا لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياما وما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا » (مر ١٣ : ٣٣ — ٣٧) .

الى متى تنام أيها الكسلان ؟ متى تنهض من نومك ؟ إنها الآن ساعة لتستيقظ ؟

علينا أن نطلب رحمة الله حين نرجع اليه فيقبلنا . « يا أبى أخطأت فى السماء وقدامك ولست مستحقاً أن أدعى لك إبناً إجعلنى كأحد أجراك » (لو ١٥ : ١٨ — ١٩) . يا له من انسحاق عميق . يا له من اعتراف ذليل . ومنذ أن طرقت هذه الكلمات اسماع الأب الرحوم الشفوق الذى وقع على عنقه وقبله فرحا قبل أيضا توبته بعد اعترافه ، وكان هذا كافيا لرد اعتباره كأبن فى بيت الآب وكانت التوبة مع الاعتراف سر من الأسرار المقدسة التى يحصل بموجبها الإنسان الخاطىء على غفران خطاياه . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا ، ومن يكتم خطاياه لا ينجح . أليس هذا دليلا على ما ينبغى أن يفعله كل خاطىء ؟ أليس هذا تأكيدا لحقيقة الاعتراف بالكنيسة ؟ إن آدم عندما أخطأ خطيته المعروفة لم يتركه الله بل مهد له طريق الاعتراف بخطئه وسأله : « هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها » (تك ٣ : ١١) وهنا نستمع إلى أقوال القديسين أغريغوريوس وأوغسطينوس فى هذا الشأن فيقولان : إن الله سأل الإنسان الأول والمرأة الأولى قبل أن يحكم عليهما لما خالفا ناموسه ، وذلك ليقدم لهما سببا للاقرار بذنبهما فينالا الغفران باعترافهما الذليل الوضيع . ألم يقل السيد المسيح لتلاميذه : « الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء » (مت ١٨ : ١٨) . نعم إن الاعتراف بالخطية أمام كاهن الله العلى قد يخجلك أيها الخاطىء ، وقد تعتذر وتحتج بأن حياءك يمنعك من الاعتراف . ولكن هذا الاعتراف له نتائج خلاصية وهى :

١ — غفران الخطية (مز ٢٢ : ٥) ، (اش ٥٥ : ٧) ، (يو ٢٠ : ٢٣) ، (١يو ١ : ٩) .

٢ ــ محوها تماما وعدم ذكر الله لها (اش ٤٤ : ٢٢) ، (خر ١٨ : ٢٢) .
٣ ــ خلاص النفس فى يوم الرب والحصول على رجاء الحياة الأبدية فى المسيح يسوع (لو ١٩ : ٩) ، (١كو ٥ : ٥) .
٤ ــ التطهير من أدناسها والتبرير منها (مز ٥١ : ٢) ، (لو ١٨ : ١٤) .
٥ ــ النجاة من قصاصها المعد للمصرين على آثامهم (مت ٣ : ٧ ، ١٠) ، (لو ١٣ : ٣ ، ١٩ : ٤٢ ــ ٤٤) .
٦ ــ المصالحة مع الله بربنا يسوع المسيح الذى صالحنا بدمه ونقض السياج المتوسط أى العداوة (رو ٥ : ١) ، (أف ٢ : ١٤) ، (٢كو ٥ : ١٥ ــ ٢١) .
٧ ــ الحصول على مرتبة البنوة التى يفقدها العصيان على أبينا السموى (لو ١٥ : ١٨ ــ ٢٤) .

فى اختصار نريد بنعمة الله ان ننتقل بحديثنا الى الأب .
ماذا كان موقف الأب مع الابن الضال ؟؟

١ ــ ترقب وانتظار :

واذا كان لم يزل بعيداً رآه أبوه . إن دل هذا على شيء فإنما يدل على ترقب الأب منذ اللحظة التى غادر فيها ابنه المنزل . لم يهدأ له بال ، ولم يقر له قرار ، ولم تغمض له عين طالما كان ابنه بعيداً عن احضانه .

٢ ــ استقبال حار :

تحنن .. ركض .. وقع على عنقه .. وقبله .
لو رجعنا الى الوراء قليلا نرى مشهداً جميلا .
نرى يعقوب الأب الشيخ يعانق يوسف المحبوب صاحب القميص الملون . « وقع على عنقه وبكى على عنقه زمانا » (تك ٤٦ : ٢٨ ــ ٢٩) . لقد أظلم العالم فى عينى يعقوب حين سمع أن ابنه مات ، فلما سمع خبر حياة يوسف تقول إحدى القصص أن ثوب يوسف طرح على عينيه فأبصر ، قال كفى يوسف ابنى حى بعد . أذهب وأراه قبل أن أموت ، ولما ظهر يعقوب لابنه « وقع على عنقه وبكى زمانا ... » (تك ٤٦ : ٢٩) . إنها دموع الفرح والبهجة بعودة الابن الضال يوسف . نفس المشهد ونفس الرواية .. إنها قصة الابن الضال فى العهد الجديد : « رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله » (لو ١٥ : ٢٠) . حنان لا نظير له ... وقبله من الأعماق .

٣ — رد اعتبار :

« اخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتماً فى يده وحذاء فى رجليه ، وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح ، لأن ابنى هذا كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد » (لو ١٥ : ٢٢ — ٢٤) . إن الحلة الأولى : يراد بها رد اعتبار رد النعمة والمحبة والحكمة السابقة للابن الضال . « فرحاً أفرح بالرب ، تبتهج نفسى بإلهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص كسانى رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ، ومثل عروس تتزين بحليها » (اش ٦١ : ١٠) .

حلة لم يدفع فى ثمنها شيئاً . لأن يسوع وحده هو الذى دفع ثمنها . دفعه غالياً فوق عود الصليب » . « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب بل بدم كريم كما هو من حمل بلا عيب » (١بط ١ : ١٨ ، ١٩) . أما الخاتم : فإشارة الى العودة للبنوة المفقودة ، وقد ذكر لنا الوحى بأن فرعون حين وثق فى يوسف وشهد له قائلا : « هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله . نراه يخلع خاتمه من يده ويجعله فى يد يوسف ويلبسه حلة ملوكية جميلة ، كل هذا دليل على رضا فرعون على يوسف وقبوله لديه » (تك ٤١ : ٣٨ — ٤٢) .

أما الحذاء : الذى أمر الأب بإلباسه للابن فيشير الى الطريق الجديد الصالح ، لذلك نسمع بولس الرسول يوصى المؤمنين قائلا « فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام » (أف ٦ : ١٤ — ١٥) .

وأما الذبيحة المسمنة : فإنما إشارة الى وليمة الخلاص التى قدمها حمل الله عن خطايا العالم . « وقدم ابن الله نفسه ذبيحة لكى كل من يأكل منه يحيا ولا يموت » (يو ٦ : ٥٤) .

فلنرجع الى الله عن طريق غوايتنا ، فهو يرقب رجوعنا وعودتنا ، وعندما نرجع اليه نرى القلب الكبير الرحيم يرحب بنا . ونسمع صوت الفرح والبهجة يعلن لنا افرحوا معى لأن ابنى هذا كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد .

نرى الإبن الأكبر يعاتب أباه ها أنا أخدمك سنيناً .. أراد أن يوغر صدر أبيه ويذكره بما جناه الإبن الأصغر . ولكن حنان الأب ورحمته غلبا هذه الأقوال فما أعظم محبة الله للتائب . إن الابن الأكبر يرمز لأمة اليهود . الشعب الحسود الذى حسد الأمم لما رجعوا ولم ينظر الى البركات الكثيرة التى نالها ولم يقدرها . « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) . أما الابن الأصغر فيشير إلى جماعة الأمم غير اليهود . الذين كانوا بعيدين عن

رعوية الله وعن شركة النعمة ، ومع ذلك فقد قربهم الله إليه . وأدخلهم حجاله ومتعهم فى بيته ، وتم فى هذا المعنى قول الوحى عن السيد المسيح له المجد : « وأما الذين قبلوه فقد أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه » (يو ١ : ١٢) .

يا للبركات التى نلناها فلنحرص عليها ولا نبتعد عن أبينا مرة أخرى . الأب فى سروره وفرحه يعلن لإبنه الأكبر ويكرر ما قاله للخدم « ينبغى أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالا فوجد » (لو ١٥ : ٣١) . فلنذكر أننا فى حالة البعد عن الله نكون أمواتاً . « كنا أموات بالذنوب والخطايا » (أف ٢ : ١) . وعند عودتنا لبيت الآب نعيش ونحيا . والآن نكتفى بهذا القدر ، فماذا بقى لنا من كلام ؟ لا شيء سوى أن نرجع كما رجع الابن الضال ، وأن نتوب كما تاب ، وأن نودع أصدقاء السوء ، وأن نعترف بخطايانا ونتغير عن أشكالنا بتجديد أذهاننا لنختبر ما هى إرادة الله المرضية الكاملة .

الرب قادر أن يردنا إليه ، ويقرب البعيدين الذين يعيشون فى كورة الحرية الفاسدة ليجددهم ويحررهم . « إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٦) .

وله المجد الدائم من الآن والى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الرابعة من الصوم الكبير

ليكن لك كما تريدين

يا إمرأة عظيم إيمانك (مت ١٥ : ٢٨) .

لم نسمع فى هذا العصر ، ولا العصور السابقة ، إنساناً احتاج لأمر ما ، سواء كان مرضا أصابه ، أو عوز ألم به ، ذهب الى شخص بشرى يثق فيه أنه لا يرجعه خائبا وطلب منه هذا الأمر فأجابه هذا الشخص قائلا : ليكن لك ما تريد . ولماذا ؟ لأنه ليس صاحب السلطان المطلق على كل شيء كالله . ولكن إذا كان هذا الشخص حكيماً ماهراً فيصف له الدواء ولكن ليس فى استطاعته الشفاء . واذا كان رئيسا عظيما وسألته لأجل حاجة ما ، يعمل كل ما فى وسعه لما يوصلك الى ما تبتغيه من جهة حاجتك ، ولكن ليس فى استطاعته أن يقول لك ليكن لك ما تريد .

وهكذا كل انسان تثق فيه أن عنده مرهما لجرحك ليس فى استطاعته أن يقول لك ليكن لك كما تريد . لكن أتريد أن يكون لك كما تريد ؟ تعال الى يسوع صاحب العطايا الصالحة والمواهب التامة . الذى يهب لك ما تطلبه فى أوانه إذ يقول : « اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، أقرعوا يفتح لكم » (مت ٧ : ٧) . « هو الذى يعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً » (رؤ ٢١ : ٦) . ذهبت اليه امرأة كنعانية يقول عنها معلمنا مرقس الإنجيلى أنها أممية فينقية سورية وطلبت منه أن يتكرم عليها بشفاء ابنتها لأن ابنتها كانت مجنونة جداً . وقالت له : « يا سيد أعنى ، ابنتى مجنونة جداً . فقال لها : « ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها من تلك الساعة (مت ١٥ : ٢٨) . ولماذا أجاب يسوع هذه المرأة بهذا الجواب فى الحال الذى هو كل ماتبتغيه منه له المجد ؟ مع العلم بأنه كثيراً ما نطلب منه تعالى طلبات لا تعطى لنا فى الحال كما أعطيت ونالت هذه المرأة ؟ الجواب على ذلك هو للأمور الآتية :

أولا ـــ شعورها بأن يسوع هذا هو الله :

لأنها لما أتت إليه قالت له أعنى يا سيد . وهذه كلمة لا تقال إلا للخالق العظيم ، لأنه هو المعين وحده وهو الذى « به نحيا ونتحرك ونوجد » (أع ١٧ : ٢٨) لأنها رأت أن كل الذين يصابون بأمراض مختلفة يأتون إليه فيشفون وجميع الأمراض العضالة التى عجزت الأطباء عن شفائها زالت بقوته فأتت اليه صارخة بصوت عظيم « يا سيد أعنى . فقال لها

ليكن لك ما تريدين . مع ملاحظة أن هذه المرأة لابد أن تكون قد ذهبت إلى أطباء بابنتها فلم تفدها شيئا ، ولكنها لما رأت يسوع يقول كلمة للمريض فيشفى تركت أطباء العالم طارحة إياهم خلف ظهرها وأتت إليه جاثية لثقتها أنه هو الخالق العظيم وأنه بيده الحل والربط طالبة شفاء ابنتها . فبناء على هذه الثقة أجابها يسوع قائلا : ليكن لك ما تريدين . فاذا وثقت فى يسوع أنه هو الذى تجثو له كل ركبة مما فى السماء وعلى الأرض ومما تحت الأرض ، وان يده أسست الأرض ، ويمينه نشرت السموات ، هو يدعوهن فيقفن معاً ، وهو أن لم يبنى البيت فباطل تعب البناؤون . وأن الرجاء بالرب أفضل من الرؤساء فلا تضع ثقتك فى أحد من الناس مهما بلغت درجته ، فكل ما تطلبه باسمه يجيبك فى الحال ليكن لك ما تريد .

ثانيا ــ لأجل تواضعها :

قال التلاميذ ليسوع : اصرفها لأنها تصيح وراءنا . فقال الرب . ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويعطى للكلاب فقالت : نعم يا سيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها . فلم تقل كيف يدعونى كلبه ، وأنا نسبى وحسبى وأصلى وفرعى وعظمتى وجاهى معروفة كما يفتخر أهل العالم بل قالت : نعم يا سيد أنا كذلك . فلأجل تواضعها هذا أعطاها الرب سؤال قلبها بقوله لها : « ليكن لك كما تريدين » (مت ١٥ : ٢٨) . فالتواضع هو الذى يرفع الإنسان ويجعل الله يعطيه سؤل قلبه .

قال الكتاب المقدس : « يقاوم الله المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة » (١بط ٥ : ٥) . « تواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعكم فى حينه » (١بط ٥ : ٦) . فاذا أردت ان تستجاب طلباتك ، اطلب بتواضع ، بانسحاق قلب ، لأن الله يستجيب للمتواضعين .

يخبرنا القديس لوقا فى بشارته (الأصحاح الثامن عشر والآية ٩) أن السيد المسيح له المجد نظر الى قوم واثقين فى أنفسهم أنهم أعظم الناس جاها ومقاما وتقوى فضرب لهم هذا المثل قائلا : « إثنان صعدا الى الهيكل ليصليا ، واحد فريسى والآخر عشار ، أما الفريسى فوقف يصلى هكذا : اللهّم أنا أشكرك انى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار ، أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما اقتنيه وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع وجهه الى فوق نحو السماء بل قرع على صدره قائلا : اللهّم ارحمنى أنا الخاطىء . أقول لكم أن هذا نزل الى بيته مبرراً دون ذاك . لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (لو ١٨ : ٩ ــ ١٤) . أفتريد أن يكون لك كل ما

تطلبه من يسوع بواسطة صلواتك من أجل احتياجاتك الجسدية والروحية ؟ أطلب متواضعاً حاسبا نفسك أنك كلا شيء وأنك كالبخار الذى يظهر قليلا ثم يضمحل . ففى الحال تسمع الصوت الإلهى من السماء قائلا لك : ليكن لك كما تريد .

« قال الله العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه . فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ، ومع المنسحق والمتواضع الروح ، لأحيى روح المتواضعين ولأحيى قلب المنسحقين » (اش ٥٧ : ١٥) .

ثالثا — لأجل عظم إيمانها والثقة التامة فى يسوع أنه يستجيب لطلبها :

فعلا لما نظر له المجد أن هذه المرأة لها الإيمان العظيم فى شخصه أنه يسمع لها ويشفى ابنتها حسب سؤل قلبها ، ناداها « يا امرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين : فشفيت ابنتها فى الحال » (مت ١٥ : ٢٨) . وهذا ما يعلمنا إياه تبارك اسمه ، وهو أن جميع ما نطلبه باسمه بإيمان نناله . وذلك بقوله : « وكل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (مت ٢١ : ٢٢) . فيا أيها المسيحى ، يجب أن تكون طلباتك بإيمان لدى الله ، لكى يعطيك ما تطلبه ، لأنه بدون إيمان لا تكون استجابة . وعليه فأطلب بإيمان غير مرتاب البتة ، لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه ، « فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب » (يع ١ : ٧) .

« الإيمان هو الثقة بما يرجى والايقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) فلنتقدم دائماً بثقة الى عرش النعمة ، لكى ننال رحمته ، « ونجد عوناً فى حينه » (عب ٤ — ١٦) .

رابعاً — لأن طلبات هذه المرأة كانت طبق إرادة الله :

لم تطلب هذه المرأة الانتقام من أعدائها ، ولا الشر لجيرانها وأصدقائها ولا أن تكون غنية ذات ثروة كبيرة دون غيرها ، ولا أن يكون لها النسب والحسب العالمى ، بل طلبت شفاء ابنتها ، وهذا طلب يسر به الله لذلك لم يؤخر عن ابنتها الشفاء ، بل تبارك اسمه قال لها ليكن لك كما تريدين . ففى الحال نالت ابنتها الشفاء التام .

قال الكتاب المقدس : « وهذه الثقة التى لنا عنده ، أى عند الله ، أنه ان طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا » (١يو ٥ : ١٤) . فأجعل كل طلباتك تكون حسب قصد الله ومشيئته لا حسب أهوائك الجسدية ، فتسمع صوت الله العزيز من السماء الذى يفرح قلبك بقوله : ليكن لك ما تريد .

تراءى الله لسليمان الحكيم وقال له : إسأل ماذا أعطيك فلم يطلب سليمان من الله

أياماً كثيرة ولا غنى ولا أنفس أعدائه ، بل طلب الحكمة . نظر سليمان الى نفسه ، فوجد أنه فى مركز عظيم ، وهو يحكم على ألوف من النفوس وهو يملك على شعب أعظم من كل شعوب الأرض ، وان عليه مسئولية عظيمة أمام الله نحوه .. أى نحو هذا الشعب . فى حين أنه فتى صغير . فقال سليمان لله : « إنك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة ، وملكتنى مكانه ، فالآن أيها الرب الإله سيثبت كلامك مع داود أبى ، لأنك قد ملكتنى على شعب كثير كتراب الأرض ، فأعطنى الآن حكمة ومعرفة لاخرج أمام هذا الشعب وأدخل ، إذ من ذا الذى يقدر أن يحكم على شعبك هذا العظيم » ؟ (٢أى ١ : ٨ — ٢٠) . فرأى الله أن كل ما طلبه سليمان هو حسب قصده ومشيئته لأن سليمان لم يطلب الحكمة لينفقها فى شهواته وملذاته العالمية ، كلا ، بل لكى يعرف أن يدبر بها شؤون هذا الشعب العظيم ، ويميز ما هو خير وما هو شر فى وسطه ، ويعطى كل واحد حقوقه لكى لا يقع تحت دينونة . لذلك أعطاه الله كل سؤل قلبه وأعطاه « غنى وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبله ولا للذين بعده » (٢أى ١ : ١٢) . وهكذا ما يعمله الله من نحونا فى استجابة طلباتنا متى رآها أنها حسب قصده تعالى . ففى الحال يتنازل ويعطينا ما طلبناه منه ، لأنه هو قريب لمن يسأله ، وهو مستعد أن يعطى كل واحد حسب سؤل قلبه من غنى مجده ، « لأن ربا واحداً للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به ، لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٢ — ١٣) وهو « الذى لم يشفق على ابنه ، بل بذله لأجلنا أجمعين فكيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء » (رو ٨ : ٣٢) .

فأنظر أيها المسيحى الى هذه المرأة ، لما وجد يسوع له المجد هذه الشروط التى ذكرناها آنفاً متوفرة فيها أعطاها سؤلها . فكم بالحرى نحن المسيحيين المؤمنين باسمه . اذا وجد الله هذه الشروط فينا ؟ أفلا يتنازل جل جلاله ويعطينا ما نحتاج اليه فى هذا العالم ؟ فالله يساعدنا جميعاً حتى نقوم باتمام هذه الشروط الأربعة لكى فى جميع ضيقاتنا وأحزاننا وشدائدنا وتجاربنا يكون الله معنا ، إذ يقول :

وتطلبوننى فتجدوننى اذ تطلبوننى من كل

قلوبكم . وله المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من الصوم الكبير

المسيح والطبيعة

« تأملوا الزنابق كيف تنمو . لا تتعب ولا تغزل .... » (لو١٢:١٧) .

ألقى الرب يسوع موعظة الجبل ، وفيها وضع أسس الدستور للعهد الجديد . وقد ضمنها التعاليم والمبادىء الذى جاء من السماء ـــ كالمعلم الأعظم ـــ لينشرها بين الناس .

وفى هذه الموعظة تكلم يسوع عن أهم الأسس والمبادىء لعلاقة الإنسان مع الله ثم لعلاقة الإنسان مع الإنسان . وفى حديثه عن علاقة الإنسان مع الله لمس نواحى عديدة كان من بينها ناحية الاعتماد عليه فى مطالب الحياة . وفى هذا الحديث رأينا ناحية خاصة تتجلى فى حياة يسوع ، وتلك هى ناحية تقديره للطبيعة ونظرته الخاصة إليها . فقد تكلم يسوع عن زنابق الحقل وعصافير السماء كلاماً كان ينبىء عن أشياء كثيرة ، وجدير بنا أن ندرس هذه الناحية فى حياة يسوع .. يسوع والطبيعة .

وأول ما يستلفت أنظارنا هو أن يسوع قد تحدث عن الطبيعة حديثاً يشف عن تقديره لجمالها وتأثره بهذا الجمال . وقد ظهر هذا التقدير فى قوله عن زنابق الحقل : « أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها » (لو١٢:٢٧) كم منا يمرون على الزنابق وينظرون إليها دون إن يحدث منظرها فى نفوسهم أى تأثير ؟ أما يسوع فقد أثبت فى حديثه هذا أنه أعجب بجماله وقدر ما أودعه فيها من روعه د بهاء .

وفى حياة يسوع نرى صورة بارزة لشغفه بالطبيعة وسعيه إليها ، يطلب راحته فيها ، فمعظم حياته كانت فى الجبال والبحر والبستان وبين الزروع . ومن شدة شغفه بالطبيعة اتخذ منها منبره يلقى منها مواعظه ـــ فتاره كان يجلس على الجبل ويتكلم ، وموعظته الشهيرة كانت موعظة الجبل ، ومرة أخرى يدخل السفينة فى البحر ، ومنها يلقى حديثه على الناس ، كما حدث عندما دخل سفينة بطرس ، وسأله أن يبعد قليلاً عن البر ، ثم جلس ، وصار يعلم الجموع فى السفينة .

وهناك كلمة قيلت تبين لنا بوضوح كيف اعتبر يسوع الطبيعة بيته الذى يخلد إليه وفيه يستريح ، وتلك هى « ومضى كل واحد إلى بيته ، أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون » ، ومعلمنا لوقا الإنجيلي يقول لنا عنه إنه « كان فى النهار يعلم فى الهيكل وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يُدعى جبل الزيتون » (لو٢١:٣٧) وخلوات يسوع الروحية كان يقضيها كلها فى الطبيعة .. فقبل عماده ، وقبل أن يضطلع بمهام رسالته ، مضى إلى البرية حيث بقى أربعين يوماً صائماً مصلياً . ولما أزمع على اختيار تلاميذه « خرج إلى الجبل ليصلى وقضى الليل كله فى الصلاة » . وفى وقت آلامه لم يجد إلا جثسيمانى فى جبل الزيتون مكاناً يختلى فيه مع أبيه ، يصلى إليه فيه ويناجيه .

تلك كانت حياة يسوع . إنها كانت الحياة التى تجد راحتها فى الطبيعة ، فى الطبيعة تهدأ وتستريح ، وتستخدمها كأمثال وحِكم تقرب بها مفاهيم الملكوت ومحبة الله ورعايته إلى الناس فى حديث لذيذ مؤثر ومريح .

ولقد عنى يسوع بترويض تلاميذه فى هذه الناحية ليربى فيهم الاحساس بجمال الطبيعة والتوجه إليها . فكان كثيراً ما يصحبهم إلى الجبال والبرارى للاستجمام والراحة .

وفى حياة المسيحيين الحقيقيين تظهر هذه الناحية ، واضحة جلية . إن الناس يتهمون حياة التقوى بأنها الحياة الجامدة التى لا تحس بجمال فى الحياة .. حتى جمال الطبيعة . والحقيقة هى على النقيض من ذلك . فبقدر ما يتعمق الإنسان فى حياته المسيحية بقدر ما تصفو روحه وتتسامى ، تتنبه فيه حساسيته بالجمال الذى أودعه الله فى الطبيعة ، والجمال الذى أضفاه عليها ، والمسيحيون الحقيقيون هم الذين يحسون بهذا الجمال ويقدرونه ، ويعرفون كيف يتمتعون به ويجدون سرورهم فيه .

وعلى العكس ، أولئك الذين يعيشون فى الجسد .. هم الذين تنحدر بهم شهواتهم إلى أسفل ويفقدون حساسيتهم بجمال الطبيعة النقية الطاهرة ، فلا يطلبون سرورهم منها ، ولكنهم يسعون إلى الينابيع الملوثة القذرة .

والذى يحتاجه الناس هو أن تنفتح عيونهم ليتأملوا الطبيعة البريئة فيتبين ما فيها من جمال صنعته يد الخالق بحكمة فائقة ، يرونه فى زنابق الحقل وأمواج البحار وتمايل الأشجار ، وسحب السماء والوديان والتلال والجبال . فطوبى لمن أدرك ما فى الطبيعة البريئة الطاهرة من جمال وراح يطلب سروره منها لا من الغرور الباطل والوهم والخيال .

إن أول ما نراه فى حديث يسوع عن الطبيعة هو حديثه عن جمالها والبهاء الفائق الذى أضفاه عليها .

ثم تحدث يسوع عن نور الطبيعة وأثره فى معرفة الله وإدراك محبته ففى حديثه عن زنابق الحقل « إن سليمان فى كل مجده لم يكن يلبس كواحدة منها » قد أعلن لنا أشياء كثيرة عن الله .

وكان أول ما أعلنه هو وجود الله .. إن يسوع فى كلامه عن جمال الزنبقة قد أعلن علامة القصد فى الخليقة : أن هناك عقلاً مفكراً قد أبدع هذا الجمال الذى فاق فى بهائه حُلل سليمان فى كل مجده . ومن يكون هذا العقل المفكر غير الله القوى فى قدرته والعظيم فى فهمه وحكمته ؟

وعلامة القصد ظاهرة فى خليقة الله بأسرها وفى كل ناحية من نواحيها .. فى الطبيعة الصامته ، وفى الكائنات الحية الناطقة وغير الناطقة ، فى عالم النبات وفى عالم الحيوان وفى الإنسان ، فى جميع الكائنات نرى أن كل شيء قد صُنع بقصد ولغاية ، وكل ذلك فى حكمة بالغة النهاية تنبيء عن وجود صانع حكيم قوى قادر .

وفى القديم هتف المرنم قائلاً : « ما أعظم أعمالك يارب . كلها بحكمة صنعت . ملآنة الأرض من غناك » (مز١٠٤:٢٤) وفى هذه الأعمال العظيمة المجيدة رأى كتاباً مفتوحاً يُخبر بوجود الله فقال : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يديه » (مز١٩:١) .

لقد أعلن يسوع فى حديثه هذا عن وجود الله ، ثم تحدث فى الوقت ذاته عن الله كقوة فائقة القدرة .. فكم صانع كان يعمل فى حُلل سليمان ؟ وكم من الوقت كان يضيع فى إعداد كل واحدة منها ؟ ولكن زنابق الحقل أكثر جمالاً من حُلل سليمان التى تزدان بها الحقول فى كل مكانٍ ، هذه الزنابق تتكون بمجرد الكلمة الآمرة دون يد تعمل ولا وقت يبذل .

وفى هذه نرى الله فى قدرته الفائقة ، وهذا الذى نراه فى زنابق الحقل هو بعينه الذى نراه فى عمل من صنع الله . لا ، بل نلمسه فى تصرفات الله التى يُجريها معنا فى حياتنا اليومية .

وفى القديم ظهر الله لإبراهيم وقال له : « أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملاً » (تك١٧:١) وهكذا عرفه جميع الآباء « كالإله القادر على كل شيء » ، وفى هذه المعرفة وجدوا سلام نفوسهم وطمأنينة قلوبهم .

الفنان الأعظم

إن يسوع فى حديثه عن الزنبقة قد أعلن وجود الله وأعلن قدرته الفائقة ، ثم أعلن الله لنا ، كالفنان الأعظم ، أنه يصنع كل شىء جميلاً ، حتى عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويُطرح غداً فى التنور يخلع عليه من جمال صنعه ما فاق سليمان فى كل مجده .

إن الكتاب يُقرر أن الله عندما أبدع خليقته كان يرى ما صنعه فإذا هو حسنٌ وجميل . وحينما استعرض خليقته بأسرها عندما فرغ من صنعها رأى كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جداً .

ومن يستطيع أن يجهل ما فى الطبيعة من روعة وجمال .. فى الأنهار والبحار .. فى النباتات والأشجار .. فى الشمس المشرقة والقمر المضىء والكواكب المتناثرة .. فى الوديان المنبسطة وفى الجبال العالية !؟ لقد كان جمال الطبيعة موضع تأمل القديسين لأنهم كانوا يرون فيه جمال الله كما يرون فيه عظمة فنه ودقة صنعه ، وفى هذا يقول المرنم : « بصنائع يديك أنا أتأمل » (مز١٤٣:٥) .

الله فى عنايته

وفى حديث يسوع عن الزنبقة تكلم عن الله فى وجوده وفى قدرته وفى عظمة فنه .. وأخيراً تكلم لنا عن الله فى عنايته « فإذا كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويُطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا ، فكم بالحرى جداً يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان .. فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها » . وفى هذا الحديث مس يسوع ناحية من أدق نواحى الحياة وهى ناحية الخطر الذى يصيب الإنسان من الاهتمام والقلق ، فقلق الفكر كما يفسد إيماننا ويشوش على حياتنا الروحية فإنه كثيراً ما يصيبنا فى صحتنا . ونفسيتنا بأضرار بالغة تعكر علينا صفو حياتنا ، وأحياناً تقضى علينا ، وقد أثبتت التجارب أن القلب هو أعدى أعداء الإنسان وأشدهم خطراً .

ويسوع فى حديثه عن الزنبقة إنما أراد أن يعلن لنا عناية الله الكاملة بنا ، والتى فيها ما يكفى لطمأنينتنا وإبعاد القلق عن نفوسنا .

لقد وعد الله شعبه منذ القديم قائلاً على لسان موسى النبى : « والرب سائر أمامك هو يكون معك لا يهملك ولا يتركك » (تث٣١:٨) . وداود يتحدث قائلاً :

« كنت فتى وقد شخت ولم أرَ صديقاً تخلى عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً » (مز٣٧:٢٥) ولهذا يقول أيضاً : « اتقوا الرب ياقديسيه لأنه ليس عوز لمتقيه . الأشبال احتاجت وجاعت أما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير » (مز٣٤:٩ ، ١٠) ، هكذا يقول بولس الرسول أيضاً : « كونوا مكتفين بما عندكم ، لأنه قال لا أهملك ولا أتركك » (عب١٣:٥) .

لقد تحدث يسوع عن الطبيعة فى جمالها ثم عن الطبيعة فى رسالتها عن الله ، وأخيراً يتحدث عن نصحه للإنسان ليفيد من الطبيعة فى جمالها ورسالتها . وهذا النصح قد أودعه فى هذه الكلمات « تأملوا زنابق الحقل » ، فهو يريدنا أولاً أن نستمتع بجمالها .. قال الرسول بولس إن الله « يمنحنا كل شيء للتمتع » . وفى خطابه فى لسترة قال متحدثاً عن الله : « وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً » (أع١٤:١٧) .

وخلاصة القول أن الله قد وفر لنا فى الطبيعة كل ما يلزم لسرورنا وأنه يمنحنا من هذه الناحية كل شيء بغنى لنتمتع به وننعم بجماله .

وهنا يوجهنا يسوع ربنا إلى ضرورة الإفادة مما قد أعده لنا إلهنا من الطبيعة الجميلة .. إنه يدعونا أن نتأمل فيها ونستمتع بجمالها . ويسوع يرى بهذا إلى أكثر من غرض واحد .. فهو فى الوقت الذى فيه يريد أن يوفر لنا سرور الحياة وبهجتها يريد أيضا أن يوجهنا إلى الطريق السليم للاستمتاع بالحياة ويدرأ عنا شر الانحراف إلى السبل الخاطئة التى نطلب سرورنا منها ، فتجر علينا متاعب ونكبات تؤذينا فى حياتنا الروحية ، كما تقضى على سلامنا وهنائنا .

إن فى الطبيعة البريئة ما يكفى لاستمتاعنا وسرورنا . وليس غدر لإنسان يطلب سروره من غيرها . والحكيم هو الذى يقصر مسراته على الطبيعة وجمالها ، مبتعداً عن ضروب اللهو الباطل ليجنب نفسه نتائجها المريرة التى يقاسيها كل من سار وراء أحلامها الخادعة الزائلة الفاشلة .

إن يسوع عندما قال : « تأملوا زنابق الحقل » أرادنا أولاً أن نستمتع بجمالها ، ثم أراد أن نستوحيها ونأخذ ما نستطيع أن نستخلصه من الدروس النافعة منها . إنه يريدنا أن نتأملها لتكشف لنا عن الله فى قدرته وجمال فنه ودقة صنعه ، ثم فى عنايته بخليقته .

وما أشد حاجة المؤمنين إلى ساعات هادئة يقضونها فى الطبيعة البريئة ، يقرأون على

صفحاتها معانى الحب الإلهى للإنسان ودلائل عنايته الفائقة بخليقته ، فينشدون مع المرنم قائلين : إذ أرى سمواتك عمل أصابعك ... القمر والنجوم التى كونتها ... أهتف متسائلاً ... من هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده ؟ » (مز٨:٣،٤) .

ثم ما أشد حاجة المؤمنين فى ساعات الشك والضيق أن يستوحوا الطبيعة لتحدثهم عن عناية الله الفائقة ، فتدخل الطمأنينة إلى نفوسهم وتسكن ما فيها من خوف وهلع وتقيها شر الاضطراب والفزع .

هكذا كان رجال الله القديسون يفعلون ، فإنهم كانوا يقدسون أوقاتاً هادئة للتأمل فى الطبيعة البريئة ، يستمتعون بما أودعه الله من جمال فيها ويطلبون سرورهم منها ، ثم يستوحونها ليتلقوا دروساً ثمينة فى الحياة على صفحاتها .

فالمرنم يهتف قديماً قائلاً : « لهجت بكل أعمالك ، بصنائع يديك أنا أتأمل » (مز١٤٣:٥) وقيل عن إسحق إنه « خرج عند إقبال المساء فى الحقل ليتأمل » (تك٢٤:٦٣) .

فإلى الطبيعة الهادئة البريئة .. فتأملها لنستمتع بجمالها وروعتها ثم لتستوحيها ونفيد من رسالتها .

ولربنا المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد الرابع من الصوم الكبير

السامرية

من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد (يو ٤ : ١٤) .

كنا فى الأحد الماضى نتكلم عن مثل فى رجوع الخاطىء ، واليوم نحن أمام نفس خاطئة ترجع . رجعت رجوعاً حقيقياً وكانت سبب بركة . نحن اليوم أمام حقيقة لا مثل . نرى ابن الله كم يتعب من أجل الخطاة ، كان متعباً من السفر وكان ظمآناً وجوعانا .. ومع هذا كل كانت محاولة طويلة . انتهت بربحه تلك النفس الخاطئة . طلب منها ماء ليشرب ولم ترد أن تعطيه بحجة العداوة القديمة التقليدية بين اليهود والسامريين . فكان اليهودى يتنجس إذا لمس سامريا ولا يمر يهودى فى سفره بالسامرة إلا إذا كان مضطراً ، حتى صار اسم السامرى عاراً ومرادفاً لكلمة شيطان . قال اليهود عن المسيح : « إنه سامرى وبه شيطان » (يو ٨ : ٤٨) .

وقد صمم يسوع على المرور بالسامرة لينزع هذه الروح الخبيثة من قلوب تلاميذه ، وليفتح الباب لقبول الغرباء عن اسرائيل . لأنه جاء ليخلص الجميع ، والنفس ثمينة لديه بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو أى أمر آخر . أطال أناته عليها حتى طلبت هى منه ماء الحياة . أعطاها من ماء الحياة فتركت جرتها ونسيت ماء البئر . ارتوت وجرت من بطنها أنهار ماء حى . أروت مدينتها وكانت واسطة خير فرأى كثيرون من أهل مدينتها الرب يسوع المسيح ، من رآه لا يحتاج لسامرية تشرح له عنه . « لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن . لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم » (يو ٤ : ٤٢) . فاغلظت الجواب للسيد : كيف تطلب منى ماء لتشرب .. وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية واليهود لا يعاملون السامريين . وبنعمة الله وإرشاده نتأمل فى :

أولا ــ السيد المسيح والمرأة السامرية :

أ ــ مواعيد مرتبة :

جلس يسوع المسيح على البئر متعباً . الساعة السادسة يعنى (الساعة الثانية عشر ظهراً) . وفى تلك الساعة جاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء .

هل كان مجىء المرأة على سبيل الصدفة ؟

لو تقدمت فى الصباح أو تأخرت الى المساء ماذا كان جرى ؟

انها لم تأت على سبيل الصدفة أبداً . ولو تأخرت أو تقدمت لضاعت منها تلك الفرصة الذهبية . إنها لم تكن تعلم أن الله رتب هذه المواعيد ، ولكنها لابد علمت بعد أن آمنت أن كل خطوة يخطوها الإنسان هى بترتيب من الله الذى عين أزمنة كل شىء . رتب السيد المسيح له المجد أن تخرج المرأة فى تلك الساعة لتنال بركة الخلاص ولكى تكون سبب بركة لكثيرين .

ب ــ السامرية تجهل يسوع :

جهلته ورفضت أن تعطيه ليشرب وظنته يهودياً عدواً ولم تعرف أنه رب اليهود والسامريين بل هو السامرى الصالح الذى نزل من عرش مجده ليعالج المرضى بالخطايا ويشفى جراحاتهم . رفضت أن تعطيه ماء واستغربت كيف يطلب منها ماء وهو يهودى ، وهى سامرية . ثم نسمع يسوع يحدثها عن الماء الحى فيقول لها : « لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطنى لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً » . (يو ٤ : ١٠) . ثم نسمع رد الغباء فتقول : « يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحى . ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر ؟ » (يو ٤ : ١١ ــ ١٢) .

آن للسامرية أن تدهش من كلام السيد المسيح الذى يطلب منها جرعة ماء ليطفىء ظمأه وفى نفس الوقت يدعى أن لديه ماء حيا يعطيه إياها إذا ما طلبت . وحقا أن العالم يدهش من يسوع وديانته . فهى ديانة قوة ومظهرها الضعف . ديانة غنى لا يستقصى فى مظهر من الفقر . ديانة تعزية عميقة مع أوجاع وأحزان . كما يقول بولس الرسول : « بمجد وهوان ، بصيت ردىء وصيت حسن ، كمضلين ونحن صادقون ، كمجهولين ونحن معروفون ، كمائتين ونحن أحياء ، كمؤدبين ونحن غير مقتولين ، كحزانى ونحن دائما فرحون ، كفقراء ونحن نغنى كثيرين » (٢كو ٦ : ٨ ــ ١٠) .

وفى كثير من ظروفنا واحوالنا يظهر المسيح أمامنا كأن لا دلو له والبئر عميقة ولكن سرعان ما يغمرنا بمراحمه وعطفه فيقوم وينتهر البحر والريح فيحدث هدوء عظيم . لقد صدق الله يوم قال : « هلك شعبى من عدم المعرفة » (هو ٤ : ٦) . وأيضاً قول الرسول : « لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١كو ٢ : ٨) . وجهلها وغباؤها ولد فى نفسها التعصب المقيت . اسمعوها تقول للمسيح : كيف تطلب منى ماء لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية لأن اليهود لا يعاملون السامريين . وقد استرسلت فى أسلوب تعصبها فقالت . أباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه . حل لها يسوع المشكل بأنه ستأتى ساعة لا يكون السجود فى هذا الجبل ولا فى أورشليم

« لأن الله روح والذين يسجدون لله فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٤) .

وشعب السامرة مزيج من الوثنيين واليهود ، ولهذا تأصلت العداوة حتى رفض اليهود إشراك السامريين فى ترميم الهيكل بعد الرجوع من السبى ، وانتقم السامريون من اليهود بتدنيس الهيكل بعظام الموتى ، فزاد الحقد بين الشعبين ، واختار السامريون قمة جبل جرزيم لتقديم العبادة لأنها أقدم من الهيكل وأقدس منه فى نظرهم لاعتقادهم أن ابراهيم قدم اسحق ابنه على قمة هذا الجبل . والسامريون يرفضون كل الكتاب ما عدا الأسفار الخمسة الأولى لموسى النبى .

إن المسيح لم يتمشى مع السامرية فى أسلوب تعصبها ، بل انتقل الى إيجابية النقاش فقال : « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا لا يعطش الى الأبد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٢ ــ ١٤) .

وهنا نرى ماء تعطيه بئر يعقوب وماء آخر يعطيه بئر يسوع . ان بئر يعقوب ماؤها يشفى غلة تعود مرة أخرى . أما الماء الحى الذى يمنحه يسوع لطالبه فيطفىء ظمأ الروح التى لا تفنى ويعطى راحة داخلية .

كان هذا الماء الحى يعطيه يسوع للمرأة وتشرب وهى لا تشعر بطعم هذا الماء . والماء الحى لا يحتاج الى حاسة الذوق لتستطعمه . بل هو ماء الروح القدس ينبع فى قلوب المؤمنين حتى يفيض على الآخرين . ماء ينسى صاحبه ماء الدنيا المالح فينسى من ارتوى بالنعمة . مال الدنيا ومجد العالم . ويذكر يسوع وحده . ولما ارتوت المرأة قالت أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء . « قال لها يسوع الذى يكلمك هو » (يو ٤ : ٢٦) . أخبرهابكل شىء . ومن غيره يخبر بكل شىء ؟ لذلك تركت جرتها ومضت الى المدينة تروى أهلها بما ارتوت وتدعوهم إلى من قال لها كل ما فعلت ... إنه المسيح . إذ تركت المرأة جرتها ما أعظم التضحية فى سبيل المسيح .

ثانيا ــ سوخار تعرف المسيح :

كانت المرأة تجهل المسيح ، ولكنها بعد ان عرفته عرفت الناس به . وبعد أن أتوا ورأوه طلبوا منه أن يمكث فى سوخار ، فمكث يومين . وبعد اليومين قال : من آمن به للمرأة السامرية . لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن . لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم .

لا شك ان المؤمنين من أهل سوخار مدينون للمرأة السامرية بدين كبير والمرأة يشهد عنها الكتاب أنها كانت السبب فى إيمان كثيرين . « فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التى كانت تشهد أنه قال لى كل ما فعلت » (يو ٤ : ٣٩) . إن المرأة التى أفسدت مدينة السامرة كانت هى السبب فى تقديسها . المرأة التى كانت رسول الشيطان فى السامرة أصبحت رسول المسيح فى نفس المدينة وبسببها آمن به كثيرون .

إن الله يدعونا جميعاً الى الكرازة به .

لقد أمر السيد المسيح بصراحة فقال : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) . ويأمر الرسول بولس تلميذه تيموثاوس : « اكرز بالكلمة ، أعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب » (٢تى ٤ : ٢) . فالوعظ ضرورى ، كيف يسمعون بلا كارز . والرب أمر تلاميذه أن يعلموا ويتلمذوا جميع الأمم ، وأن يكرزوا بالتوبة . وبولس الرسول كان دائماً يحث على التعليم والوعظ . « أعكف على القراءة والوعظ والتعليم . لأنك اذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا » (١تى ٤ : ١٣ ، ١٦) . عظ ، وبخ ، انتهر فى وقت مناسب وغير مناسب . والرسول يقول عن نفسه ويلٌ لى إن كنت لا أبشر . ولكن لماذا نرى الخدمة فى هذه الأيام قليلة الفائدة . لأن المبشر يريد أن يظهر على حساب المسيح . لا يريد أن يعرف الناس بالمسيح ولكنه يريد أن يعرف الناس اقتداره فى الخطابة والوعظ ، وأصبح الوعظ خطابة من واعظ سواء ارتوى أو لم يرتو ، شرب هو من الماء الحى أو لم يشرب .

إن المرأة كان كل همها أن تجعل الناس يأتون إلى يسوع ، وما دامت النفس وقفت أمام يسوع فما حاجتها بالمرأة . « لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن » (يو ٤ : ٤٢) . انها أول امرأة ارسلت رسول بين الأمم . ان كل التلاميذ الى تلك الساعة لم يتعدوا أورشليم أما هى فقد تعدت أورشليم وبشرت فى مجموعها الخمس قارات ما عدا أورشليم .

يا لفخر المرأة فى مريم أم الله وفى السامرية أم المؤمنين . يا لفخر المرأة اذ عرفت كيف تستخدم مواهبها انها قلبت مدينة برمتها فى أربعة وعشرين ساعة انها قالت لأهل وطنها هلموا انظروا إنسانا قال لى كل ما فعلت . خرجت كل المدينة شيوخاً وكهولاً اطفالاً وشباناً نساء وعذارى سيدات محطمات الجسم وناقهات الصحة . المدينة برمتها بفضل تأثر المرأة .

أيها الأحباء ان القوة ليست فيها ولكن القوة فى الذى آمنت به . ان الاتصال حصل بين الله والإنسان خذوا رجلا مكهرباً روحياً وألقوه فى المدينة بعد أيام قليلة تتحول المدينة . قال

ملك الهنود لتوما الرسول : كم مسيحياً عندك فقال له قل كم وثنياً بقى .

ثالثا ــ المعلم والتلاميذ :

كل هذا .. وكل المناقشة التى كانت بين الرب والمرأة والتلاميذ فى المدينة يبتاعون طعاما . لم يرتض المسيح الحكيم العظيم أن يشهر بالمرأة السامرية أمام أحد ، بل عندما أراد أن يكشف حياتها وأسرارها صرف تلاميذه ليحضروا طعاما ، مع أنه لم يكن فى حاجة إليه بدليل أنه لم يشأ أن يأكل حينما أحضروا الطعام لديه . ثم أتوا واستغربوا أنه كان يتكلم مع امرأة . كانت المرأة لا قيمة لها عند اليهود ، كان اليهودى يفضل أن تحرق الشريعة ولا تمسسها يد امرأة ولم يرفع أحد من قدر المرأة إلا يسوع . طلبوا من السيد أن يأكل ... ولعله لم يشرب أيضاً .. لأن المرأة تركت الجرة ومضت . كان رد السيد : « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » (يو ٤ : ٣٤) .

إن رسالته هى أن يرد الضالين ويبشر المساكين ، ويرسل المأسورين الى الحرية . لكم كان شبع نفسه حين ملأ شبكة الملكوت بصيد عظيم ويا له من صيد دسم . المرأة السامرية وكل أهل مدينتها .

رابعاً ــ ان الحصاد كثير :

وهذا ما يجب على كل خادم للمسيح عليه أن يدعو الناس ليختبروا المسيح بأنفسهم .. تعال وأنظر . إن قوة الكرازة هى فى الشهادة الاختبارية كما قال داود النبى : « ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب . وكما قال يسوع لتلاميذه أن يكونوا شهوداً له الى أقصى الأرض . يجب على كل خدام الانجيل أن يدرسوا بكل تمعن هذه التعاليم . ويطلبوا من رب الحصاد أن يهبنا قوة ونعمة لنشعر بالمسئولية . ليحول أنظارنا من البحث الكثير عن لقمة العيش لنتجه بأنظارنا الى حقل النفوس وقد أبيضت . حقاً لقد أهتم يسوع بالفرد وعلمنا « أنه يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب » (لو ١٥ : ٧) . « ويكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب » (لو ١٥ : ١٠) . لقد فرحت السماء والملائكة بالسامرية الواحدة التى خلصت وتقدست بفضل المسيح الواحد .

ما موقفك أيها المسيحى من مستقبلك ؟ هل تقبل ان تشرب من الماء الحى كما شربت منه المرأة السامرية ؟ وهل تعزم ان تترك جرة خطاياك وتطرحها عند قدمى المسيح المخلص ؟ إسأل نفسك ... وليفتقدك الله برحمته كما افتقد السامرية فتصيح مع داود النبى قائلا : قلبا نقياً أخلق فىّ يا الله وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى ولربنا المجد الدائم الى الأبد آمين .

توعد الفريسيين بالموت فى خطاياهم

إن لم تؤمنوا أنى أنا هو تموتون فى خطاياكم (يو ٨ : ٢٤) .

بعد أن ألقى السيد المسيح له المجد خطابه عن نور العالم فى أوائل هذا الأصحاح ، ختم هذا الخطاب بوعيد وجهه إلى من يصرون على رفض الإيمان ، ويتضمن الهلاك الذى ينتظرهم يوم الدين . وانجيل قداس هذا الصباح المبارك الذى يتناول هذا الوعيد يبين فيه المخلص هلاك رافضى الإيمان ، وأن تفكيرهم الذى حملهم على رفضه تفكير أرضى . وأن مصدر هذا الإيمان سماوى يحتم الأخذ به .

أولا ـــ هلاك رافضى الايمان :

بدأ رب المجد يحذر اليهود المُصرين على رفضه من أن تفوتهم فرصة الايمان به مدة إقامته بينهم وهى قصيرة فقال لهم فى عيد المظال : « أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى الى الذى أرسلنى » (يو ٧ : ٣٣) . أى أننى بعد قليل سأصلب وأموت ، ثم أقوم وأصعد إلى أبى الذى أرسلنى ، وكل ذلك بحريتى ومحض إختيارى . ثم إنكم بعد ذلك ستطلبون مسيحا آخر عالمياً ، أو تطلبون عودتى ثانية فلا يكون هذا ولا ذاك لأنه لا يكون مسيح غيرى أو بعبارة أخرى أنكم أيها اليهود ستظلون تتوقعون مجىء المسيح الموعود به ، وتتوقون إليه ، وتنظرونه ملكاً زمنياً ، ومنقذاً عالمياً ، فلا تجدونه لأنه يكون فى السماء ، فتتركون فى حال اليأس والعجز لأنكم تركتمونى أنا ابن الله ، وبمثل هذا نطق هوشع النبى على إسرائيل وافرايم ويهوذا لما تعثروا فى إثمهم فقال : « يذهبون بغنمهم وبقرهم ليطلبوا الرب ولا يجدونه . قد تنحى عنهم » (هو ٥ : ٦) . وبعد أن قال لهم يسوع أنا أمضى وستطلبوننى فلا تجدوننى ابتدأ يقول وتموتون فى خطيتكم لإصراركم على الكفر وبغضكم لى ، وستطرحون فى جهنم لأنكم برفضكم لى ، وأنا الواسطة الوحيدة للخلاص ، تبقون بلا توبة ولا مغفرة ولا تبرير . وختم وعيده بقوله أنه بعدم التوبة والإيمان لا يمكنكم أن تشتركوا فى أفراح السماء وأمجادها حيث أكون أنا على الدوام مع أبى لأنى مساو له فى الجوهر .

ثانيا ـــ تفكيرهم الأرضى :

أما هؤلاء اليهود ففسروا كلامه تفسيراً يدل على زيادة بغضهم له ، إذ قالوا ألعله يقتل نفسه ، فكأنهم أرادوا أن يقولوا له إن كنت قصدت بكلامك المضى إلى دار الموتى فلا نريد

أن نتبعك إلى هناك بل سنذهب الى السماء لأننا أولاد إبراهيم الذين مصيرهم لا محالة الى السماء . وتفسير اليهود هذه المرة موافق لرغبة قلوبهم فى قتله مع أن معنى كلامه ظاهر بأنه يعود الى السماء حيث لا يمكنهم أن يأتوا كما بينه هو بقوله الآتى . أنتم أرضيون أصلا وطبعاً . وهمكم فى الأمور الجسدية . وترغبون فى غنى العالم وأمجاده . فلا تستطيعون أن تدخلوا السماء إلا إذا ولدتم ثانية ، أما أنا فقد نزلت من السماء ولا أطلب هذا العالم ، وبعد موتى سأعود إلى السماء . ثم قال لهم قد قلت إنكم تموتون فى خطاياكم التى منها الكفر ، إذ لا غفران إلا بالايمان بى . فإن لم تؤمنوا أنى أنا المسيح مخلص العالم ، وأنى الله المتجسد ، والحى منذ الأزل ، وواهب الحياة للمؤمنين ، والذى قيل عنه فى نبوة إشعياء النبى « لكى تعرفوا وتؤمنوا أنى أنا هو » (اش ٤٣ : ١٠) ، تموتون فى خطيتكم .

ثالثا ــ سمو مصدر الإيمان :

لم يفهم اليهود تماماً قصد السيد له المجد من قوله إنى أنا هو ، فسألوه قائلين من أنت ؟ وعندئذ رد عليهم قائلا : أنا من البدء ما أكلمكم أيضا به . أى أننى منذ بدء خدمتى على الأرض أوضحت لكم تماما الحق ، وذكرت مراراً ، وأقول دائماً إننى الأول والآخر ، وقد أوضحت لكم أننى الماء الحى ، ونور العالم ، وخبز الحياة النازل من السماء ، ولكنكم لم تفهموا لأن بغضكم لى وإصراركم على كفركم بى قد ختم على قلوبكم . ثم مضى يقول لهم أنه فى إمكانى أن أدينكم على أمور كثيرة وخطايا لا تحصى رداً على إهاناتكم ومقاوماتكم لى . فوق ما حكمت به عليكم من قبل ، ولكن مهما قاومتمونى ومهما توقحتم فالله الذى أرسلنى صادق ، وأنا أتكلم وأعلمّ بما سمعته منه ، وبناء على ذلك فكل ما أقوله صدق وحق ويجب على الجميع الإيمان به . ولكن بما أننى أتيت لخلاص العالم لا لدينونته فسأكتفى الآن بمخاطبتكم عن كيفية نوال الخلاص ، تاركا دينونتكم إلى يوم أجلس على كرسى الدينونة لأدين كل إنسان حسب أعماله .

ويقرر البشير بعد ذلك أنه رغم وضوح كلامه . لم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب لأن جهالتهم وكبرياءهم حالتا دون ذلك ، وظلوا على ما هم فيه من ضلال . فها قد بينا لكم أن قلة الإيمان هى أصل جميع الشرور . والإيمان هو مصدر كل عمل صالح . فيجب علينا أن نكون راسخين فى الإيمان بنعمة وتعطف ربنا وإلهنا يسوع المسيح . الذى له المجد الى أبد الآبدين . آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الخامس من الصوم الكبير

أنواع الناس إزاء المجيء الثانى

« متى جاء ابن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الأرض » (لو١٨:٨) .

لقد تعلمنا من الكتاب المقدس أن السيد المسيح له المجد « لا يأتى إن لم يأتِ الارتداد أولاً » (٢تس٢:٣) .

والارتداد ــ إما أن يكون إنكار الإيمان المسلَّم مرة للقديسين أو السلوك بروح أهل العالم الحاضر الشرير .

وفى هذه الأيام نرى روح الإرتداد ظاهرة : أولاً : فى ارتداد الناس عن الحق المقدس ، واتباعهم أرواح مضلة وتعاليم شياطين .

ثانياً : فى سلوك الناس ضد حق الإيمان فكثيرون لهم صورة الإيمان فقط ، كما قيل عن البعض : « لهم اسم أنهم أحياء ولكنهم أموات » « ولهم صورة التقوى ولكنهم منكرون لقوتها » (٢تى٣:٥) .

ومن ذا الذى تفوته صيغة الاستنكار فى سؤال السيد « متى جاء ابن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الأرض » (لو١٨:٨) . وإذا نظرنا إلى ذواتنا بإمعان كما قيل : « جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان . امتحنوا أنفسكم » (٢كو١٣:٥) تُرى ماذا يكون حكمنا على أنفسنا ؟ هل لنا حياة الإيمان الذى به نُرضى الله ؟ هل لنا الإيمان الذى غايته خلاص النفوس ؟ الإيمان الواهب القوة ، الإيمان الحى المثمر ، العامل بالمحبة ؟

إن الكتاب المقدس قسم الناس إلى ثلاثة أقسام بالنسبة للمجىء الثانى للمسيح :

١ ــ الذين ينكرون المجيء الثانى إنكاراً تاماً :

هؤلاء يتكلمون عن المجيء الثانى بنوع من السخرية والهزء « عالمين هذا أولاً أنه سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزئون ، سالكين بحسب شهوات أنفسهم ، وقائلين أين هو موعد مجيئه . لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة » (٢بط٣:٣ ، ٤) .

ليس بغريب أن يتفوه هؤلاء بهذه الأقوال ضد هذا الموضوع الهام ، لأن بطرس الرسول سبق وتنبأ عنهم .

٢ ـــ الذين يعترفون بمجىء المسيح ثانية ولا ينكرونه وإنما يقولون إن قدومه سيبطىء :

« ولكن إن قال ذلك العبد الردىء فى قلبه سيدى يبطىء قدومه ، فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى ، يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (مت٢٤:٤٨ـــ٥١) .

إنها عبارات صريحة تدل على موقف من يقولون حتى فى قلوبهم « سيدى يبطىء قدومه ولا يصرحون بذلك علناً . إنه موقف رهيب ومخيف للغاية فى نفس الوقت .. ينكر الفريق الأول المجىء الثانى ويقابلونه بروح السخرية والاستهتار ، ويعترف الفريق الثانى بالمجىء الثانى وحقيقته ، إلا أنهم يستبطئون مجيئه فى قلوبهم . القسم الأول يصرح فى كلامه بعدم عقيدته بالمجىء الثانى . والقسم الثانى يعتقدون ببطء قدومه فى قلوبهم فقط . حكم الرب يسوع على مثل هؤلاء بأنهم أردياء ومراؤون ـــ وقادهم هذا الاعتقاد إلى عدم التدقيق فى الحياة الشخصية ومعاملة زملائهم معاملة سيئة ـــ ليس الضرب بالعصا هو المقصود ، بل كثيراً ما تكون ضربات اللسان والقلم أقسى وأشد هولاً .

٣ ـــ الذين يؤمنون ويرحبون بمجىء الرب ثانية :

ألم يكن الرسول بولس ومن معه منتظرين هذا المجىء ؟ (١تس٤:١٣ـــ١٨) . وهكذا كان يتوقعه كل القديسين فى كل العصور . لماذا نتخوف من حقيقة صريحة كهذه ؟ إنها تدعو إلى السهر واليقظة والأمانة . وقد دعا الرب يسوع جماعة المنتظرين حكماء وأمناء ، وأنهم يستحقون المجازاة عند مجيئه .

مثل هؤلاء يشتركون مع يوحنا الرسول الذى عندما سمع آخر وعد كتابى « يقول الشاهد بهذا نعم . أنا آتى سريعاً » أجاب فى الحال « آمين . تعالَ أيها الرب يسوع » (رؤ٢٢:٢٠) .

ولا غرابة إذا كان الرسول بولس سينال إكليل البر ، وكذلك جميع الذين يحبون ويرحبون بمجىء الرب ثانية .

قال أحد الكتّاب « إن نوعين من يرحبون بمجىء المسيح ثانية ، وهم الروحيون والمتألمون » — ويظهر لى أنه من مقاصد الرب أنه يسمح بوقوع هذه الحرب والضيق الشامل حتى تكون الكنيسة مستعدة ، وحتى تشترك فى هذا النداء قلبياً « آمين . تعالَ أيها الرب يسوع » .

موقف المؤمنين إزاء المجىء الثانى

١ — واجبنا أن نكون منتظرين وساهرين ومستعدين :

« لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة . وأنتم مثل أُناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين . الحق أقول لكم أنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم . وإن أتى فى الهزيع الثانى أو أتى فى الهزيع الثالث ووجدهم هكذا فطوبى لأولئك العبيد . وإنما أعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب . فكونوا أنتم مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان » (لو١٢:٣٥—٤٠) .

٢ — علينا أن نطلب فى الصلاة سرعة مجيئه :

« منتظرين وطالبين سرعة مجىء يوم الرب » (٢بط٣:١٢) . « الروح والعروس يقولان تعالَ » (رؤ٢٢:١٧) .

إنه فى كل مرة سمع فيها يوحنا الرسول عن مجىء الثانى للمسيح أجاب من قلبه وبلهفة قائلاً « نعم آمين » فمثلاً عندما سمع الروح يقول : « هوذا يأتى مع السحاب وستراه كل عين ، والذين طعنوه ، وينوح عليه جميع قبائل الأرض » صلى وقال « نعم آمين » (رؤ١:٧) — ولما سمع آخر وعد كتابى فاه به الرب نفسه « يقول الشاهد بهذا نعم أنا آتى سريعاً » أجاب فى الحال وقال : « آمين . تعالَ أيها الرب يسوع » (رؤ٢٢:٢٠) وهذه هى آخر صلاة فى الكتاب المقدس .

إن الروح القدس يطلب سرعة مجىء الرب . وكذلك العروس تنتظر وتطلب سرعة مجىء الرب . ولماذا يطلب الروح سرعة مجىء الرب ؟ لأنه ساكن فينا وبيننا — ساكن فى المؤمنين الذين يحزنونه بسبب أعمالهم وعصيانهم فى السلوك وفى الخدمة مدة عشرين قرناً كاملة . احتمل فيها ارتداد وضلال الكنيسة المنظورة . وكذا هو موجود فى وسطنا

يراقب كل ما يحصل من مفاسد ومظالم على الأرض وهو . فهو يطلب لهذه الأسباب سرعة مجيء الرب .

وتطلب العروس كذلك سرعة مجيء الرب لأنه طال الزمان وهى تنتظر عريسها آتياً . إنها تتوقع ذلك اليوم السعيد ، الذى فيه تنفض غبار القبر ، وتقوم بأجساد ممجده بل وتتوق بكل تأكيد إلى اليوم المجيد الذى فيه « يحضرها لنفسه » (أف٥:٢٧) .

إن الروح والعروس يشتركان فى هذا النداء حتي يأتى المسيح ، ليس كما جاء فى المرة الأولى « وهو وديع وراكب على حمار » (زك٩:٩) — بل سيأتى فى مجد أبيه مع الملائكة القديسين بقوة ومجد كثير وسترى هذا كل عين والذين طعنوه — إن الروح القدس نفسه هو الذى أضرم فى العروس هذه الرغبة المقدسة .

العُرس

« لنفرح ونتهلل لأن عرس الخروف قد جاء وامرأته قد هيأت نفسها . وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً . لأن البز هو تبررات القديسين » (رؤ١٩:٧،٨) .

وله العز والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

أحد الوحيد (المخلع)

ها أنت قد برئت : فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشر (يو ٥ : ١٤)

الطبيب الحقيقى شافى أمراض الأرواح والأجساد يزور مستشفى بركة بيت حسدا وكان اليوم سبتاً ، ماذا عمل فى هذه الزيارة السعيدة . إنه يقف أمام مريض ، تمرد على الله ، وتمرغ فى وهدة المعاصى فعاث فى الأرض شراً وفساداً ، وداس الشرائع السماوية . وانغمس فى وحل الخطية . كانت علته شديدة الفلج وكان مطروحاً من مدة ثمانى وثلاثين سنة أنه أنعم عليه بنعمة الصحة والعافية .

وبنعمة الله نتأملُ فى هذا الموضوع فى الخمس نقط الآتية :

أولا — يسوع فى زيارة مستشفى بيت الرحمة :

بيت حسدا : ومعناها بيت الرحمة لأن الله كان يظهر رحمته بالمرضى الذين يلقون فيها . وباب الضأن : سمى كذلك لأنهم كانوا يأتون منه بغنم الذبيحة الى الهيكل ، أما البركة فشيدها سليمان الحكيم لخدمة الهيكل إذ كانت معدة لغسل ذبائح الضأن . وهى ترمز لبركة المعمودية التى بحلول الروح القدس عليها تشفى من الخطية ، وكانت بركة لها خمسة أروقة تُشير الى الحواس الخمسة وهم (النظر الشم السمع الذوق اللمس) .

كان المستشفى متسعاً . وكان مرضاه أمراضهم مستعصية عمى ، وعرج ، وعسم . وكان طبيب المستشفى ملاكاً وقيل هو ميخائيل . ولم يكن بالطبيب المقيم . بل كان ينزل احياناً فى البركة ويحرك الماء . وكان الشفاء للمحظوظين . من ينزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض اعتراه . أى أن ماءها لم يكن نافعاً ما لم يتحرك ، ويفيد هذا أيضاً أن قوة الشفاء التى لهذا الماء لم تكن طبيعية فيه بل كانت هبة من الله يودعها فيه على يد ملاكه .

وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة . وأن مرضه قد استعصى على الشفاء طيلة هذه المدة وأن المخلص اختار مرضه العضال لإظهار قدرته على الشفاء . إن من أمر بإعطاء الأجر لعيادة المرضى وزيارتهم . « كنت مريضاً فزرتمونى » (مت ٢٥ : ٣٩) . نراه اليوم فى زيارة هذا المستشفى . ان يسوع الرحيم نراه اليوم فى زيارة مستشفى بيت الرحمة . انه يعطينا الدرس العملى . فى زيارة المرضى . وليست هذه هى المرة الأولى والأخيرة

التى زار فيها يسوع المرضى أو خلع نعمة الشفاء عليهم . إن حياته العملية كلها الشفقة بمرضى الأرواح والأجساد . وكل الجمع طلبواأن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفى الجميع » (مت ٩ : ٣٥) ، (مر ٣ : ١) ، (لو ٦ : ١٩) ، (يو ٤ : ٤٧) . ولقد لخص الكتاب المقدس عمل يسوع بالقول : « الذى جال يصنع خيراً ويشفى جميع كل المتسلط عليهم إبليس » (أع ١٠ : ٣٨) .

ثانياً — شفاء المفلوج :

أو لم يكن هناك مرضى غير هذا المريض ؟ كانت الأروقة الخمسة مملوءة بأسرة المرضى . ولمَ شفى يسوع هذا المفلوج ولم يشف باقى المرضى . هل كان هذا المريض محظوظاً أو هل هناك استثناءات . حاشا لله من المحاباة فالجميع أولاده . ولكن حكمته العالية أن يشفى مريضا ويبقى الآخر فى علته . وينهض واحداً من مرضه ويسمح أن يموت الآخر بمرضه . فما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . وكان الشفاء . والشفاء العاجل بعد ثمان وثلاثين سنة ، كانت العافية والعافية التامة . « قم احمل سريرك وأمشِ فحالا برىء الانسان وحمل سريره ومشى » (يو ٥ : ٨ — ٩) .

مرض مدته ٣٨ سنة ... يعالج بكلمات قم .. أحمل .. وأمشى . والنتيجة حالا برىء . يا له من طبيب عجيب ودواء غريب . إن الأطباء اذا عالجوا مريضا وخففوا عنه وطأة المرض لا يسمحون له أن يزاول أعماله ويتناول طعامه المعتاد إلا رويداً رويداً . أما يسوع اذا ما منحنا الصحة الروحية والجسدية منحنا معها القوة على القيام بواجباتنا على الوجه الأكمل فى الحال . إن الله السخى فى العطاء ، لا يعطى إلا بسخاء ، وهب الرجل كمال الصحة حتى أن الذى كان ملقيا عند البركة مدة طويلة بلا حركة ، يقوم فى الحال ولا تحمله أقدامه فقط بل ويحمل سريره « مبارك إسم الرب إلهنا الذى قال أنا الرب شافيك » (خر ١٥ : ٢٦) .

ثالثا — اليهود والذى شفى :

وكان فى ذلك اليوم سبت . نسوا مرض المريض وطول مدته . نسوا أنهم لم يشفقوا عليه فى أثناء مرضه ويحملونه ليلقوه فى البركة متى تحرك الماء .

قدم المريض شكواه ليسوع من قساوة قلوبهم . ليس لى إنسان . وذكروا شيئاً واحداً . « أنه سبت . لا يحل لك أن تحمل سريرك » (يو ٥ : ١٠) يا للعجب فى التمسك بحرفية الناموس — إن الرجل أجابهم بأن الذى شفاه . صاحب القوة والسلطان . هو الذى أعطاه

الحل فى أن يحمل سريره يوم السبت . لقد كرر اليهود اعتراضاتهم على يسوع من أجل السبت . وكرر يسوع الشفاء يوم السبت . قالوا بعد شفاء المولود أعمى . « هذا الانسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت » (يو ٩ : ١٦) . واليوم يطلبون قتل يسوع لأنه عمل هذا فى سبت » (يو ٥ : ١٦) . سبت ... ما هذا السبت ؟ هل يترك المريض فى مرضه يشقى ويتألم لأنه سبت . « هل إذا سقط خروف واحد منهم فى حفرة فى السبت أفما يمسكه ويقيمه ؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف . إذاً يحل فعل الخير فى السبوت » (مت ١٢ : ١١ — ١٢) ولكن هذا المريض بالذات . كان مقطوعاً . ليس لى إنسان . فالمرضى الآخرون كان بجوارهم أهلهم وأقاربهم على أتم الاستعداد لحملهم بسرعة والقائهم فى البركة متى تحرك الماء . ولكن مريضنا كان بينما هو آت . بعد جهد شديد فى البحث عمن يلقيه فى البركة ، ينزل قدامه آخر ، أليس فى هذا أعظم درس لمن تركه الأهل والأقارب وأصبح بلا سند ولا عضد .

ان يسوع معين لمن ليس له معين . انه رجاء لمن ليس له رجاء . (أوشية المرضى) . هذا المريض رآه يسوع مضطجعا . طوبى لمن وقعت عليه عين يسوع وهذه العين لا تقع صدفة ، بل عندما يصرخ المتضايق بقلب عامر بالايمان وثقة وطيدة ، ينظر الله من السماء . هذا المريض بالذات ، طالت مدة علته . له زماناً كثيراً . ثمان وثلاثين سنة ! نحتاج إلى الصبر .. فى تجاربنا . اللهم املأ قلوب المجربين بالصبر .

كانت المدة طويلة وكان الليل يطول وما من نهار . واليوم تقف « شمس البر وأشعة الشفاء فى أجنحتها » (ملا ٤ : ٢) بعد طول غياب أمام هذا المريض فتجدد فيه الرجاء بعد اليأس « سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » (يع ٥ : ١١) .

أبى هبنا مع التمسك بالناموس روحا وعقلا . « لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى » (٢كو ٣ : ٦) .

لقد أكل التلاميذ من السنابل .. يوم السبت . واعترض اليهود هل يتركون جوعى لأنه سبت ؟ ولما اعترضوا قال لهم يسوع : « أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط » (مت ١٢ : ١ — ٤) . قال اليهود للذى شفى إنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريرك . لقد ثار اليهود على المسيح من أجل كسره يوم السبت . فأراد أن يعلمهم أن الانسان لم يخلق من أجل السبت بل السبت من أجل الانسان . والى الآن لا يزال جماعة

السبتيين يثورون من أجل حفظ يوم السبت دون الأحد وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السبتيين يريدون أن يعودوا بالمسيحية الى الأركان الضعفية التى عناها بولس الرسول يوم قال : « وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحرى عرفتم من الله فكيف ترجعون أيضاً الى الأركان الضعيفة الفقيرة التى تريدون أن تستعبدوا لها من جديد تحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين » (غلا ٤ : ٩ — ١٠) .

هذا وإن حفظ يوم السبت ما هو إلا دعوة الى التهود لأن السبت كان العلامة العظمى التى يتسم بها اليهودى على حد قول الله لموسى : « وأنت تكلم بنى إسرائيل قائلا : سبوتى تحفظونها لأنها علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقدسكم فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم » (خر ٣١ : ١٣ — ١٤) . وقد تنبأ هوشع بصراحة ببطلان السبت « لا أعود أرحم بيت إسرائيل أيضاً ، بل أنزعهم نزعا ... وأبطل كل أفراحها ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها » (هو ١ : ٦ ، ٢ : ١١) .

وهكذا نرى السيد المسيح يهيىء الجو كله ليوم الأحد ليحل محل السبت فيدخل كملك ظافر الى أورشليم يوم الأحد ، ويقوم من القبر يوم الأحد ، ويظهر لمريم المجدلية ، وللمريمات ولبطرس ، ولتلميذى عمواس ، وللتلاميذ ، ولتوما يوم الأحد ، ولأن المسيح أيضاً يملأ تلاميذه بالروح القدس ويمنحهم السلطان يوم الأحد ، والرسل أيضاً نراهم يصلون ويعبدون يوم الأحد . والمسيحيون الآن برغم تعدد مذاهبهم وتباين عقائدهم نراهم بالاجماع يقدسون يوم الأحد . أليس كل أولئك تثبت لنا ضرورة تقديس الأحد .

رابعاً — مقابلة ثانية :

شفى المريض .. حمل سريره ومشى .. ولم يعلم اسم من شفاه . لأن يسوع اعتزل إذ كان فى الموضع جمع . يا لنكران الذات . وهذه ليست أول مرة : « أوصاه أن لا يقول لأحد » (لو ٥ : ١٤ ، ١٦) . يسوع لا يظهر نفسه . يعتزل . تعلم نكران النفس ولا تقف بعد أن تصنع خيراً . ليهتف لك الناس ويعلنوا عن اسمك ويعلوك . أعمل الرحمة للرحمة والخير للخير . « وأبوك الذى فى الخفاء يجازك علانية » (مت ٦ : ٤) . « أنا أصغر الرسل » (١كو ١٥ : ٩) ، « أول الخطاة » (١تى ١ : ١٥) « كسقط ظهر لى » (١كو ١٥ : ٨) ، من هو هذا الرجل الذى يقول هذا ؟ بولس المجاهد الذى وهو الرسول العظيم يقول : لست مستحقاً أن أدعى رسولا لأنى اضطهدت بيعة الله . فمن أنت ومن أنا ؟!

بعد ذلك وجده يسوع فى الهيكل . انها مقابلة ثانية . فى الهيكل هل تذكر أن تذهب الى الهيكل بعد أن يشفيك يسوع أو يخلصك من أى ضيقة . انها مقابلة ضرورية . انها مقابلة لاعطاء نصيحة وقائية . ودرهم وقاية خير من قنطار علاج . « ها أنت قد برئت فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشر » (يو ٥ : ١٤) إذاً سبب المرض . الخطية . وكم جرت وتجر الخطية الأمراض والأحزان . إن نظرنا الى شفاء الرجل والمدة التى قضاها مطروحاً لكرهنا الخطية . وهل هناك أشر من الشر الذى رآه الرجل ؟ نعم . هناك الجحيم المقيم والبعد عن الله . « فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت » (رؤ ٢١ : ٨) .

إن المرض يشفى . وان لم يشف فراحة القبر خير عزاء للمتألمين . ولكن العذاب الذى ينتظر الأشرار لا نهاية له . « ويصعد دخان عذابهم الى أبد الآبدين ولا تكون راحة نهاراً وليلاً » (رؤ ١٤ : ١١) . فلا تعد للخطية لئلا يكون لك أشر . أعترف بخطاياك . لك سنيناً طويلة مريضاً بالخطية . أرجع اليوم لكى تعيش بصحة جيدة روحية تامة فى عشرة يسوع الرحيم .

خامساً ــ اليهود مرة ثانية :

عرف الرجل من المقابلة الثانية اسم يسوع . فمضى وبشر بهذا الاسم العظيم . الذى أبرأه . وإذ بالنتيجة العكسية ــ بدل أن يؤمن اليهود بهذه القوة الخارقة ، يطردون يسوع ويريدون قتله .

إن القلب . يظل قاسياً حتى وان رأى أعظم الآيات . « ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون » (لو ١٦ : ٣١) . أو لم يروا اليعازر بعد أن قام من الموت . هل آمنوا . كلا بل طلبوا ان يقتلوا اليعازر . وتآمروا على يسوع وقال كبير كهنتهم : « خير لنا أن يموت واحد عن الأمة ولا تهلك أمة بأجمعها » (يو ١١ : ٥٠) . اللهم خلصنا من قساوة القلب والتعصب الأعمى وأفتح عيون قلوبنا لنراك ونؤمن بك إيماناً حقيقياً . رد يسوع عليهم بعد أن فكروا فى قتله ، أبى يعمل وأنا أعمل . أيها المؤمن : لا ترهب ثورة الثائرين أو شكاية المشتكين ، إن إيمانك القوى لا تزعزعه الجبال وكنيستك أبواب الجحيم لن تقوى عليها .

كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه . كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلا نفسه بالله . كانت المؤامرة لقتل المسيح لسببين : الأول أنه نقض السبت ، والثانى أنه أدعى الألوهية ، وهذا ما سنبينه الآن .

هل كان المسيح هو الله حقاً ؟ نعم فمئات الآيات تثبت بذلك . المسيح هو الله لأنه القدوس المعصوم من الخطأ . « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . « قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » (عب ٧ : ٢٦) .

إن عمل يسوع وعمل أبيه ، كله لخير البشرية . فى السبت وغير السبت . فلنعمل الخير دائماً ولنواظب على عمله ما دامت فينا نسمة حياة ولنكن أمناء الى الموت . ولنتعلم من سيدنا له المجد الرحمة بالمرضى ولنكره الخطية سبب البلوى ونعيش فى طاعته . نسأله أن يبعد عنا قساوة الرقاب ويهبنا الرحمة بأنفسنا . وله المجد دائماً .

الميلاد الثانى

ينبغى أن تولدوا من فوق (يو ٣ : ٧) .

فى إحدى ليالى الربيع المقمرة بينما كان القمر يرسل أشعته على جبل الزيتون حيث يخيم الهدوء ويسود السكون ، جاء شيخ الى المسيح متقدم فى الأيام يدعى نيقوديموس رئيس لليهود ، ودار بينهما حديث هام .

كان نيقوديموس عضواً فى السنهدريم ، رجلا مقتدراً فى الأقوال والتعاليم ولكن كانت تنقصه الشجاعة الأدبية والاقدام ، إذ أنه أتى ليلا إلى المسيح خوفاً من اليهود . جاء يبتغى النور تحت جنح الظلام . نيقوديموس الذى جاء إليه ليلاً ـــ حيث الليل يمثل ظلمة المعرفة المعتمة بحسب الناموس . « وهو واحد منهم » (يو ٧ : ٥) . جاء فى ظلام الليل ليمثل إلحاح اليهود بصفة عامة « نحن نعلم » (يو ٣ : ٢) ـــ وبخاصة الهيئة الحاكمة والمتعلمة ـــ على ضرورة مواصلة الناموس لعمله ، أى التبرير بأعمال الناموس كأساس لاسترضاء الله للخلاص واستعادة الملك لإسرائيل .

أتى إليه مُعجباً بتعاليمه ومعجزاته التى رآها فى أورشليم قائلا له : يا معلم كما يدعوه كثيرون اليوم . « نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه » (يو ٣ : ٢) . فسرعان ما حول المسيح نظره الى أمر أعظم وهو أنه مخلص قبل أن يكون معلماً ، وانتقل به من الملكوت الأرضى الى الملكوت السماوى مجيباً إياه الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله .

كيهودى كان نيقوديموس يعتقد بحق ميلاده الطبيعى أن له مكاناً فى هذا الملكوت ، ولكن ما كان أشد اندهاشه لما أجابه المسيح : « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٥ ـــ ٦) . ثم قال له : لا تتعجب انى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق . وهنا انتهى الحديث فى تلك الليلة الخطيرة بتعجب مزدوج . أتى إليه معجباً وتركه متعجباً . نيقوديموس يتعجب من السيد المسيح ويقول له كيف يمكن أن يكون هذا . والمسيح يتعجب من نيقوديموس يقول له : أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا . يوجد اليوم

خلفاء كثيرون لنيقوديموس الذين هم معلمون وقادة فى الكنيسة ولا يعلمون هذا . يجهلون أهم تعليم فى الكتاب وأول مبدأ فى الحياة المسيحية ألا وهو الميلاد الثانى ، الذى صلى من أجله داود قائلا : روحاً مستقيماً جدد فى داخلى ، وتنبأ عنه حزقيال : أعطيكم قلبا جديداً ، وأنشد عنه أشعياء : إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً . وكتب عنه يوحنا فى رؤياه : ها أنا أصنع كل شيء جديداً . هو رسالة العهدين القديم والجديد ، وأول خطوة نخطوها فى حياتنا الروحية ، فالكنيسة فى أشد الحاجة الى معرفة هذا التعليم واختباره علميا فى حياة الكبير والصغير ولكى نحيط بهذا التعليم الخطير نتأمل فى ثلاثة أسئلة : سألها نيقوديموس وهي ماذا ؟ ولماذا ؟ كيف ؟ أيولد الإنسان وهو شيخ ؟

أ ــ لم يفهم نيقوديموس قصد المسيح فسأل ماذا ؟

ب ــ لقد شعر بعدم لزومه لأنه رئيس لليهود ومعلم إسرائيل فقال لماذا ؟

هكذا يوجد بعض المسيحيين لا يرون ضرورة له لاكتفائهم بحالتهم الأدبية فيسألون لماذا .

جـ ــ أخيراً قال مندهشًا شاعراً بصعوبة هذا التعليم كيف يمكن أن يكون هذا ؟

واليوم نسمع الصوت من كل حدب وصوب ويسأل كيف . ثلاثة أسئلة ماذا . ولماذا . كيف . وبعبارة أخرى ماهية الميلاد الثانى . ضرورته . كيفيته .

١ ــ ماذا ــ ماهية الميلاد الثانى وعلاماته :

ما هى الولادة الجديدة ؟

لو وجهنا هذا السؤال لبولس لرجع بنا الى تلك الموقعة الفاصلة فى حياته التى حدثت قرب مدينة دمشق ولصاح بنا قائلا : ان كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً . فهو يجيبنا من اختباره المسيحي الذى جاز فيه عندما ولد ثانية ، ويقول لنا تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم . إذاً الميلاد الثانى هو عبارة عن تجديد القلب والشعور والعواطف والميول والارادة . هو تجديد وليس تهذيب . تغير وليس تطور ، هو بداية شيء جديد وليس اصلاح شيء قديم .

الميلاد الثانى هو بداية الحياة الروحية كما أن الميلاد الأول هو بداية الحياة الجسدية ، هو طبيعة جديدة بها نصير شركاء الطبيعة الإلهية ، هو انتقال من حالة الى حالة هو كراهية الشر والالتصاق بالخير . وهى تحويل الخاطىء إلى مؤمن والشرير إلى بار ، ورئيس اليهود نيقوديموس المعاند والمرتفع الى تلميذ للمسيح متضع . وشاول المُضطهد الى بولس المضطهد . وسمعان الضعيف الى بطرس القوى ، وأوغسطينوس الشاب الخليع الى ذلك القديس الرفيع .

كيف تعرف نفسك ان كنت ولدت ثانية أم لا ؟

ان يوحنا الرسول يجيبنا على هذا السؤال موضحاً علامات :

أ ــ الولادة الجديدة فيقول « من هو مولود من الله لا يفعل خطية » (١يو ٣ : ٩) فلا يقصد بذلك عدم الوقوع فى الخطية ولكن عدم الاستمرار فيها . المولود من الله لا يعيش فى الخطية وغير المولود يعيش فيها فالفرق بينهما كالفرق بين الخروف والخنزير . فالخروف لا يستطيع أن يعيش فى الأوحال ، فعندما يسقط فيها يقوم ، بَيْنَما الخنزير يتلذذ بالتمرغ فيها . المتجدد يهرب من الخطية والخاطىء يسعى وراءها ، الأول يكرهها والثانى يحبها ، الأول يقاومها والثانى يستسلم لها ، فهل أنت عبد للخطية أو عدو مقاوم لها .

ب ــ هنا علامة أخرى « المولود من الله يحب الأخوة » (١يو ٣ : ١٤) . كل من يحب فقد ولد من الله ، عندما نولد من الله فيشع قلبنا بمحبة الجميع ، الأصدقاء والأعداء ، الأخيار والأشرار .

ج ــ وعلامة ثالثة ظهرت فى حياة بولس عندما ولد ثانية « هوذا يصلى » وهى العلامة التى عرف بها حنانيا شاول المتجدد . فعلامة الحياة فى الطفل عندما يولد هى الصراخ ، وعلامة الحياة فى المولود ثانية هى الصراخ أو الصلاة .

أرسل الله روح ابنه فى قلوبنا صارخاً يا أبا الآب . فياليتنا نرى علامة التجديد هذه فى كثيرين منا فيقال عنهم هوذا يصلون فى مخادعهم هنا وهناك . لنفحص ذواتنا الآن فى نور الروح القدس والكلمة لنعلم إن كنا مولودين من الله أم لا . يجب أن تتأكد من ميلادك الثانى لان من يولد مرة يموت مرتين ، الموت الجسدى والأبدى . ومن يولد مرتين يموت مرة واحدة . لأن الموت الثانى يصبح لا سلطان له عليه . إن كنت غير مولود من الله فالمسيح يقول لك : ينبغى أن تولد من فوق .

٢ ــ لماذا ؟ أو ضرورة الميلاد الثانى :

لما يقول السيد المسيح ينبغى فهذا هو الوقت الذى يجب أن نستيقظ فهو قلما يستعمل صيغة الأمر فلذا لما يستعملها هنا فهذا لأنه يرى ضرورة حاتمة لا مفر منها فيقول : ينبغى لجميعكم أن تولدوا ولادة جديدة . والمسيح يرى ضرورة مثلثة للميلاد الثانى :

أ ــ فهو ضرورى لرؤية الملكوت :

ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) . فالغير مولود من الله هو أعمى لا يرى شيئاً . لأن عينيه الداخلتين مقفولتان فيصفه بولس برجل

مظلم الفكر له عين ولا يبصر كطفل قبل أن يولد له عين ولكن لا يرى بها إلا بعد الولادة ، فهو لا يرى جمال الملك الذى هو « أبرع جمالا من بنى البشر » كما رآه داود فقال : لكى أنظر الى جمال الرب . جمال صفات المسيح ، من محبة وتواضع ووداعة . الغير المتجدد لا يرى لذة فى الاقتراب من الله ولا يتمتع بجمال الشركة معه وذلك لأنه لم يحصل على القلب النقى الجديد لأنه « طوبى للانقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) . الغير مولود من الله لا يرى جمال الملكوت . لا يرى جمال المسيحية ومجدها فملكوت الله هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس .

ب ــ الميلاد الثانى ضرورى لدخول الملكوت :

هنا ضرورة أخرى يراها المسيح .

ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . العالم الطبيعى ينقسم الى أربع ممالك مملكة المعادن الجامدة ثم مملكة النبات ثم مملكة الحيوان وهى أرقى من النبات ثم مملكة الانسان وهى أسمى من الجميع . والطريق للدخول فى الممالك الحية لا يتم إلا بالولادة ، فلكى يدخل مخلوق ما فى ملكوت الحيوان يجب أن يولد من الحيوان ولكى يدخل فى ملكوت الانسان يجب أن يولد من الانسان . ولكن فوق ملكوت الانسان يوجد ملكوت خامس أعلى وهو ملكوت الله ، ولا يمكن الدخول إليه إلا عن طريق الولادة من الله ، لا عن طريق التدين الخارجى والرياء فهل دخلت الى هذا الملكوت الأعلى فبالميلاد الأول نحن ندخل فى ملكوت الانسان . وبالميلاد الثانى ندخل فى ملكوت الله . ومن لم يدخل ملكوت الله بالتجديد وهو على الأرض لا يقدر أن يدخلها عندما يصل الى السماء فعندما تصل إلى باب السماء يوجه إليك هذا السؤال هل تقدر أن تظهر علامة ولادتك الجديدة ؟ فإذا أظهرت ذلك تدخل السماء وإلا فتحرم منها . فالضرورة موضوعة عليك ينبغى أن تولد من فوق لتدخل السماء . إن لم تولد من الله فأنت لست إبناً لله وليس لك الحق فى الميراث الذى تكلم عنه بطرس قائلا : « مبارك الله ... الذى ولدنا ثانية لرجاء حى لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم » (١بط ١ : ٣ ــ ٤) .

جـ ــ الميلاد الثانى ضرورى للطبيعة البشرية الفاسدة :

هنا ضرورة ثالثة للميلاد الثانى يراها المسيح فيقول لنيقوديموس ينبغى أن تولد من فوق لأن المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح . المولود من الجسد إنما هو جسد أى طبيعته فاسدة والمولود من الروح إنما هو روح أى طبيعته إلهية متجددة . لقد رأى

المسيح ضرورة تجديد نيقوديموس مع أنه رئيس لليهود ، معلم لإسرائيل ، حافظ للناموس ، خبير بالكتاب ، عضو بالمجمع ، متدين ، وبلا لوم ، له أخلاق فاضلة فصفاته كانت سبباً كافياً لإعفائه من ضرورة الميلاد الثانى . بل اسمه كاف لأن يخلصه من تلك الضرورة الحاتمة واسمه ؟ نيقوديموس ، معناه النقى الدم الشريف الحب وكأننا نسمع المسيح يقول له مع نقاوة دمك وجمال صفاتك وتدينك يا نيقوديموس ، ينبغى أن تولد من فوق لأن المولود من الجسد جسد هو ، والذين فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله . الطبيعة البشرية فاسدة ساقطة لا تحتاج إلى إصلاح بل الى تجديد ، الى تغيير وليس إلى تقليد ، لأنها ميتة لا تحتاج الى علاج بل الى حياة .

٣ ــ كيف ؟ كيفية الميلاد الثانى :

لنأت الآن الى السؤال الأخير : كيف ؟

كيف يمكن أن يكون هذا ؟ كيف أحصل على الميلاد الثانى ؟ ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروحى قال رب الجنود . ليس بالولادة الطبيعية من والدين مسيحيين ، فقد تولد يهودياً ولكن لا يمكن أن تولد مسيحياً ، فالمسيحى الحقيقى لا يولد من إنسان بل من الله . كيف ؟ أصغ الى جواب المسيح لنيقوديموس على سؤال كيف يمكن أن يكون هذا فيجيبه المسيح قائلا : أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا ألم تقرأ فى حزقيال : أرش عليكم ماءاً طاهراً فتطهرون من كل نجاستكم .

لكى تحيا حياة جديدة : ينبغى أن يموت ابن الانسان ، ولكى تولد من فوق : ينبغى أن يرفع ابن الانسان ، كل من يؤمن به يحيا ، فبالإيمان والأعمال نولد من الله . كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله . أى المؤمنون باسمه . فالإيمان هو القبول والقبول هو الإيمان ، فأقبل يسوع الآن مخلصاً لك تولد ثانية . التفتوا الىَّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض . فبدونه لانولد ثانية . كما أن المسيح ولد فى الجسد من الروح . هكذا المسيحى يولد من الروح ولادة روحية ، فعندما يحل فى قلوبنا يجدد طبيعتنا ويحرق أشواك الخطية بناره المطهرة .

ينبغى وفى ختام حديثى أترك لكم كلمة واحدة هى ينبغى فهى شعار المسيح فى فجر الحياة وهو بعد غلام إذ قال : ينبغى أن أكون فيما لأبى . وفى نهار الحياة ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار . وفى ليل الحياة قال وهو سائر إلى الجلجثة ينبغى أن يتألم ابن الانسان ينبغى شعار الصبى فى صباح الحياة ، والشاب فى ظهر الحياة ، والشيخ فى مساء الحياة . شعار بولس الضرورة موضوعة علىَّ فهل هى شعارك ؟ ويوحنا فى الأصحاح

الثالث من إنجيله يستعمل هذه الكلمة فى ثلاثة مواضع يجب أن نتخذها شعار لنا :

أ ــ ينبغى أن تولدوا من فوق :

هذا شعار لك ان كنت خاطئا إذ يجب أن تشعر أنك تحت ضرورة لازمة له . يجب أن لا تهدأ أو تسكت إلاّ بعد أن تتجدد . قل الآن ينبغى أن أولد من فوق ، ينبغى أن أرجع الى المسيح ، ينبغى أن أرى المسيح ، فتسمع الصوت يناديك كما نادى زكا قائلا : ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك . فى قلبك . اليوم حصل خلاص لهذا القلب . اليوم يوم خلاص لك أيها الشيخ ولك أيها الشاب ، لك أيتها السيدة ولك أيتها الشابة . سأل نيقوديموس أيولد الإنسان وهو شيخ ؟ ضعيف أو وهو شاب محاط بالتجارب والشرور .

نعم أيها الشاب يمكنك اليوم بنظرة الى المصلوب أن تخلص وتتجدد .

ب ــ ينبغى أن ذاك يزيد وأنا أنقص :

شعار المتجدد بقدر ما ننقص نحن يزيد المسيح . وبقدر ما نضع نفوسنا على الصليب بقدر ما يرتفع المسيح على العرش .

جـ ــ ينبغى أن المسيح ينمو فينا ونحن ننمو فى المسيح :

كأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لكى ننمو به .

ان الكنيسة اليوم لم تشدد على الكرازة بالتجديد ولم تضعه كشرط أساسى للعضوية . فالمسيح جعل هذا الشرط أساساً ضرورياً للعضوية إذ قال لنيقوديموس إن أردت أن تنضم الى كنيستى وتدخل ملكوتى ينبغى أن تولد ولادة جديدة . ألا تضع هذا الشرط شعاراً لك ؟ ان عملنا ذلك فستكون الكنيسة ناهضة ومنتعشة لأنها تكون مكونة من أعضاء أحياء . نحتاج الى كنيسة أعضاؤها وخدمها مولودون من الروح وممتلئون من الصلاح . ولربنا وإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السادس من الصوم الكبير

الباب الضيـــق

« اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » (لو١٣: ٢٤) .

بعد أن شفى السيد المسيح المرأة المنحنية يوم السبت فى بيرية ، أخذ يجتاز فى مدن وقرى كثيرة وهو فى طريقه إلى أورشليم للمرة الأخيرة . وهنا تقدم إليه واحد بالسؤال الذى انفرد معلمنا لوقا الإنجيلى بإيراده وهو « أقليل هم الذين يخلصون » وفصل الإنجيل الذى يتناول إجابة المخلص على هذا السؤال وما تلاه من تحذيره لسامعيه من هيرودس ، يبين فيه هلاكه للمتهاونين الذين لا يدخلون من الباب الضيق ، أى الذين لا يحتملون الضيقات المتعلقة بالحياة المقدسة ، وخلاص المجاهدين الذين يحتملونها .

أولاً ــ هلاك المتهاونين :

على أثر شفاء المرأة المنحنية فى بيرية أخذ السيد المسيح يتجه إلى أورشليم فى طريقه إليها المرة الأخيرة . إلا أنه لم يذهب إليها رأساً فى خط مستقيم ، بل أخذ يمر فى مدن السامرة وبيرية وقراها . وفى خلال ذلك وجه إليه أحد الحاضرين سؤالاً قائلاً « أقليل هم الذين يخلصون ؟ » ولابد أن الذى وجهه كان من غير التلاميذ ، وأن غايته كانت مجرد الوقوف على جلية أمر مبهم بالنسبة له ، لا طلباً للفائدة .

ويبدو من السؤال أن موضوعه كان مثار خلاف بين اليهود ، ففريق منهم كان يرى أن الذين يخلصون هم كل أولاد إبراهيم ، فى حين كان يرى الفريق الآخر أن أقلية منهم فحسب هى التى ستفوز بالخلاص ، استناداً إلى أنه لم يخلص من كل جنود الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر إلا اثنان هما يشوع بن نون وكالب بن يفنة . ورغم ما كان بين الفريقين من خلاف فقد كانا متفقين على أن الخلاص مقصور على اليهود . وقد أراد السائل أن يعرف رأى المخلص فى هذه القضية عسى أن تؤكد إجابته كثرة الذين يخلصون ، فيزداد اطمئناناً إلى خلاص نفسه . ويظهر من عبارة « فقال لهم » أن السائل كان نائباً عن كثيرين من الحاضرين ، وأن السيد وجه إجابته إليهم ، ويرى بعضهم أن الاعتقاد الناتج عن هذا السؤال كان عقيدة كل الجماعة ، وهذا ما جعله يوجه الإجابة إليهم جميعاً .

فقال لهم : « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » ، وهو قول مستعار من العرف الذى كان متبعاً فى الأعراس فى ذلك الوقت فقد كانت هذه تقام ليلاً ، وكانت تزين البيوت بالمصابيح ، ويدخلها المدعوون من باب صغير ضيق يُغلق عقب دخولهم جميعاً ، ثم يتمتعون بالأفراح ومشاهدة الأنوار أما الذين يرفضون فكان لا يُفتح لهم الباب مهما قرعوا ، فيقفون فى الظلمة الخارجية . وقد استعار السيد المسيح للسماء تعبير « الباب الضيق » ، ليس لأنه ضيق فى حد ذاته ، بل بالنظر إلى الضيقات المتعلقة بالحياة المقدسة لأنها تضاد الطبيعة الفاسدة . وبديهى أن الشهوات الجسدية تمنع من الدخول فى ذلك الباب . ويرى بعضهم أن هذا مسيج بوصايا الله العشر ، فهو باب الإيمان والطاعة ، وهو مع ما يكتنفه من اضطهادات وصعوبات باب أمن وراحة ضمير . فهو ضيق فى الدنيا ، وواسع فى الآخرة . فكأن رب المجد قال للسائل : لا فائدة لك من معرفة عدد الذين يخلصون ، كثروا أو قلوا ، فالمهم هو معرفة الكيفية التى بها يدخل الإنسان إلى ذلك الملكوت . وتتلخص هذه فى الدخول من الباب الضيق ، وذلك بحفظ أوامر الإنجيل والثبات على الإيمان فى الضيقات والشدائد وعدم الاستسلام للشهوات .

واستطرد المخلص يقول : « إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون » أى أن من لا يجتهدون فى الأعمال الصالحة ، ولا يدخلون من باب التوبة والإيمان وحمل الصليب حينما تكون الفرصة سانحة ، يطلبون دخول السماء بعد فوات الآوان ، فلا يقبل التماسهم ، ويطرحون فى الظلمة الخارجية ، وهم كما قرر السيد المسيح غير مرة كثيرون ، فقد سبق أن قال : « ادخلوا من الباب الضيق . لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك . وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه » (مت٧:١٣،١٤) . وتتضمن الإشارة إلى كثرة الهالكين إنذاراً بأن خطر الهلاك محدق بنا ، وأنه لا سبيل إلى اتقانه إلا بالاجتهاد الكامل فى خلاص نفوسنا .

ثم يمضى رب المجد فى حديثه عن هؤلاء المتكاسلين المتباطئين ، فيقول إنهم حينما يشاهدون « رب البيت قد قام وأغلق الباب » أى حينما يشاهدونه قد ظهر وأدخل القديسين إلى ملكوته ، يشتاقون هم أيضاً إلى الدخول ومشاركتهم فى النعيم ، بدليل وقوفهم خارجاً يقرعون الباب « قائلين يارب يارب افتح لنا » وكلمة « رب البيت » يُشير بها السيد إلى نفسه ، كأنه صاحب بيت يقيم وليمة لأسرته وأصدقائه الذين يأتون فى الميعاد ثم يغلق الباب فى وجه الذين يحضرون بعد فوات الوقت ، ولكنه يرد عليهم قائلاً : « لا أعرفكم من أين أنتم » أى أن التماسهم الدخول يكون بغير جدوى ، لأن

الوقت الذى عينه لطلب الخلاص هو فرصة الحياة التى يُغلق بعدها الباب . ولكن كيف يتنكر لهم سيد الكل بهذه الإجابة القاسية وهو سيدهم وخالقهم ؟ وكيف لا يعرف مكانهم ؟ بل وكيف لا يعرف آثامهم وتصورات أفكارهم ، وهو علام الغيوب الذى لا تخفى عليه خافية ؟ إن المقصود فى الواقع هو أنه لا يعرفهم ورثة لملكه لأنهم لم يحفظوا وصاياه وأوامره .

ثانياً ــ خلاص المجاهدين :

ثم يمضى سيد الكل فيبين لمستمعيه خطأ استنادهم إلى دواعى واهية لتبرير دخول ملكوته فيقول : « حينئذ تبتدئون تقولون أكلنا قدامك وشربنا وعلمت فى شوارعنا » ، أى أنكم تأخذون فى تذكير رب البيت بما كان بينكم وبينه من أسباب الألفة والمؤانسة والمجالسة ، كالأكل والشرب وتعليمه فى شوارعكم والإشارة هنا إلى الزمن الذى كان فيه بينهم بالجسد ، وفاتكم أن كل هذا لا ينهض مبرراً قوياً لدخول ملكوته لأنكم لم تعملوا بوصاياه ، وذهبت تعاليمه بينكم صرخة فى وادى ، بل ليتكم لم تسمعوها حتى لا تزداد دينونتكم ويرد عليكم قائلاً « لا أعرفكم من أين أنتم » أى أننى لا أعرفكم المعرفة المقترنة بالمحبة ، فلقد عرفتكم أشخاصاً ، وسمحت بانتسابكم إلىَّ كتلاميذ ، ولكننى لا أعرفكم خاصتى لأنكم لا تعرفوننى حقيقة . لقد خدعتم غيركم من الناس ولكنكم لا تستطيعون خداعى . ثم ختم كلامه القاسى بقوله : « تباعدوا عنى ياجميع فاعلى الظلم » فأعمالكم الشريرة هى علة طردكم ودينونتكم ، وبمثل هذا القول خاطب مستمعيه فى موعظة الجبل ، إذ قال : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (مت٧:٢٢ ، ٢٣) ، وبمثل هذا خاطب العذارى الجاهلات (مت٢٥:١٢) ، والذين عن يساره (مت٢٥:٤١) .

ويستفاد من كل هذا أن القرب من المسيح هو خلاصة أفراح السماء ، والبعد عنه هو أشد ما يقاسى المرء فى جهنم . وقد فرّق المخلص أمامهم بين حظ الأشرار وحظ الأبرار فى يوم الدين بقوله : « هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء فى ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً » ، أى أن الحزن والغضب واليأس سيكون من نصيبكم متى رأيتم هؤلاء الآباء وجميع الأنبياء فى ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً . فسوف ترونهم متمتعين بالقرب من سيدهم ،

فتزدادون شعوراً بالشقاوة والآلام . ويستدل من ذكر الآباء والأنبياء هنا أن قديسى العهد القديم سيشاركون قديسى العهد الجديد فى الأمجاد السماوية ، لأنهم جميعاً أعضاء فى الكنيسة الواحدة التى هى عروس المسيح .

ولكى يوضح سيد الكل لمستمعيه أن الذين يخلصون لا يكونون من اليهود فحسب ، بل من الأمم أيضاً ، يمضى قائلاً : « ويأتون من المشارق والمغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون فى ملكوت الله » أى أن الأمم سيدعون إلى الكنيسة أيضاً ، ويشتركون مع الآباء والأنبياء فى فوائد الملكوت .

واختتم إجابته على سؤال سائله بقوله « وهوذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين » (مر ١٠:٣١) ويريد بالذين يصيرون أولين الخطاة من اليهود ومن الأمم الذين يقبلونه سيداً وفادياً ، وبالذين يصيرون آخرين من يرفضونه من اليهود ، ومن الأمم فى كلِ زمانٍ ومكان ، وكذا من لا يثبتون على الإيمان به .

وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد السادس من الصوم الكبير

المولود أعمى

فمضى واغتسل وأتى بصيراً (يو ٩ : ٧) .

رتبت الكنيسة المقدسة أن يتلى فى يوم أحد التناصير فصل الانجيل الخاص بمعجزة شفاء المولود أعمى وهو التاسع من بشارة القديس يوحنا . وكما جاء فى نبوة اشعياء القائلة : « قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا . هوذا إلهكم هو يأتى ويخلصكم حينئذ تنتفح عيون العمى وآذان الصم تتفتح » (اش ٣٥ : ٤ — ٥) .

وواضح سر اختيار هذا الفصل ومناسبته لمن يقبلون العماد فى هذا اليوم . فهم عميان ، بالخطيئة ، وولدوا عميانا بالخطية الأصلية ، من بطون أمهاتهم . وبنعمة المسيح يغتسلون فى جرن المعمودية ، وهى لهم بمثابة عين سلوام الجديدة فينهضون بعد الاغتسال فيها أطهاراً من خطاياهم الجدية والفعلية السابقة على المعمودية وتنفتح عيونهم وبصائرهم الباطنية فيعاينون ما لم يكونوا قادرين على معاينته قبل المعمودية . إذاً المعمودية هى مدخلهم الى الحياة الجديدة ، الى الكنيسة المسيحية بأسرارها وأمجادها وامتيازاتها الروحية ، والى ملكوت الله .

أمامنا اليوم أعمى استنار قلبه بشمس البر قبل عينيه ، ومبصرون عميت قلوبهم وبصائرهم عن رؤية كوكب الصبح المنير . أمامنا إنسان ولد من بطن أمه أعمى ، وكان من ترتيبات العناية الرحيمة أن أغدقت عليه من نعمائها ما جعل عينيه تبصران ، وقلبه يتفتح لرؤية نور الحياة .

إن هذا الأعمى يمثل لنا قصة البشرية الساقطة التى أعمتها الخطية وصارت فاصلة بينها وبين إلهها .

وبنعمة الله سنتكلم عن النقط الآتية :

١ — كان إنساناً فقيراً :

ودليلنا على فقره شهادة الجيران الذين قالوا : « أليس هذا هو الذى كان يجلس ويستعطى ؟ آخرون قالوا هذا هو ، وآخرون إنه يشبهه ، وأما هو فقال « إنى أنا هو » (يو ٩ : ٨ — ٩) . والعجيب أن نرى يسوع ملك الملوك ورب الأرباب ينشغل بفقير متسول ويضيع وقته الثمين من أجل شحاذ فقير . ولكن لمَ نعجب ؟ أما اختار الله فقراء هذا العالم

أغنياء فى الإيمان وورثة الملكوت ؟ ألم يكن رسل المسيح فقراء وأكثرهم من الصيادين ؟ بل ألم يكن المسيح نفسه فقيراً . « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما هو فليس له أين يسند رأسه » (مت ٨ : ٢٠) . بل وفى مولده لم يكن له موضع فى المنزل .

ومن هنا نستخلص بأن الفقر ليس عاراً بل « عار الشعوب الخطية » (أم ١٤ : ٣٤) . ألم يكن أرسانيوس معلم أولاد الملوك مكسيموس ودومادوس ابنا ملك الروم ؟ . ألم يكن هؤلاء العظماء جميعاً من أغنى أغنياء العالم ولكنهم عن طيب خاطر اشتهوا الفقر من أجل ذلك الذى « من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢كو ٨ : ٩) . إن الفقر ليس عيباً ولا ذنباً ولذلك يقول الحكيم . « زينة الانسان معروفة والفقير خير من الكذوب » (أم ١٩ : ٢٢) .

٢ ــ ثم أنه كان مؤمناً مطيعاً :

إن رجلا غير هذا الأعمى ما كان ليسمح أبداً لشخص أن يصبغ وجهه بالطين ويطيعه ، ثم ينصت إليه وهو يأمره بالذهاب إلى بركة سلوام ليغتسل فيخضع له . ولكن هذا الأعمى كان على قدر كبير من الطاعة والإيمان . آمن بمن يتحدث معه ، ثم أطاعه . والإيمان والطاعة عنصران قويان فى حياة الانسان . ان ابراهيم عميد المؤمنين لو لم يكن له الإيمان الفعال بإلهه لما خضع وأطاع أوامره القاسية بأن يقدم وليده ووحيده اسحق الذى يحبه ذبيحة على الجبل ؟ ولذلك نقرأ فى رسالة العبرانيين : « بالإيمان قدم ابراهيم اسحق وهو مجرب » (عب ١١ : ١٧) .

٣ ــ ثم أنه كان على خلق عظيم :

وأهم ما أعجبنى فى اخلاق هذا الرجل الأعمى أنه لم يسمح لنفسه أن يدين غيره . فعندما أوقفوا هذا الإنسان أمام المحاكمة سألوه : « أعط مجداً لله نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطىء فأجاب ذاك وقال : « أخاطىء هو لست أعلم إنما أعلم شيئاً واحداً إنى كنت أعمى والآن أبصر » (يو ٩ : ٢٤ ــ ٢٥) . إن هذه الكلمات إن دلت على شىء فعلى الأخلاق العظيمة ، إن هذا الأعمى كان بصير القلب ، مخلص النفس ، لم يشأ أن يدين غيره .

ولنا فى قصة الأنبا موسى الأسود أكبر عظة ،

إن موسى دعى مرة الى مجمع عقد خصيصاً لإدانة أحد الرهبان ، فتأخر قليلا ثم ذهب الى المجمع حاملا فوق ظهره كيسا من الرمل مثقوباً فى مؤخرته وتتقاطر منه ذرات الرمال

فقال له الآباء ولماذا تفعل هكذا ؟ قال الأنبا موسى إن خطاياى تسير ورائى ولا تفارقنى وأنا لا أبصرها ، وأنتم دعوتمونى لكى أحكم على راهب مثلى لا يزيد عنى خطية ولا أقل عنه إثما . فتعجب الجميع وقرروا العفو عن ذلك الأخ المخطىء . وهكذا نحن علينا ألا ننظر الى خطايا الناس بل لنذكر خطايانا ونتبع قول معلمنا الصالح : « لا تدينوا لكى لا تدانوا لأنه بالدينونة التى بها تدينون تدانون وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (مت ٧ : ١ — ٢) .

٤ — ثم معترفاً بألوهية المسيح :

عدة اعترافات خطيرة صريحة أعلنها الأعمى تثبت ألوهية المسيح ، قال مرة : « إنه فتح عينى ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة » (يو ٩ : ٣٠ ، ٣١) ثم استطرد يقول : « ولكن إن كان أحد يتقى الله ويصنع مشيئته فلهذا يسمع ، منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى » (يو ٩ : ٣١ — ٣٢) . إلى أن قال : « لو لم يكن من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً » (يو ٩ : ٣٣) .

بهذه الاعترافات يعلن الأعمى : قداسة المسيح ، وتقواه ، وعمله الإعجازى ، وألوهيته . أعلن هذه الاعترافات الصريحة الخطيرة وهو فى صدد المحاكمة والاحراج ، إنه يذكرنى باللص اليمين الذى وهو على الصليب فى أحرج الساعات يعترف بربوبية المسيح فيناديه ويناجيه أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك .

إن هذا الأعمى اعترف بلاهوت المسيح وهو يعلم أن « اليهود قد تعاهدوا على أنه إن إعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع » (يو ٩ : ٢٢) وهذا أسمى مراتب الاعتراف والشجاعة كل ذلك لأن المسيح وهبه نعمة البصر . ونحن المؤمنين الذين أنعم علينا رب الحياة بكل النعم المنظورة وغير المنظورة متوجة بنعمة الفداء ، لماذا لا يزال كثيرون منا يخافون الاعتراف به ويحاولون إنكاره . إن هذا الأعمى عرض نفسه لكل صنوف الضيق والاضطهاد من أجل المسيح الذى شفاه ، لم يخش فى إعلان الحق لومة لائم أو اضطهاد حاكم .

٥ — كان شجاعاً فى توبيخه :

لقد كان قوياً عنيفاً فى توبيخه لحكامه الظالمين ، قال لهم : « قد قلت لكم ولم تسمعوا ، لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً العلكم تريدون أن تصيروا له تلاميذ » (يو ٩ : ٢٧) . اغتاظوا وشتموه وقالوا له : « فى الخطايا ولدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا

فأخرجوه خارجاً » (يو ٩ : ٣٤) . قالوا له نحن تلاميذ موسى وأما أنت فتلميذ ذاك . لقد كان جريئا فى اعترافه وشهادته له مع أنه لم يكن قد رآه من قبل ودافع عنه أمام اليهود الذين تعثروا به وبالرغم من جبن والديه عندما سئلا عنه فقالا : « أنه كامل السن إسألوه » (يو ٩ : ٢١) . فلما سئل آمن به واعترف بمجد أعماله . حقاً ما أحوجنا فى هذا العصر الى روح الشجاعة فى الحق ، هذا العصر الذى انعدمت فيه الشهادة لله .

٦ ــ أمانته وتبعيته للمسيح :

طرد المولود أعمى بعد تفتيح عينيه من المجمع ولكنه لجأ الى هيكل الله وحيداً .. فريداً .. مغضوبا عليه : ففتش عنه السيد المسيح ووجده وواجهه أتؤمن بابن الله ؟ فقال له : من هو ياسيد لأومن به ؟ فقال الذى يكلمك هو . وفى الحال سجد وآمن . وأعطاه المجد والحمد والشكر على فضله ومعروفه . فبلا أدنى شك عندما واجه النور الحقيقى الذى جاء الى العالم . واشرق فى قلبه وعينيه . فكيف يتحول عنه : لو تحول القمر قليلا عن الشمس لا نطفأ لأنه يستمد نوره من الشمس ، ولما أشرق النور فى عينى هذا الانسان علم أن يسوع هو شمس البر والشفاء فى أجنحتها .

٧ ــ فريسون منافقون :

حقاً ما أجدر الفريسيين بالألقاب التى تبرع بها يسوع ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون ... الخ تلك بعض من كل اللعنات التى صبها السيد المسيح على رؤوس الفريسيين المرائين المنافقين ، الذين جاءوا اليوم يضايقون الأعمى ويضطهدونه لأنه اعترف بالمسيح الذى شفاه . لقد كان نفاق الفريسيين منصباً على أن المسيح ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت . إن ما صنعه يسوع من شفاء لا يعد كسراً ليوم لأن عمل الرحمة لا يدخل ضمن نطاق الأعمال الدنيوية التى من شأنها تكسر الوصية . ولذلك نراهم وقد انقسموا على ذواتهم ، هذا يقول : إن المسيح خاطىء لأنه لا يحفظ السبت ، وآخر يقول : وكيف يقدر إنسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الأعمال .

٨ ــ ثم ... هم عميان يتخبطون :

إن من يقرأ بإمعان محضر المحاكمة الذى حرره الفريسيون للمولود الأعمى يحكم بغير صعوبة على عمى قلوبهم وظلام أفكارهم ، لقد فتح الأعمى عيونهم على منافذ كثيرة أمامهم لقد حدثهم عن المسيح نور العالم .

كانت حياته على الأرض نوراً من نور . قال له المجد : ما دمت فى العالم فأنا نور العالم فحيثما كان بين الناس فهو نور الناس ، لأنه باعث النور الحقيقى » (الذى يضىء لكل إنسان) . وعن المسيح الطبيب العجيب قالوا للسيد عن المولود أعمى أأخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى . فأجاب يسوع له المجد : « لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه » (يو ٩ : ٣) . وعن المسيح القدوس الذى بلا خطية ، وعن المسيح الذى لم يسمع منذ الدهر أن أحداً غيره قد فتح عينى مولود أعمى . لقد وضع أيديهم على عدة حقائق بارزة ، وأوقفهم على عقائد قوية لا يدخلها الشك من بين يديها ولا من خلفها ، ومع ذلك أهملوا هذه الفرص ، واغفلوا هذه الحقائق . وأطفأوا الشموع التى أنارها لهم الأعمى . وأخذوا يتخبطون فى ظلام أفكارهم ، وعمى قلوبهم .

وهكذا كم من فرص ثمينة تضيع منا فى سبيل خلاص نفوسنا . لقد سأل الأنبا بموا القديس العظيم الأنبا انطونيوس عما يصنعه من أجل خلاص نفسه فقال له : لا تتكل على برك ، ولا تصنع شيئاً تندم عليه ، وأمسك لسانك ، وبطنك ، وقلبك . وهكذا كان عناد الفريسيين هو الذى أغلق عيون قلوبهم فلا ترى . وتم فيهم قول الرب يسوع فى نفس الموضوع : « لدينونة أتيت أنا الى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون » (يو ٩ : ٣٩) .

ونحن فى أيامنا هذه ما أكثر الذين يدعون البصر وهم فى حاجة الى من يقودهم الى الطريق السوى ويرشدهم الى نور الهداية ، وإلا ما معنى أولئك الذين يتعثرون فى وضح النهار كما يعثرون فى الليل البهيم ، أن البصر لا يفيد صاحبه ان لم تهديه بصيرته فتنير له السبيل فيأمن من شر العثار والزلق . ليقل كل من استنار بنور الإيمان وحصحص له ضوء الحق فاعتصم به ما قاله الضرير كنت أعمى والآن أبصر . ليقل الذين كانوا فى أودية الضلال هائمين والذين يحقرون الفضيلة وعماها ثم ارتدوا الصواب واكتحلت أعينهم بنور السماء ونعمة الرجاء كنت أعمى والآن أبصر . حقاً ان فاقد البصر ولم يفقد البصيرة فهو العاقل الحكيم . ولربنا المجد دائما الى الأبد آمين .

حتى تقولون مبارك الآتى باسم الرب

قال السيد : هوذا بيتكم يترك لكم خرابا .. حتى تقولون فيه مبارك الآتى باسم الرب (لو ١٣ : ٣٤ ــ ٣٥) .

البيت هو الهيكل العظيم المشهور الذى بناه سليمان الملك فى مدة لا تقل عن سبع سنوات . وقال اليهود أنه أعيد بناؤه فى مدة لا تقل عن ٤٦ سنة على يد رزبابل عامل ملك فارس وهو يتألف من قسمين : القدس وقدس الأقداس .

فالأول : يحتوى على مذبح البخور ومائدة خبز الوجوه والمنارة .

والثانى : يحوى تابوت العهد وعصا هرون التى أفرخت ويدخله رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة يوم عيد الكفارة .

ويرمز قدس الأقداس والقدس الى السماء وطن الملائكة المقربين والتابوت الى الله موضوع عبادة الخلائق أجمع . والمذبح إلى ذبيحة المسيح فوق الجلجثة ، والمرحضة الى المعمودية ، والمائدة الى العشاء السرى ، والمنارة الى بشارة الإنجيل ، والبخور الى بركات الفداء . ويعنى السيد بقوله لليهود : لن تروننى حتى تقولون مبارك الآتى باسم الرب : أى حتى ترجعوا الىَّ وتؤمنوا بى مسيحاً وفادياً وموضوع عبادة مع الآب والأبن والروح القدس . والمقصود ببيتكم فى النص بيت اليهود الذى كان فى سالف الزمان بيت الله ولكن بسبب رفضهم المسيح وعدم قبولهم له ملكا ومخلصاً أبى المسيح أن يدعو الهيكل بيت الله فدعاه بيت اليهود وحكم عليه بالخراب فخرب بعد الصلب بأربعين سنة عن يد جيوش الرومان وقائدهم تيطس .

وهذا يقودنا الى التأمل فى نقطتين هامتين وذلك حسب التقسيم الطبيعى للآية الأولى الخراب والثانية البركة .

فالاولى : لماذا يترك لهم بيتهم خرابا ؟

لأنهم أعموا عيونهم عن الحق وقتلوا البرىء كقول أشعياء النبى : « أعمى عيونهم وأثقل آذانهم وأغلظ قلوبهم حتى لا يرجعوا ليشفيهم » (اش ٦ : ٩ ــ ١٠) . لما أراد بيلاطس أن يقنع اليهود بأن المسيح برىء وأن الأولى بهم إطلاقه فى فرصة العيد والحكم على باراباس اللص القديم . صرخوا فى وجهه قائلين : أصلبه . أصلبه : ولما تضايقوا من الحاحه فى آخر

الأمر قالوا : دمه علينا وعلى أولادنا : كلمة سهلة على الأفواه قالها اليهود ولكن لسوء حظهم لم يترووا فى عواقبها ولم يظنوا أنها تنفذ عليهم وعلى أولادهم حرفيا وقد تنبأ المسيح على خراب الهيكل (مت ٢٤ : ١٥) وهذا هو الأصحاح الهام الذى يشرح لنا العلامات التى تسبق القيامة وخراب أورشليم ضمناً .

قال السيد له المجد : « لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » (مت ٢٤ : ٣٤) وقد كان ودمرت أورشليم واحرق الهيكل بواسطة الرومان . وقد مات نحو مليون نسمة من أولادهم بالجوع والسيف والصلب قال يوسيفورس المؤرخ اليهودى الذى كان شاهداً لتلك الحوادث . أنه لم يبق محل فى أورشليم للصلبان ولا صلبان للناس . وقد ظل اليهود من ذلك الزمن الى الآن نحو عشرين قرناً وهم تائهون ومفرقون فى أنحاء العالم وتحت الضغط فى كل مكان ولم تستطع أمة سواهم أن تحتمل ما احتملوه ذلك قصاص قولهم : دمه علينا وعلى أولادنا .

صحيح أن دم المسيح البرىء قد وقع عليهم وعلى أعقابهم وسيكون وقعه أمر ما داموا مبتعدين عنه وغير معترفين به رباً ومسيحاً . قال صاحب الرؤيا : « هوذا يأتى مع السحاب وتنظره كل عين ويبكى عليه الذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض » (رؤ ١ : ٧) . وأسباب ذلك أولا : وقوع الدينونة عليهم . ثانياً : لرفضهم يسوع مخلصاً لهم .

أيها الأحباء ليس اليهود وحدهم هم الذين ينوحون عليه لأنهم طعنوه فعلا يوم الصلب بل ينوح معهم الذين طعنوه من كل أمة وجنس ومن المسيحيين أنفسهم الذين طعنوه ويطعنونه كل يوم بآثامهم ورفضهم إياه لأنهم يقبلونه إسما ويرفضونه فعلا (عب ٦ : ٦) . وتوجد أمور كثيرة نطعن نحن بها يسوع المخلص الحبيب كل يوم :

١ ــ عدم محبتنا لبعض
٢ ــ عدم سماع كلمة الله وهجر الكتاب المقدس
٣ ــ تفضيل الذهاب الى الملاهى والجلسات المستهزئة على الذهاب الى الكنيسة والجمعيات .
٤ ــ عدم التناول من الأسرار الإلهية المقدسة .
٥ ــ التغافل عن الفقير والأرملة واليتيم فتقصيرنا فى هذه الواجبات المقدسة يعد طعنا فى جنب يسوع الذى قال : الحق الحق أقول لكم ان ما فعلتموه بأحد أخوتى . بى قد فعلتم .

والثانية : حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب :

ان بيت اليهود بقى خرابا وآلامهم واضطهاداتهم وتفرقهم على سطح الأرض ما زالت ولكن الى حد محدود . وهذا الحد هو الوقت الذى يعترفون بأن المسيح هو ابن الله الحى وأنه هو هو المبارك الذى أتى باسم الرب وهو هو الذى صلبوه . نعم وليس ذلك فقط بل يتألمون وينوحون عليه كما ينوح الأب على وحيد له . وهنا يشتاق كل واحد أن يسأل سؤالا وهو هل يا ترى يأتى وقت لليهود فيه يقبلون المسيح الحبيب وللأجابة على ذلك أقول نعم لأن الكتاب المقدس يقول فى (رو ٩ : ٢٧) : « وإن كان عدد بنى إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص » .

وانى أورد هنا بعض من النبوات التى لم تتم بعد ولكن إتمامها لا مفر منه فى المستقبل على أن اليهود سيرجعون وذلك من الكتاب المقدس نفسه :

١ ــ عندما أضيق عليك وتصيبك كل هذه الأمور فى آخر الأيام ترجع الى الرب الهك وتسمع لقوله (تث ٤ : ٣٠) .

٢ ــ لأن بنى اسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم ولكن بعد ذلك يعودون ويطلبون الرب الههم وداود ملكهم ويعترفون بالرب ويحبونه فى آخر الأيام (هو ٣ : ٤ ــ ٥) .

٣ ــ فأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون الى الذى طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ويكونون فى مرارة عليه كمن هو فى مرارة على بكره (زك ١٢ : ١٠) .

٤ ــ فأنى لست أريد أيها الأخوة ان تجهلوا هذا السر . لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء ــ إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل ... فأنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطيعوا لكى يرحموا هم أيضاً برحمتكم (رو ١١ : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١) . حتى يقولوا مبارك الآتى باسم الرب . وهذه العبارة مقتبسة من (مز ١١٨ : ٢٦) وقد وردت أيضاً فى (مت ٢١ : ٩) وهى الترتيلة المشهورة التى رتلها بعض التلاميذ والشبان والأطفال عند دخول يسوع بموكبه الحافل الى أورشليم عقب اقامته لعازر من بين الأموات . وسيرتلها كل اليهود ذات يوم عن يقين بأن يسوع هو المسيا أى المنتظر المسيح ابن الله وسيرحبون به أى ترحيب ويأسفون ويبكون ويندمون على رفضه وطعنه والتمثيل به فى الأيام السابقة هذا من جهة

اليهود . ولكن ماذا تكون حالتنا نحن الذين ولدنا من آباء وأجداد مسيحيين وعائشين في وسط مسيحى ؟

هل نحن نقبل يسوع قبولا حقيقياً .

هل نقبله مخلصاً وفاديا لنا فعلا ؟

هل نصرخ بأعلى أصواتنا قائلين مبارك الآتى باسم الرب . وكأنى اسمع همساً فى الآذان ــ وكأنى أسمع البعض يقول نعم نحن نقول مبارك الآتى باسم الرب ساعة التوزيع . صحيح نحن نقول ذلك ولكن هل نحن فاهمون لماذا نقول ذلك ؟ هل نحن فاهمون ان فى تلك اللحظة يكون ملك المجد مشرفاً المذبح المقدس ؟ وقد تحول الخبز والخمر إلى جسده ودمه الأقدسين حتى نقول المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة . ورش الكاهن الماء الى أعلى دليل على أنه له المجد فى الوقت نفسه موجود فى السماء لأن السماء كرسيه والأرض موطىء قدميه .

ان كان الأمر كذلك فلماذا لا يحلو لنا السلام والكلام والحكايات وضرب المواعيد إلا فى هذه اللحظة عينها وقت التوزيع ؟

آه يا أحبائى انكم تجلبون عليكم لعنة بدل البركة فى تلك الساعة إذ كان من الواجب ان نقف فى الكنيسة بأدب وخوف ورعدة أثناء القداس الإلهى فمن باب أولى ان هذا الاحترام وهذا الخوف وهذا الأدب يكون أضعاف ذلك وقت التوزيع حتى نقول مبارك الآتى باسم الرب على حق . وحتى نكون فاهمين معنى ما نقول . ان العبادة التى يطلبها الله منا هى عبادة القلب المنكسر والروح المنسحقة كما قال داود النبى فى تراتيله . القلب المنسحق والمنكسر يا الله لا تحتقره . وان تكون عبادتنا مع السكون والهدوء والنظام وعدم الكلام والحركة قطعياً فى الكنيسة حتى تتصل الأرواح بخالقها وتصفو الأفكار من كدرها وتتم الشركة السرية مع الله وخصوصا وقت التوزيع . وله المجد والاكرام والسجود من الآن والى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السابع من الصوم الكبير

لماذا سعف النخل ؟

« فأخذوا سعف النخل وخرجوا لاستقباله » (يو١٢:١٣) .

باكر ، إن أراد الرب وعشنا ، سنحتفل بدخول السيد المسيح أورشليم راكباً جحشاً ، رمزاً لتواضعه وأنه ملك السلام . ولذلك حملوا فى موكبه أغصان الزيتون . ولكنهم حملوا أيضاً سعف النخل . قال الإنجيل : « ولما كان الغد سمع الجمع الكثير الذين جاءوا إلى العيد أن يسوع آتٍ إلى أورشليم . فأخذوا سعف النخل وخرجوا لاستقباله وهم يهتفون قائلين : « المجد لمخلصنا : مبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل » (يو١٢:١٢،١٣) .

إذا كانت أغصان الزيتون ترمز إلى دعوته إلى السلام ، من حيث أن المسيح هو ملك السلام ، فإن سعف النخل ــ يرمز إلى سيرة المسيح وسيرة الذين يتبعونه فى طريق السماء . سعف النخل ــ يؤخذ عادة من قلب النخلة ــ يتميز ببياض لونه ــ ونصاعته . وفى بياضه يرمز إلى طهارة المسيح ونقاوته ، فى قلبه النقى وسيرته الطاهرة . ليس فى السعف ما يشين نقاءه وصفاء لونه . وكذلك « المسيح لم يصنع خطيئة ولم يوجد فى فمه مكر » (١بط٢:٢٢) ، بل « ولم يعرف الخطيئة » (٢كو٥:٢١) . وقد قال جهراً « من منكم يبكتنى على خطية » (يو٨:٤٦) . ثم أن سعف النخل يتميز أيضاً باستقامته . وفى هذا يرمز إلى المسيح ، ملك السلام ، وإلى استقامته فى سيرته وتعليمه وفى طرقه . « فإن طرق الرب مستقيمة » (هو١٤:٩) . وقد شهد عنه الفريسيون وتلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين : « يامعلم ، نحن نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تحابى وجه إنسان » (مت٢٢:١٥،١٦) .

وكما يتميز ، سعف النخل باستقامته يتميز أيضاً بحدته . وهذه الحدة فى جوانب السعف وفى طرفه المدبب الدقيق ، ترمز إلى دقة التعليم المسيحى وتدقيق السيرة المسيحية فى التزامها بالمشيئة الإلهية بغير عوج أو انحراف ، وبعبارة أخرى ، أنها تُشير إلى أرثوذكسية الإيمان المسيحى وأرثوذكسية السيرة المسيحية معاً ، وهو ما تقتضيه الأمانة

التامة للسائرين فى طريق المسيح وعدم التساهل فى الحق الإلهى ، وكما يقول الرب يسوع فى سفر الرؤيا : « فكن أميناً حتى الممات ، وأنا أعطيك إكليل الحياة » (رؤ٢: ١٠) وكما يقول أيضاً بفمه الطاهر : « ولكن تمسكوا بما هو عندكم إلى أن أجيء » (رؤ٢:٢٥) .

إن أغصان الزيتون وسعف النخل يرمزان إلى فضيلتين عظيمتين تكمل إحداهما الأخرى .

الفضيلة الأولى : هى فضيلة المسالمة والعمل على إيجاد السلام ، والسعى إلى صنع السلام فى كافة المجالات — الإلهية والإنسانية ، الروحية والاجتماعية .

ثم الفضيلة الثانية : هى استقامة السيرة — واستقامة القصد واستقامة التعليم .

وإذا كان السلام يقتضى التسامح فى الحق الخاص ، فإن الاستقامة تقتضى التدقيق وعدم التساهل فى الحق الإلهى ، والحق العام وحق الغير . وإذا كان السلام ينطوى على الرقة والرحمة ، فإن الاستقامة تنطوى على الحزم والدقة والعدل . وإذا كان المسيح الملك أعلامه أعلام الزيتون وسعوف النخل ففيه له المجد التقت الرحمة بالعدل فى وحدة متكاملة من غير تعارض أو تنافر أو تناقض « فقد جعل الاثنين واحداً » (أف٢:١٤) . « الرحمة والحق تلاقيا . العدل والسلام تلاثما . الحق من الأرض أشرق ، والعدل من السماء يطلع » (مز٨٥:١٠،١١) .

هذا هو المسيح ، بل هذا أيضاً هو المسيحى السائر على درب المسيح — يجمع فى حياته وسيرته وتعليمه الرحمة والعدل معاً ، السلام والاستقامة معاً . يجمع التسامح على قدر طاقته فى حقه الخاص مع التشدد فى حق الله وحق القريب . يقرن اللطف فى غير ضعف مع الحزم فى غير عنف . يجمع فى شخصه الاثنين معاً دون أن يقع فى تناقض . يسير نظراً وعملاً فى طريق السلام مع الاستقامة والتدقيق ، فى انسجام وتكامل ، واتزان وتوازن .

المسيح ملك ، لكن أين مملكته ؟ والآن ، وفى باكر اليوم العظيم ، فى عيد أحد الشعانين ، دخل المسيح أورشليم معلناً أنه ملك . نعم . إنه ملك روحانى . ولكنه ملك ولكن فأين مملكته ؟

لقد قال المسيح إن مملكته ليست من هذا العالم ، وذلك حتى لا يزعج ملوك الأرض ولكى يطمئنهم أنه لم يأتِ لينافسهم ممالكهم الأرضية ، ولا جاء لينتزع منهم سلطانهم

الزمنى ، موضحاً أنه ملك على صعيد آخر ، على مستوى آخر ، على طراز آخر . وإذن فقد جاء ملكاً ، وليؤسس لذاته مُلكاً ، وإن كان ملكاً على صعيد روحانى ، لا مادى ، وعلى مستوى سماوى لا أرضى ، وعلى طراز أبدى ، لا زمنى .

جاء ليكون ملكاً فى الأرض ، كما هو فى السماء . لم يكن من الأرض لأنه نزل من السماء ، والذين يتبعونه يصيرون منتمين للسماء وإن كانوا من الأرض . قال لتلاميذه وللمؤمنين : « لستم من العالم بل اخترتكم من العالم . لأجل هذا يبغضكم العالم » (يو١٥:١٩ ، ١٧:١٤—١٦) .

وإذا كان المسيح ملكاً ، فأين مملكته ؟ مملكته فى السماء . لكنه قد جاء من السماء ليمد نطاقها إلى الأرض ، « ليصير ملك العالمين لربنا ولمسيحه » (رؤ١١:١٥) . وهذا هو سر الحرب التى أثارها الشيطان وجنوده بين الناس ، ضد المسيح ومملكته . وليست المؤامرات التى حاكها اليهود للمسيح ، والمشاورات والمداولات والمحاكمات التى عقدوها له ، إلا تعبيراً عن الحرب التى أعلنها الشيطان « كرئيس لهذا العالم » (يو١٢:١٣ ، ١٤:٣٠ ، ١٦:١١) ، على المسيح ، كرئيس للمملكة الجديدة التى نزل من السماء ليؤسسها على الأرض ، حيث عرش الشيطان (رؤ٣:١٢) وقاعدة مملكته . بل هذا هو سر التعارض الذى صار بين العالم ، بما فيه من شهوات وأطماع وشرور ، وبين المسيحيين كأتباع المسيح . أمسى العالم حرباً على المسيحيين ، وصاروا فيه مضطهدين ومكروهين ، وعاشوا فيه أمناء أو ماتوا شهداء .

قال المسيح له المجد : « إن كانوا اضطهدونى فسيضطهدونكم » (يو١٥:٢٠) . ويقول بولس الرسول : « وجميع الذين يريدون أن يحيوا حياة التقوى فى المسيح يسوع يضطهدون » (٢تى٣:١٢) . وكذلك أمسى المسيحيون حرباً على العالم والشيطان ، يشهرون به وبمبادئه ، ويقاومونه ، ويناقضونه ، ويعارضونه ، ويفضحونه . وبالإجمال ، أمسى المسيح والشيطان على خطين متعارضين متعامدين . أحدهما رأسى من فوق إلى أسفل ، والثانى أفقى من اليمين إلى اليسار . وكذلك أمسى أتباع المسيح متعارضين مع أتباع الشيطان والعالم . وفى هذا يقول الرسول بولس : « قد صلب العالم لى وأنا صلبت للعالم » (غلا٦:١٤) إذن ، فإن كان المسيح ملكاً ، فالكنيسة مملكته . والصليب هو علم مملكته . ولذلك يردد المسيحيون فى الكنيسة وينادونه بالمسيح ويلقبونه ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح . وأما الكنيسة فهى مملكة المسيح . وإذ صعد المسيح إلى السماء بعد صلبه وموته وقيامته ، فقدأصبحت

الكنيسة هى سفارة المسيح على الأرض ، وهى لذلك تمثله وتنوب عنه وتتحدث بلسانه ، وفيها مستودع أسراره . والسفارة تنتمى إلى البلد الذى هي منه ، لا إلى البلد الذى هى فيه . ونحن الذين آمنا بالمسيح ، فقد قبلناه مخلصاً وفادياً ، فانتزعنا من فم الأسد ، فصرنا له ، إذ اشترانا بدمه ، وصار المسيح ملكاً علينا ، وصرنا نحن مُلكاً له . ساد علينا كمخلص وفادٍ ، وامتلكنا بحق الشراء .

فما أسعد المسيحيين المؤمنين بالخلاص من الشيطان ومملكته ، وبالانضمام إلى المسيح ومملكته ، فصاروا به مفديين ومخلصين ومحميين ومقدسين . وقبل أن يدخلوا إلى جرن المعمودية جحدوا الشيطان ، معلنين انفصالهم عن مملكة الشيطان وانضمامهم إلى مملكة المسيح الرب . أما وسوف سنعيد باكر فى يوم أحد الشعانين للمسيح ملكاً روحانياً سماوياً ، ملكاً علينا ومالكاً لنا ، فلنذكر فى هذا اليوم رسالة مخلصنا وملكنا ومبادئه ، وأنها تتعارض فى صميمها وتتعامد مع رسالة الشيطان ومبادئه . ولا ننسى أننا لم نعد ننتسب إلى العالم والشيطان ، بل صار اسم المسيح هو الذى يُدعى علينا ، وقد أصبحنا للمسيح ، « وصارت أعضاؤنا للمسيح » (١كو٦:١٥) (أف٥:٣٠) فلا ندنسها بالخطيئة والشر . ولا نخلط بين المسيح وبليعال — أى الشيطان — ولا نُدخل روح العالم إلى الكنيسة ، حتى تبقى الكنيسة للمسيح عروسه الطاهرة ، « لا شائبة فيها ولا وصمة ولاما شابه ذلك (أف٥:٢٧) ، ولتبق كل نفس فى الكنيسة « عروساً للمسيح طاهرة نقية عفيفة » (٢كو١١:٢) . وإلهنا الذى تفضل وقبلنا إليه فى مملكته ، نسأله أن يحفظنا من شر العالم ودنس الخطيئة ، وينصرنا على الشيطان وكل جنوده الخفيين . والظاهرين ، حتى نظل دائماً فى يد المسيح ، ملكنا ولا يختطفنا الشيطان من يده (يو١٠:٢٨ ، ٢٩) .

« فإذا جاء فى مجده وجميع ملائكته القديسين معاً » (مت٢٥:٣١) ، أوقفنا على يمينه فى يوم الحساب العظيم ، ونادانا مع الأبرار والصديقين الذين يقول الملك الديان لهم : « تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعُد لكم منذ إنشاء العالم » (مت٢٥:٣٤) . والآن ، فلنجدد عهودنا معه . ولنعلن فرحنا ورضانا بأننا من أعضاء مملكته ، ولنشكره لأنه قبلنا إليه وضمنا إلى زمرته ، ولنحرص على كرامة مليكنا ونسبتنا إليه ، فلا يجدف عليه بسيرتنا « ولنرفع علمه فوق رؤوسنا محبة » (نش٢:٤) ، ولنرسم صليبه علينا بفخر قائلين مع الرسول بولس : « أما أنا فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لي وأنا صلبت للعالم » (غلا٦:١٤) . ولإلهنا السجود والإكرام والتسبيح الآن وكل أوان آمين .

عيد أحد الشعانين

مبارك الآتى باسم الرب . أوصانا فى الأعالى (مت ٢١ : ٩) .

جاء مخلصنا الى هذا العالم فى أبسط مظاهر التواضع . وعاش حياته بعيداً عن كل ما يؤول الى الفخر والتمجيد . وتجنب كل تصرف ينتظر من ورائه مجد . ولكنه الآن اتخذ طريقة مخالفة لتصرفاته السابقة . فكان قبلا يدخل أورشليم « لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته (مت ١٢ : ١٩) أما الآن فقد أراد أن يدخل علانية . محاط بموكب عظيم ممجداً كملك آتٍ ليفتقد رعاياه وذلك لأنه أراد أن يرفع عن مجد ملكوته الحجاب الذى أخفاه فى حياته ، وأن يعلن بذلك الاحتفال أنه المسيح ملك العالم الروحى الذى ينتظره اليهود ملكا لهم .

+ لقد بين فيما مضى وظيفته النبوية بالوعظ والتعليم والإنذار .
+ والآن وظيفته الملوكية .
+ كما أنه سيظهر عند صلبه وظيفته الكهنوتية .

لقد سبق وأعلن أنه ملك ولكن لم يعلن ذلك فى أى مظهر من مظاهره .

ألم يكن يحذر من صنع معهم المعجزات لكى لا يقولوا لأحد ؟

ألم يختبىء فى الجبال بعد إطعام الخمسة الآلاف لما طلب الناس أن يجعلوه ملكا ؟ وذلك لأنه كان يخشى أن تتعطل خدمته بتمجيده . أما الآن فقد دعته رغبته أن يعلن نفسه للعالم بأنه المسيا الى تحريك عواطف الجمهور ليهللوا له ويعلنوا سمو سلطانه لأن ساعته كانت قد جاءت . بينما كان الكتبة والفريسيين يحاولون تقويض مركزه وإبادة هيبته اذا به يظهر فى مثل تلك الهيئة والمجد السامى ، حتى ، ارتجت المدينة كلها وأخذ الجميع إندهاش حتى قالوا : هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل . وهكذا أعطى العالم درساً بأنه لا يستطيع أحد أن يخفى مجد الله . لأن يسوع الهادىء الوديع استطاع أن يهيىء لنفسه احتفالا فاخراً ابتدأ من جبل الزيتون حتى الهيكل من جمهور التلاميذ والجموع المزدحمة والأطفال . وقد أحاط به الكل وهم يحيونه تحية الملوك ، وبالغوا فى اكرامه حتى فرشوا ثيابهم أمامه فى الطريق وأمسكوا بأيديهم سعف النخل وأغصان الزيتون التى هى رمز النصرة وشارة الفرح (رؤ ٧ : ٩) وهى رايات النصر وأعلام السلام ولمن ترفع رايات السلام ان لم ترفع

« لرئيس السلام » (اش ٩ : ٦). هكذا جعل هيئة دخوله الى أورشليم مناسبة لازالة كل أوهام اليهود وتلاميذه فى ما يتوقعونه من سلطان أرضى ومجد عالمى وذلك فانه بالرغم عن صراخ الجماهير الذين تقدموا والذين تبعوا القائلين هوشعنا فان طبيعة ملكوته الروحية ظهرت فى كون تابعيه لم يحملوا سيوفا أو رماحا بل سعف النخل . وهو ذاته لم يركب جواداً كملك حربى بل جحشا ابن اتان وذلك علامة السلام والوداعة . يقول الشاعر :

قد جاء لا سيف ولا رمح ولا   فرس ولا شيء يباع بدرهم

دخل المخلص فى ذلك الموكب الجليل ، وقبل تلك المظاهرات الفخرية ، ليرى خصومه شيئاً من عظمته واقتداره على اكتساب تكريم الجمهور إياه وعدم مبالاته بقوة خصومه وعدواتهم وأوامرهم ، وأنه قادر أن يخلص ذاته من مكائدهم إن شاء ذلك . فيكون إستسلامه لتعذيبهم وصلبهم إياه باختياره ليتم قصده من نزوله من السماء : « لأنه إذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فى ٢ : ٨) .

وكان دخول المسيح أورشليم فى يوم الأحد العاشر من نيسان (وهو فى أوائل الشهر الأول عند العبرانيين كان فيه اليهود يشترون الحملان الخالية من العيوب ليقدموها ذبائح بعد خمسة أيام ، فأراد المسيح أن يوجه أنظارهم إليه بوصفه حمل الله المزمع أن يذبح عن العالم كله . وأيضاً لأن هذا اليوم كان يتفق مع عيد المظال وعيد الفصح الذى فيهما كان اليهود يهرعون الى أورشليم للاحتفال بهذه الأعياد فأراد المسيح أن يوجه أنظارهم أيضاً بوصفه فصحنا الجديد الذى سيذبح من أجلنا ، حتى تطابق الحقيقة المثال . لأنه يجب أن خروف الفصح ، الرامز ليسوع كان يفرز فى اليوم العاشر من شهر نيسان القمرى ليؤكل بعد خمسة أيام (خر ١٢ : ٣ ، ٦) .

فليس عبثا أن نرى يسوع حمل الله الذى يرفع خطية العالم يفرز علانية فى اليوم ذاته مع الأغنام الكثيرة الرامزة إليه . ثم يذبح على الصليب وقت ذبحها فى الهيكل بعد خمسة أيام (عب ١٠ : ٢٩) فلنشكر الله الذى دبر بحكمته أن يدخل أورشليم علانية ليصلب حتى لا يستطيع أحد فيما بعد أن ينكر أنه مات فى أورشليم . فافرحى يا أورشليم فها قد أتاكِ مخلصك راكباً على أتان كما قال زكريا . وهذا يذكرنا بموكب قديم حدث (١صم ٦ : ٧) إذ قال فالآن خذوا وأعملوا عجلة واحدة جديدة وبقرتين مرضعتين لم يعلهما نير وأربطوا البقرتين الى العجلة وأرجعوا ولديهما عنهما الى البيت وخذوا تابوت الرب واجعلوه على العجلة وضعوا أمتعة الذهب التى تردونها له قربان أثم فى صندوق بجانبه وأطلقوه فيذهب « فالعجلة القديمة التى لم يعلها نير أى لم يركبها أحد كان يمتطيها تابوت العهد : الذى كان رمزاً الى الرب يسوع (عب ٩ : ٤ — ١١) .

يذكر يوسيفوس المؤرخ المعروف أنه عند دخول السيد المسيح أورشليم راكباً على جحش ابن أتان كان حوله مليونان ونصف مليون نسمة بلغ هتافهم عنان السماء ، هذا الجمهور الفقير كان قد حضر من كل مكان ليحتفل بالفصح وكانوا يهتفون : أوصنا فى الأعالى يا ابن داود . مبارك الآتى باسم الرب . ذاك الذى قضى حياته وديعاً أعلن بدخوله أورشليم بذلك الاحتفال الملوكى أنه هو بعينه الذى قيل عنه قديماً أن أباه السماوى خاطبه قائلا : « أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكاً لك » (مز ٢ : ٧ ، ٨) وقيل له أيضاً : « أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » (مز ١١٠ : ١) يقول عنه داود النبى : « يسجد لك كل الملوك وكل الأمم تتعبد له » (مز ٧٢ : ١١) .

لقد بهت الكتبة والفريسيون عندما شاهدوا الجماهير تحيى المسيح تحية الملوك الظافرين ، لأنهم اعتبروه أقل شأنا منهم نظراً لوداعة حاله . وفاتهم ان ملوك العالم العظماء قد بادوا ونسيت أسماؤهم أما اسم يسوع فانه يهتف بمجده كل لسان كان يهتفون له قائلين : « أوصنا لابن داود . مبارك الآتى باسم الرب . أوصنا فى الأعالى » (مز ١١ : ١٠) هذا المزمور الذى قال عنه بعض المفسرين ان اليهود رتلوه لأول مرة فى حفلة تدشين الهيكل الثانى . ومعنى أوصنا أى خلص وهى مأخوذة من (مز ١١٨ : ٢٥) . آه يارب أنقذ ، مبارك الآتى باسم الرب . باركناكم من بيت الرب . فهو المخلص الوحيد الذى دعى اسمه : « يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢١) . وفى كل جيل وجد ألوف فى يسوع خير مخلص لهم من أحمالهم الثقيلة : « يسوع هو وحده القادر أن يخلص أيضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله . إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) .

بقى سؤال فى هذا المقام : هل خلاص المسيح يعمل فيك وفى حياتك اليومية وفى بيتك ليطهرك من كل خطية ؟ هل حياتك تعلن عن حصولك على الخلاص حقا وهل حركاتك وسكناتك ونظراتك ولمساتك ، كلها تعلن عن بركات هذا الخلاص ؟ اسأل نفسك !!

حينما أراد يسوع أن يدخل أورشليم كملك فما هو السلطان الذى استعمله ليجذب الجماهير إليه لتهتف له ؟ ليس بقوة وعنف ساق إليه الناس لتحتفل به . انه له المجد لم يستخدم أية قوة أو حيلة للأتيان بالجموع ، بل هم الذين شعروا بجاذبية غريبة لأنهم نظروا القوات التى صنعها يسوع وآمنوا به وقتئذ بنوع خاص فيسوع مع أنه يملك كل قوة يستطيع أن يجذب بها الجمهور لكنه لم يستخدم غير لطفه ومحبته . فجعلهم فى تلك

الساعة يتمثلون فضائله ومعجزاته وخيراته . وبقوة خدمته لهم ومحبته إياهم جعلهم يهتفون له . وكان هتافهم منبعثاً من قلوب شاعرة بفضلة . ومن أفئدة مملوءة بالاحساس بجميله واحسانه .

يسوع هو الملك الوحيد الذى بنى ملكه على المحبة . فلم يستخدم أى سلاح لتحويل الأنظار إليه إلا سلاح المحبة . لهذا نجد ملك المسيح دائماً يتسع ويمتد ويبقى لأن الرهبة لم تكن يوما سلاحه لتأييد ملكه . وكم ينبغى أن نفرح نحن لأن ملكنا على هذه الحال من الحب لنا . قال زكريا النبى عنه مخاطباً أورشليم : « هوذا ملكك يأتى اليك . هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وجحش ابن اتان » (زك ٩ : ٩) . فالصفة التى وصف بها ملكنا هنا هى أنه وديع . ان الملوك عادة يوصفون بالعظمة والكبرياء والجبروت . ولكن هذا الملك الفريد علمنا ان الوداعة صفته كملك . لأنه حتى فى هذا الاحتفال الذى أراد فيه أن يكشف الحجاب عن حقيقة ملكوته آثر أن يأتى وديعاً راكباً على جحش ، وقد كان فى قدرته أن يحمل على أجنحة الرياح أو جفيف أجنحة الملائكة لكى يبيد أعداءه بنفخة من فيه . ولكنه لا زال ميالا الى السكينة والهدوء ، جاعلا نفسه تحت سلطة أعدائه فى الوقت الذى أراد أن يظهر فيه سلطانه المطلق .

+ دخل أورشليم على صورة تحفظ هيئة الاتضاع الموافق لوظيفته الفدائية . فما أعظم هذا الاتضاع الذى يبدو من ملك الملوك ذاك الذى رآه الأنبياء : « جالساً على كرسى عظمته يتعظم فى السحاب على مركبة الكاروبيم على كرسى عال ومرتفع واذياله تملأ الهيكل » (أش ٦ : ١) . ليعلمنا أن العظمة لا تقوم فى المظاهر الفاخرة بل فى التواضع والوداعة . لأن العظيم عظيم بنفسه لا بما يحيط به . ان كثيرين يحاولون بلوغ العظمة بالتربع فى المراكز الرفيعة . ولكن ليست العظمة فى المناصب بل فى من يتقلدونها . فيسوع سكن المذود ، وركب الجحش ، وصعد الى الصليب . ومع ذلك لم يزل مجده ملء كل الأرض . التواضع يرفع المتواضعين . وهكذا نرى يسوع فى حياته على الأرض فى أقل مظاهر تواضعه كان يثق بانتصاره النهائى . أنظروا إليه وهو يدخل أورشليم كملك تراه يبكى . لم يعبأ بذلك المظهر المفرح لأنه كان يرى المستقبل . والذين هتفوا له يوم الأحد قائلين أوصنا صرخوا يوم الجمعة أصلبه . أصلبه .

إن كلمة الهتاف التى رتلوها أمامه يوم دخوله أورشليم قائلين مبارك الآتى انقلبت بدسائس الكهنة الى الصراخ أمام الوالى فقالوا له عن يسوع خذه أصلبه ولكنه لم يبال مطلقا ، كأنه فى يوم الأحد لم يسمع الهتاف وفى يوم الجمعة لم يسمع الصراخ . كان فى سلام سواء فى المدح أو فى الذم . وما دام يقدر لنفسه الانتصار فإنه لا يعبأ بالمظاهر

الخارجية . لذلك لما أوقف أمام بيلاطس كمذنب صرخ أمامه قائلا أنا ملك . والذى يراه حينئذ فى مظهر دعته وضعفه يهزأ بقوله هذا ولكن الذى يرى ملكه الآن ممتداً من أقاصى المسكونة الى أقصائها يهتف قائلا : المجد لك أيها الملك الصالح .

أنظروا إليه وهو داخل أورشليم . من هم الذين استقبلوه وهتفوا له ؟ لم تكن عساكر والى اليهودية ، أو ملك اليهود . أو الكتبة والفريسيين بل أطفال صغارهم الذين أعدهم وهيأ منهم سبحاً كما قالت النبوة : « من أفواه الأطفال والرضع أسست حمداً بسبب أضدادك لتسكيت عدو ومنتقم » (مز ٨ : ٢) لقد فرحت أورشليم وتم ما قاله زكريا : « رابطا بالكرمة جحشه وبالجفنة ابن أتانه » (تك ٤٩ : ١٠) .

هل قلوبنا اليوم مخلصة عابدة . ونفوسنا متهللة هاتفة للمسيح أوصنا مبارك الآتى باسم الرب ؟ سدت أفواه الكهنة والكتبة والفريسيين ولم يمجدوا واكتفى بهتاف الأطفال ، سكت الرؤساء والشيوخ لأنه أعد منهم هتافاً آخر وهو قولهم لبيلاطس أصلبه . فهو لا يريد أن ينطق الأشرار باسم جلاله ، أو « يتحدثوا بعهده على أفواههم » (مز ٥٠ : ١٦) . ولا يرغب أن يقبل التمجيد من قوم إسودت قلوبهم وامتلأت افئدتهم اثما وفساداً . أنه فى غنى عن تسبيح الشفاة المتعودة التكلم بالكذب والمكر والرياء والخداع . فهو ممجد من كل خليقته « السموات تحدث بمجد الله . والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) . من المُسلم به ان مخلصنا اختار الفقراء والأولاد ليرنموا بتسبيحه لأن بساطة القلب المملوء حب هى أفضل صفة تجعل تسبيحنا مقبولا لديه . فيجب أن ننبذ الكبرياء والانتفاخ اذا أردنا أن نعبد الله فان المتواضعين وحدهم هم الذين يستطيعون تسبيحه .

دخل المسيح أورشليم ، وهرع الشعب لاستقباله بفرح وبساطة قلب . رحب به المرضى الذين شفاهم ، والحزانى الذين عزاهم ، والجهال الذين أنار عقولهم . وبين هؤلاء كان جماعة الفريسيين وكانت قلوبهم المملوءة حسداً وحقداً اسمعهم يقولون للرب أن ينتهر تلاميذه واسمع رد الرب عليهم « إن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق » (لو ١٩ : ٤٠) .

يقول مفسر شرح بشارة لوقا وهو يعلق على هذا الكلام فيقول : اذن كانت الحجارة أفضل من قلوب الفريسيين ، فالحجارة جامدة ، لكن قلوبهم جاحدة ، وكم من مرات تشهد فيها أحجار أثرية قديمة لمجد المسيح وصدق رسالته فيتم فيها هذا القول حسا ومعنى !! هل فى هذا القول اشارة ضمنية الى ما جاء فى حبقوق : « لأن الحجر يصرخ من الحائط » (حب ٢ : ١١) . إن غيظ الفريسيين أكل قلوبهم كنار حين شاهدوا الآلاف المؤلفة تهتف للمخلص ، ومن غيظهم نسمعهم يقولون بعضهم لبعض « انظروا انكم لا تنفعون

شيئاً هوذا العالم قد ذهب وراءه » (يو ١٢ : ١٩) .

تلك شهادة قوية على عظمة رسالة المسيح ، وفى نفس الوقت على الحسد التى كانت تتلظى فى قلوبهم وجوانبهم .

فأصبر على حسد الحسود	فان صبرك قاتلـــــــــه
والنـــــار تأكل بعضهـــــا	ان لم تجد ما تأكلـــــــه

أتى المسيح الى أورشليم لكى يرد سبيها ويعيد اليها سعادتها . وكان المنتظر من هذه المدينة ان تقابل خبر مجيئه بالابتهاج والسرور . ولكننا نرى فيها قوما يحزنون حزناً مفرطا لما رأوه وعندما سمعوا هتاف الأطفال ازدادو هما وكمدا . « وفيما هو يقترب نظر الى المدينة وبكى عليها » (لو ١٩ : ٤١) فى يوم عيده يبكى . يا للعين الطاهرة ، ما لهذه الدموع التى تنزل منها . الشعب مبتهج بك وبنت أورشليم تهتف لك وأنت تبكى . إنه لا ينظر الى اليوم أو الساعة التى هو فيها ... إنه ينظر أورشليم بعد حوالى نصف قرن ونيف تقريباً يوم حاصرها تيطس الرومانى لشرها وتصلب رقاب أهلها . إن أورشليم عينها مغموضة ولا تعرف المخبأ لها . أنها اليوم فى سرور عظيم . ولكنها لا تعرف ما سيكون : « إنك لو علمت أنت حتى فى يومك هذا ولكن قد أخفى عن عينيك ستأتى أيام يحيط بك أعداؤك ويحاصرونك من كل جهة » (لو ١٩ : ٤٢ ـــ ٤٣) .

رأى المدينة العظيمة ، وهيكلها وجماله الذى لا يزول على حد تعبير أحد المؤرخين .

رأى المدينة ستهدم وهيكلها لا يبقى منه حجر على حجر لا ينقض . فبكى على المدينة التى ستصبح يوما من الأيام خرابا جزاء شرها . ان الله الذى يتمهل لا يهمل ، والذى يترك الشرير مدة من الزمان لا يتركه إلا ليرجع ، ولكن المدينة الخاطئة والشعب الذى يصر على العناد فالويل ينتظرهما . « ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم » (اش ١ : ٤) . « إننا نستهين بغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته غير عالمين ان لطف الله إنما يقتادنا الى التوبة » (رو ٢ : ٤) . إرفع رأسك وأنظر الى عين يسوع تدمع .. تدمع على عاقبة شر أورشليم . انه لا هم له سوى البكاء على الخطاة ، لا يعبأ بمديح ولا بهتاف ولا بتتويج ولا بطعام ، ان له طعاما آخر أن يسعى لخلاصك وان يرثى لحالك . انه موافق على البكاء من أجل خلاص النفس طول الليل أعوم فراشى بدموعى . إن بنات صهيوت عندما رأوا يسوع حاملا صليبه رقت قلوبهن ودمعت عيونهن . لم يقدم يسوع الشكر لهن على هذا الشعور ولكنه قال : « لا تبكين علىّ .. بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن » (لو ٢٣ : ٢٨)

كان الشعب فى سرور وكأنه الطير يغرد ولا ينظر الى السهم الذى سيصوب نحوه بعد قليل ليرديه الى الأرض ميتا . ما لنا لا ننظر الى مستقبلنا . ان مستقبلنا ومستقبل أولادنا فى حاضرنا . نعيش فى فرح وسرور ويا ليته فرح فى الرب حقاً . « افرحوا فى الرب وأقول أيضاً افرحوا » (فى ٤ : ٤) ، (١تس ٥ : ١٦) . ولكن حتى فى أعيادنا وافراحنا فى أعياد الرب ننسى الرب . لو كنا فى هذا اليوم نفرح الرب ونتناول باستحقاق . إن يسوع لا تهمه المظاهر والافراح التقليدية . إنه ترك الهاتفين يهتفون ... ونظر الى المدينة وبكى عليها . انه دخل الهيكل ولم يسر بكثرة الناس فيه . ولكنه ثار ثورته الكبرى وطرد الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل قائلا لهم : « مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (مت ٢١ : ١٣) لقد أكلت قلبه نار الغيرة على بيته الطاهر « غيرة بيتك أكلتنى » (يو ٢ : ١٧) . إن حمل الله الوديع الذى لم يطفىء فتيلة مدخنة يقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام ويطرد الأشرار من بيته لأن ببيته تليق القداسة . أيها الاحباء ربما تظنون ان التشخيص أو التمثيل الذى تمثلونه فى الكنيسة اليوم يكون فيه شرف وفخر لكم . أتظنون ان الله يقبل صلواتكم وصراخكم عندما تقولون مبارك الآتى باسم الرب أوصنا يا ابن داود أوصنا فى الأعالى . بهذه الضجة وذلك التشويش ؟ الا فاعلموا ان هذه الحالة تغضب الله كثيراً ولا تجلب علينا بركة ما لأننا نمثل هيئة سوق بالتمام فان الرجال والنساء يتكلمون والبعض يصفرون الخوص والأطفال يجرون كأنه على مسرح تمثيل . ولا يمكن لأى إنسان أن يتصور أن تلك الهيئة تدل على العبادة ولا يعتقد أن الله يقبلها .

أيها الأحباء انها ساعة لنستيقظ من النوم قد آن الوقت الذى فيه نعبد الله بخوف . ان الله لا يقبل منا الصلوات الشفوية التى نتلوها بدون عقل . قال السيد له المجد للمرأة السامرية : الله روح والساجدون له بالروح والحق ينبغى أن يسجدوا . ان العبادة التى يطلبها الله منا هى عبادة القلب المنكسر والروح المنسحقة كما قال داود فى ترتيلة القلب المنسحق والمنكسر يا الله لا تحتقره وان تكون عبادتنا مع السكون والهدوء والنظام وعدم الكلام والحركة قطعياً فى الكنيسة حتى تتصل الأرواح بخالقها وتصفو الأفكار من كدرها وتتم الشركة السرية مع الله وخصوصا وقت التوزيع . ولكن للأسف الشديد فإن كثيرين يغيظهم صوت الحق ، ويصرون على عنادهم . غير مكترثين بنداء مخلصهم .

كلنا يعرف الشقاء والعناء الذى يتكبده اليهود منذ رفضهم للمسيح الى الآن . فليحذر كل منا لئلا يجلب على نفسه غيظ القدير برفضه اياه . الرب يحبنا كما أحب تلك المدينة التى نظر اليها وبكى بهذه الطريقة يطلب قلوبنا . يظهر يسوع لتلك القلوب كضيف

وكملك واقف على الباب فأى شيء تريد أن تقول له ؟ هل تفتح له الباب قائلا تفضل مرحباً بك يا سيد ، أم تقول له أخرج لا نريد أن هذا الانسان يملك علينا » (لو ١٩ : ١٤) . الرب بجيوش الخلاص يحتفل كل يوم بدخول قلوب المؤمنين . أما إذا كان فينا قلب أورشليمى تعود أن يرفض دعوته فإنه يرجع عنه حزينا باكيا مهددا إياه بالهلاك الأبدى . أما القلب الذى يفتح بسرور قائلا : مبارك الآتى باسم الرب . فانه يصبح مركزاً لحلول ابن الله ، كقوله له المجد : « هأنذا واقف على الباب وأقرع . ان سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه واتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) . وقال أيضاً : « ان أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (يو ١٤ : ٣) .

ان دعوة المسيح للخلاص هى دعوة فردية لكل إنسان . فهو يأتى لكل إنسان قارعا بابه كما جاء لأورشليم . انه أعطى فرصة لليهود ليقبلوه ولكنهم رفضوا . وهو يعطينا هذه الفرصة الآن فماذا نقول ؟ التلاميذ فرحوا فرحاً عظيماً يوم دخول سيدهم إلى أورشليم . على أن فرحهم هذا لا يذكر بالنسبة الى فرح وابتهاج شعبه فى يوم مجيئه الثانى ليملك الملك الأبدى جهاراً . لأن فرح التلاميذ المشار اليه كان وقتيا زائلا وتحول بعد فترة قصيرة الى حزن وبكاء ولكن فرح المؤمنين فى يوم مجيء سيدهم الأخير سيكون أبدياً لا نهاية له ولا يشوبه حزن . وحين يأتى يسوع بمجده وجلاله ويقيم ملكوته المجيد لا يجسر أحد أن يتفوه بكلمة على ملك الملوك بل سيعترف كل لسان أن يسوع المسيح رب لمجد الله (فى ٢ : ١١) . وله المجد والبركة والعزة الى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية تذكار ظهور الصليب المجيد

حياة التلمذة

« إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى » (يو٨:٣١) .

إن الحياة المسيحية هى حياة تلمذة . وكل الذين آمنوا بالمسيح تسموا تلاميذ للرب . والسيد المسيح لما ألقى العظة على الجبل ألقاها لتلاميذه ، إذ يقول الكتاب المقدس : « تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلاً » (مت٥:٢) .

والذين آمنوا عن طريق يوحنا المعمدان تسموا تلاميذ يوحنا . والسيد المسيح ، لما أرسل الرسل ، قال لهم : « اذهبوا ، وتلمذوا جميع الأمم » .

ذلك أن الحياة المسيحية هى حياة تلمذة . « فالمولود أعمى » عندما دافع عن المسيح له المجد قالوا له : أنك تريد أن تصير له تلميذاً . بل إنهم شتموه وقالوا له : أنت تلميذ ذاك ، ونحن تلاميذ موسى .

إن الذى يتبع المسيح هو تلميذه . وفى عهد الرسل يقول الكتاب المقدس : « كان عدد التلاميذ يتكاثر جداً » بمعنى عدد المؤمنين . مفروض أن الإنسان يتتلمذ على حياة المسيح والتلمذة ليس معناها أن تسمع محاضرات وكلاماً أو دروساً . إنما التلمذة معناها أنك تتلمذ على حياة وتعاليم تمتصها وتعيش فيها ، وليس مجرد سماع فقط ، فكل المؤمنين يسمعون الإنجيل فى القداسات والصلوات ، لكن هل بهذا صاروا تلاميذ للمسيح ؟ للإجابة على هذا السؤال نبحث الشروط . فإن المسيح قد أعطى شروطاً معينة للتلمذة ، إذ قال فى يوحنا (٨:٣١) « إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة أنتم تلاميذى » بمعنى أنه ليس لمجرد سماع كلامه قد صرت تلميذاً له . لكن المهم أن تثبت فى هذا الكلام وتتدرب عليه وتحوله إلى حياة . هذه هى التلمذة .

والمسيح أيضاً يقول إن هناك أنواعاً من الناس لا يمكن أن يكونوا تلاميذ له ، منهم :

+ من لا يترك أباه وأمه .

+ من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء .

+ الذى لا ينكر ذاته ولا يحمل صليبه .

التلمذة إذن ليس معناها مجرد أن تسمع كلاماً . فإن لم تنكر ذاتك وتحمل صليبك وتترك كل شيء من أجل المسيح ، لا تستطيع أن تكون له تلميذاً ويضع المسيح قاعدة أخرى أمام الرسل ـــ للتلمذة ـــ حين يقول لهم : « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان لكم حب بعضكم نحو بعض » (يو١٣:٣٥) . والتلمذة إذن حياة معينة ، يتتلمذ فيها الإنسان على تعاليم وعلى وصايا ، ويقتبس شيئاً ليحيا به . ونحن نريد أن نرى أنواع التلمذة .

أول هذه الأنواع ـــ الإنسان الذى يتتلمذ على الكلام :

على معلم يأخذ منه إرشادات ونصائح وتعاليم . ومن هذا النوع كان كثير من الرحالة يسافرون البر والبحر ليأتوا إلى آباء البرية ليأخذوا من أحدهم « كلمة منفعة » هذا النوع من الناس ، يأخذ الكلمة ، ويبدأ يدرب نفسه عليها ، ويجعلها دستوراً لحياة . كل كلمة طيبة يسمعها يحفظها فى قلبه ولا ينساها . هذا تلميذ طيب . أما الذى ينسى الكلام والمعلومات فهو تلميذ فاشل .

وهناك أشخاص يتتلمذون طول العمر نتتلمذ على وصايا الله وكلماته ، والروح الذى نأخذه من المثل العليا مهما نال الإنسان من مركز ومهما بلغ من العمر . إننا فى ذلك نسمع أن البابا ثاؤفيلس الثالث والعشرين ـــ كان يذهب إلى البرية للرهبان ليتتلمذ وليسمع كلمة منفعة ، والكتاب المقدس فى ذلك يقول : « إن الاستماع أفضل من التكلم » (١صم١٥:٢٢) .

ونحن نسمع عن القديس مكاريوس الكبير الذى نشر الرهبنة فى الأسقيط وله آلاف من أبنائه الرهبان . هذا القديس يقابل الصبى زكريا . ويقول له يا ابنى يازكريا ، قل لى كلمة لكى انتفع . فسجد أمامه الصبى زكريا وقال له : يا أبى أنت سراج البرية ونورها وتطلب منى كلمة . وتسألنى أنا ماذا أفعل لكى أخلص ؟!
فأجابه القديس قائلاً يا بنّى أن الروح القدس الساكن فيك أعلن لى أنه يوجد عندك شيء ينقصنى ، أريد أن أعرفه .

لقد كان القديس العظيم مثلاً لإنسان يريد أن يتعلم والشخص الذى يريد أن يتعلم ويتتلمذ ، يستفيد من أى معرفة روحية ، أيا كان مصدرها . تماماً مثل الأنبا افرآم السريانى . قابلته ذات مرة امرأة خاطئة وظلت تنظر إليه فقال لها يا امرأة أما تستحى أن تنظرى إلىّ بهذا الشكل ، فقالت له : أنا أُخذت من رجل ، فأنظر إلى الرجل

الذى أُخذت منه ، وأنت أُخذت من التراب ، فانظر إلى التراب الذى أُخذت منه ، واستطاع القديس أن يأخذ حكمة من كلامها .

بل أن سبب سكن القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان فى البرية امرأة خاطئة . فقد كان يسكن إلى جوار النهر . وجاءت امرأة وخلعت ملابسها ونزلت لتستحم . فقال لها القديس : أما تستحين أن تخلعى ملابسك أمامى وأنا راهب ؟ فقالت له : لو كنت راهباً لسكنت الجبال والبرارى وقد كان .

إن الشخص الذى يريد المنفعة والتعليم يلتقط الكلام أينما وجدَ ويستخرج منه الدروس لروحه التواقة إلى التلمذة .

كان ذلك أول نوع من التلمذة . التلمذة على الكلام .

والنوع الثانى ــ هو التلمذة على الحياة :

وهذا النوع معناه ، أن يمتص المتعلم الحياة من الناس دون أن يتكلموا . حدث ذات مرة أن زار البابا ثاؤفيلس الدير ، وقال الناس للأنبا بافلوتيوس . وكان مشهوراً بالصمت . قل كلمة ــ لكى ينتفع البابا ــ فأجابهم قائلاً : إذ لم ينتفع من سكوتى ، فمن كلامى أيضاً سوف لا ينتفع ، وكان درساً .

والأنبا شيشوى ذات مرة أتوا إليه بتلميذ جديد طالب رهبنة لكى يعلمه . فمكث التلميذ مدة كبيرة والقديس لا يقول له شيئاً . لا أوامر ، ولا إرشادات ولا توجيهات . فشكاه للشيوخ الذين ذهبوا للقديس يستفسرون عن سبب ذلك الموقف ، فقال لهم القديس : أنا لست رئيساً ، ولا مديراً حتى آمره أمراً من الأوامر . إنما أنا أشتغل أمامه وأعيش فما يراه يستطيع أن يفعل مثله ويتعلم .

لا تظن أن المعلم هو الشخص الذى يعطيك كلاماً كثيراً . أبداً . وإنما تتلمذوا على الأمثلة الحية الطيبة التى ترونها أمامكم .

هكذا كان القديس أنطونيوس العظيم فى بدء رهبنته ، لم يكن هناك مرشدون لكى يسترشد بهم ، وإنما عاش فى وسط النساك يتعلم منهم . يأخذ من واحد فضيلة الصمت ، ومن آخر فضيلة الوداعة ، ومن ثالث فضيلة الزهد . وهكذا . حتى لقد قيل عنه أنه كان كالنحلة التى تمر على الزهور المختلفة تأخذ من كل زهرة رحيقاً .

عيبنا أننا نريد أن نأخذ جميع الفضائل من شخص واحد . كل واحد يقابلك خذ منه صفة طيبة . هذا لمن يريد أن يتتلمذ . أن يمتص الحياة .

ذات مرة ذهبت مجموعة من الناس إلى أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس لتتعلم منه وأخذ كل من أفراد المجموعة يوجه إلى القديس أسئلته . إلا شخص واحد أمضى الجلسة كلها صامتاً يستمع . ولما سأله القديس عن سبب ذلك قال له : يكفينى النظر إلى وجهك يا أبى . ذلك أن هذا الشخص أراد أن يتعلم مما يراه من قسمات وجه القديس الأنبا أنطونيوس وسماحته وبشاشته هل تظن أن أذنك فقط هى الوسيلة الوحيدة للتلمذة والتعليم . عيناك أيضاً وسيلة جيدة لهذا الغرض ، فانظر ، وتعلم ، تعلم من الحياة .

إن القديس أرسانيوس الكبير لم يكن يتكلم إلا نادراً ، وكان الناس يتعلمون منه وهو صامتاً . كانوا يتعلمون من سكوته ومن هدوئه ومن اجتهاده فى العمل الروحى .

وهكذا كان المتوحدون الصامتون . كانوا هم أنفسهم عظات ودروساً . بل أننا نأخذ دروساً من حياة الذين رقدوا أيضاً . وليس فقط من الأحياء . ومن أجل هذا نقرأ سير القديسين لنتعلم من حياتهم . ومن ذلك لابد أن نذكر قول السيد المسيح أن ملكة التيمن ستقوم فى اليوم الأخير وتدين هذا الجيل ، لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان وهوذا أعظم من سليمان ههنا . درس ملكة التيمن أنها جاءت من بعيد لتسمع الحكمة وتتعلمها من سليمان . وهكذا ، فإن الله أعطانا فى الكتاب المقدس صوراً من حياة الأنبياء ، ومن حياة الرسل لكى نتتلمذ من حياتهم ونتعلم . والكتاب المقدس يقول لنا : « انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بهم » (عب١٣:٧) .

إذن . أنتم فى حياتكم على الأرض ، رأيتم وترون أُناساً صالحين كثيرون ، فإذا لم تستفيدوا وتتعلموا من هؤلاء الصالحين الذين رأيتموهم فى حياتكم . فسيدنكم الله فى اليوم الأخير وسيكون هؤلاء الصالحون دائنيين لكم ، تماماً مثل ملكة التيمن التى قال السيد المسيح أنها ستدين هذا الجيل .

والتلمذة ليست مجرد قراءة ، وإنما هناك تلمذة على الحياة . كالأطفال الذين لا يقرأون ولكنهم يتتلمذون ويتعلمون من الحياة . ولذلك فإنك ستُدان فى اليوم الأخير إذا قدمت للأطفال دروساً ضارة تتلف حياتهم وإذا لم تقدم لهم القدوة الصالحة والمثل الطيب خذ درساً من كل صفة فاضلة تراها فى إنسان ما . مثلما دعانا السيد المسيح له المجد أن نأخذ درساً من « قائد المئة » الأممى الذى قال السيد المسيح عنه : « لم أجد فى إسرائيل كله إيماناً مثل هذا الرجل » (لو٧:٩) . ومثلما دعانا السيد المسيح لنأخذ درساً من « السامرية » ومن « المرأة الكنعانية » . خذ درساً . وتتلمذ على الحياة . الحياة التى تحياها وتراها ، والحياة التى تقرأ عنها .

أخيراً النوع الثالث من التلمذة ــ هو التلمذة على الكتب :

ومنها الكتب التى فيها كل الفضائل والإرشادات والسير الحسنة ، فاقرأوا الكتب وتعلموا منها وتتلمذوا عليها . إن لم يوجد من يعلمكم . فتعلموا من الكتب . والشخص الذى يريد أن يتتلمذ ، عليه أن يقرأ كثيراً ويتأمل ما يقرأ ، ويلتهم المعرفة كالجائع الذى يقول عنه الكتاب المقدس : « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشعبون » (مت٥:٦) .

لقد كان أوريجينوس العلامة الكبير ، يستأجر المكتبات ليبيت فيها يقرأ حتى الصباح . لدينا كثير من الكتب . فلماذا لا نقرأ .

إن هذه المطبوعات الكثيرة ، والكتب الوفيرة سوف تديننا فى اليوم الأخير ، لأننا رفضنا أن نتتلمذ وأن ندرس ونتعلم ونعرف . اقرأوا كثيراً ... وتتلمذوا وليكن تدريباً روحياً لكم أن تقرأوا كثيراً .

ولربنا وإلهنا المجد إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية تذكار البشارة

موقفـــــان

« وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة » (لو٧:٣٧) .

كان معلمنا لوقا كاتب الإنجيل الثالث بشيراً ونذيراً ، وطبيباً ماهراً . ويقول تقليد قديم إنه كان فوق ذلك رساماً مبدعاً ، ومصوراً قديراً .

فلا عجب إذا تميزت بشارته عن سائر البشائر بالصور الجميلة التى أضفاها عليها الوحى المقدس . وبين تلك الصور ، بل فى مقدمتها ، تلك الصورة الخطيرة التى أرانا فيها الطفل يسوع مولوداً من عذراء ، فملأ هذه الصورة بدقائق فنية رائعة خلا منها كل إنجيل آخر . مما يدل على أنه استقى هذه المعلومات رأساً من القديسة مريم العذراء .

وإلى اليوم لم يرَ العالم صورة تحاكى فى بعض جمال صورة البيت الذى هجرته السعادة لأن « الابن الضال » قد هجره ، ولم يبق فيه إلا الابن الأكبر ، يمشى فى رحباته بكل عجب وخيلاء ، يستتران من خلفهما كآبة صامته خرساء ، لأن أباه ترك الدار ، أو كاد ، فلا يقضى فيه إلا بعض الوقت فى أطراف الليل والنهار ، منتظراً خارج البيت حتى يرى أن ابنه الأصغر إليه قد عاد .

ومن ينسى تلك الصورة الرائعة فى جمالها التى رسمها فى نهاية الأصحاح السابع من بشارته الخالدة ، فأرانا فيها شخصين على طرفى نقيض — أولهما رجل مغتر ببره الذاتى غارق فى لجج هذا الغرور ، لدرجة أن بياض رداء بره الذاتى قد طفح على جسمه فتحول إلى برص ، فخلع عليه الناس لقب « سمعان الفريسى » لكن ، من خلال بياض بره الذاتى توسوس شياطين فساده وكبريائه وحسده ، وترقص أفاعى المكر والدهاء فى رحبات قلبه الجاحد وتلمع عيناه الزجاجيتان نظير كرتين من الثلج ، لا تذيبهما حرارة أنوار « شمس البر » الذى أضحى منهما قاب قوسين أو أدنى ، فلا شيء يعادل غلظ القلب فى جحوده مثل العين فى جمودها .

مقابل هذا الشخص المعتد ببره الذاتى ، أبرز معلمنا لوقا الإنجيلى فى صورة بشارته الخالدة شخصاً آخر يقف من هذا الشخص الأول موقف النقيض من النقيض .

فإذا كان الأول رجلاً ، فالثانى امرأة . وإذا كان للأول اسم هو علم من الأعلام ، فإن الثانى بغير اسم ـــ وكل ما قاله فيها الوحى إنها « امرأة خاطئة » . وإذا كان الرجل قد غرق فى لجج البر الذاتى الثلجى ، فإن المرأة قد غرقت فى حمأة الرذيلة .. وإذا كان الرجل قد نظر إلى المسيح بعينين جامدتين جاحدتين ، فقد تعذر على المرأة أن ترفع نظرها إلى المسيح ، لأن عينيها كانتا غارقتين فى لجج من دموع الاعتراف والندامة والشكر . وإذا كان الرجل قد قدم للمسيح شيئاً من الطعام ، فإن المرأة سكبت عند موطىء قدميه الطاهرتين طيباً خالصاً كثير الثمن .

ومع أن شخصية هذه « المرأة الخاطئة » غير معروفة بالضبط ، وقد قامت حول التحقيق من اسمها الحقيقى مناقشات ومجادلات ، إلا أنه يحلو لنا أن ننظر إليها فى موقفين .

الموقف الأول ـــ المرأة الخاطئة فى توبتها وندمها :

يضيف معلمنا لوقا الإنجيلى فى هذه الصورة الرائعة ندم تلك المرأة الخاطئة وصفاً دقيقاً ، لا يقوى عليه إلا شاهد عيان « إذ علمت أن المسيح متكىء فى بيت الفريسى ، جاءت بقارورة طيب ، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية ، وابتدأت تبل قدميه بالدموع ، وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب » (لو٧:٣٧،٣٨) .

فى إباحيتها ، كانت مواضع القوة فيها مواطن الضعف ، فاضحت مواهبها العالية علة سقوطها .

لكن فى ندامتها وتوبتها ، قد جعلت من مواضع فخرها وإعجابها إداة لاتضاعها وتوبتها وندامتها . فعيناها اللتان اجتذبت بهما أُناساً ، فأغوت ، وأغرت وأسقطت وقرحتهما دموع التوبة والندامة . وشعرها الذى كان لها فى وقت مجونها تاج مجدها وجلالها ، قد اتخذت منه إداة للاتضاع عند موطىء قدمى المسيح ، فمسحت به قدميه . ومجدها الذى تفاخرت به فى أيام زهوها ، قد وضعته سكيباً عند قدمى الفادى المجيد .

هذا ما حدا بإحدى القديسات التائبات أن تقول فى ذل واتضاع أمام الله : « إن وجهى هذا الذى خدعت به العالم ، فكان يوماً معبودى ، وحاولت أن أخلع عليه زينة الدنيا ، ها هوذا اليوم يغطيه الخزى والخجل أمام مجدك وجلالك » . وفى هذا

الصدد يقول جريجورى بلسان المرأة الخاطئة فى ندامتها وتوبتها : « ليذبل أمام بهاء قدسك جمالى الفانى . ولتصبح عيناى منذ اليوم ينبوعين للدمع المنهمر . وليكن شعر مجدى موطئاً لقدميك الطاهرتين » .

الموقف الثانى ــ المرأة الخاطئة فى تكريسها وتعبدها :

لقد ظهرْ تكريسها فى كسر قارورة الطيب الكثير الثمن وسكبه عند موطىء قدمى المسيح . فسواء أكانت قد اكتنزت هذا الطيب من بلاد العرب أو من عطور صور وصيدا أو خلاصة زهور لبنان ، فإنها قد جاءت بأفخر ما اكتنزت ، وعطرت به قدمى المسيح .

فالتكريس يقوم بتقديم أعز ما عندنا ، ووضعه عند قدمى المسيح ، فيتقدس بلمسته . ومالم يشمل التكريس حياتنا بجزئياتها وكلياتها فلا يمكن أن يكون تكريساً بالكلية !! وإذا ما قال يهوذا وكل من على شاكلته « لماذا هذا الإتلاف » ؟؟ وجب أن نقول له : إن كل خسارة فى سبيل المسيح هى خير ربح . وإن كل إتلاف لأجل اسمه هو خير كسب .

فإذا ما قيل للفلاح الذى يبذر بذاره فى الأرض ويطمرها ، وهو يقتطعها من قوت أولاده : « لماذا هذا الإتلاف » ؟؟ جاز له أن يقول إن كل إتلاف فى فن الزراعة هو خير ربح ، لأن الحبة إن لم تدفن فى الأرض وتمت لا يمكن أن تأتى بثمر كثير . لكنها إذا ماتت أتت بثمار كثير ــ ثلاثين وستين ومائة .

وكذلك كل شىء نقدمه للمسيح ونكرسه له ، يُعيده إلينا مباركاً أضعافاً مضاعفة . فالصبى الصغير الذى قدم للمسيح أرغفة الشعير ، قد فرح إذ رأى أن قوته الحقير قد أشبع أكبر الجماهير ، وفى نهاية اليوم حمل معه إلى البيت أضعاف ما أعطى المسيح . فكان هذا التكريس سبباً فى بركة الآخرين وبركته هو على السواء .

هذه هى معجزة النعمة ، وعصر معجزات النعمة لم ينقص بعد .

فيا إله المرأة الخاطئة ويارب السامرية . قدس نفسى لذاتك ولخدمتك واقبل منى تكريس حياتى لمجدك الأعلى .

ولك المجد دائماً ــ آمين .

عظة إنجيل قداس اليوم التاسع والعشرين من برمهات

عيد البشارة

فأجاب الملاك وقال لها . الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٥) .

إن البشرية بتجسد الإله الكلمة من أحشاء العذراء النقية لخلاص البشرية ، هى أفضل المبشائر السارة على الإطلاق ، إذ لم يسبق لها نظير ولن يكون لها مثيل . والكنيسة التى قبلت تلك النعمة المبشر بها رتبت ان تحتفل بذلك فى مثل هذا اليوم من كل عام للأسباب الآتية :

أولا : تنفيذاً لصوت الوحى بلسان إشعياء النبى القائل : « على جبل عال اصعدى يا مبشرة صهيون . ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم . ارفعى لا تخافى . قولى لمدن يهوذا هوذا إلهك ، هوذا السيد الرب بقوة يأتى وذراعه تحكم له » (اش ٤٠ : ٩ — ١٠) . والقائل أيضاً : « استيقظى استيقظى إلبسى عزك يا صهيون إلبسى ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة لأنه لا يعود يدخلك فى ما بعد أغلف ولا نجس » (اش ٥٢ : ١) . والقائل أيضاً : « قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب قد أشرق عليك » (اش ٦٠ : ١) .

ثانياً — لأن هذه البشارة كانت فاتحة الخلاص لأن عقب البشارة الولادة وعقب الولادة الكرازة وعقب الكرازة الفداء وبالفداء خلاص الجنس البشرى .

ثالثاً — تمثلا بالعذراء والدة الإله التى قالت بعد قبول البشرى « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى » (لو ١ : ٤٦ ، ٤٧) .

انتظر العالم إتمام نبوات مجىء السيد المسيح له المجد (من آدم حتى المسيح) بحالة استغاثة قصوى للانقاذ والاسعاد لا تقبل مزيداً . حتى وافى الزمان فانحدر البشير الملائكى يزف البشرى الى العالم أجمع فى شخص سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الاله القديسة الطاهرة مريم . والذى يلفت الأنظار فى ظرف البشارة أن السيدة العذراء لم يهلها منظر الملاك النورانى ولم تخفه كزكريا وغيره ممن ظهرت لهم الملائكة إذ من المؤكد الظاهر من تحيته العظمى لأقنومها السعيد أنه ظهر أمامها بكل مهابة واحترام كالقائد العظيم يحيى مليكته الجليلة . نعم نعم لا شك فى ذلك ألم تكن والدة إلهه وخالقه ؟ ألم يقل لها (القدوس المولود

منك يدعى ابن الله) فكيف لا يكرم ويعظم أم خالقه العظيم !!

إذاً مِمَّ قد اضطربت إن كانت لم تخف من أقنومه ؟ لقد اضطربت من كلامه فقط وهنا لغز مستتر يجب فك طلسمه . هو قد بشرها انها تلد الابن الإلهى وهى قد كانت فى الوقت نفسه مخطوبة ليوسف فلماذا تضطرب من كلام يبشرها بالحبل العظيم هذا فتقول له كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ حقاً ان هذا إلا لغز عظيم . لماذا لم تقل له كما كان المنتظر منها . إن شاء الله اتوق الى نوال هذا الشرف الرفيع ولكن فقط بعد زواجى بيوسف وها نحن أولاً قد مهدنا له بالخطوبة الرسمية ؟ نعم كنا ننتظر من المطوبة جواباً مثل هذا للملاك إن كان فى نيتها ونية يوسف زواج فعلى . ولكن ليس الحال كذلك فقد عقدا النية على زواج استعارى لا فعلى ولذا قد اندهشت من البشرى لظنها ان الذى تلده يكون من زرع بشر . ففهم الملاك الطوبانى قصدها وجاء إليها بما أثلج صدرها إذ قال لها : « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك (بدل الزواج البشري) لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) . فاستسلمت المطوبة للنعمة الإلهية بدورها قائلة بكل تسليم ورضى وإيمان وفرح مع تواضع جزيل قائلة : ما دام الحبل بقوة الله الغير المحدود وليس من زواج بشرى فأنا أمة الرب فليكن لى كقولك . ففاق إيمانها هذا بلا حصر ايمان زكريا الذى شك فى وعد الله وطلب علامة لاتمامه ولذا مدحت اليصابات إيمان مريم واذ قد فك اللغز وظهرت لنا سبب اضطراب مريم من كلام الملاك بطريقة تريح العقيدة والضمير معاً لنتقدم الى موضوعنا

البحث الأول

أسباب حلول الروح القدس على السيدة العذراء ونتائجه

سبق عرفنا خوف السيدة من كلام الملاك وأسبابه وأنه أجابها بما طمأنها من جهة نظرها وإتمام بشارته فى صفقة واحدة باسناده الأمر الى قوة الروح القدس وهنا نريد فحص أهم الأسباب بالتتابع فنقول :

١ ـــ السبب الأول ليطهرها الروح القدس بحلوله عليها من فساد خطية آدم . وخطاياها العقلية .

ولابد للباحث فى هذا المجال أن يعرج على بعض المعتقدات المسيحية ليمحصها تمحيصاً ويقابلها بالعقيدة الأرثوذكسية المؤيدة بالكتاب المقدس ليظهر جمالها وتتجلى روعتها مع عظيم بساطتها .

يعتقد بعض المسيحيين أن السيدة العذراء قد حبلت بها أمها حنة من أبيها يواقيم بلا دنس الخطية مطلقاً وبعبارة أوضح يخلون مريم من وقت الحبل بها حتى نياحتها من كل خطية أصلية أو فعلية . ويعتقد غيرهم أن مريم كانت خاطئة على الدوام فى جوهرها وأفعالها ككل انسان متسلسل من الأبوين الأولين آدم وحواء . ويعتقد الارثوذكسيون غير ذلك . ومأموريتى الآن تفنيد هاتين العقيدتين وتأييد العقيدة الارثوذكسية تقريراً للحق والواقع بدون تحيز أو تعصب .

أولاً ـــ تفنيد العقيدة الأولى :

من المسلم به إننا نرث فساد الخطية الآدمية من آبائنا لا من أمهاتنا وذلك لأن الوصية أعطيت لآدم قبل أن تخلق حواء ـــ فآدم اذاً هو المسئول مباشرة أمام الله عن كسرها . قال بولس الرسول : « بإنسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ اخطأ الجميع » (رو ٥ : ١٢) . وبالبديهى أن الأب دوماً يمثل آدم فى توريثه فساد الخطية لنسله وتمثل الأم حواء فلا تورث . ومعلوم أن للسيدة العذراء والداً هو يواقيم أورثها فساد الخطية الآدمية ثم قد بنى كيانها من اقنوم حنة الخاطىء وعليه تكون مريم قد ولدت من والدين خاطئين قد ورثت من الأول فساد الخطية ومن الثانى فساده . فكيف يمكن أن يقال والحالة هذه أن السيدة العذراء نفسها قد حبل بها بلا دنس ؟! ان هذا لتعد فظيع على نواميس الطبع والتوريث لم يقل به أحد غير هؤلاء المتفلسفين .

ويؤكد صدق قولى هنا شهادة السيدة العذراء نفسها عن نفسها بلسان الوحى اذ قالت فى (لو ١ : ٤٦ ـــ ٤٧) « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى » . اذاً هى تعترف أنها تحتاج الى خلاص ابنها وإلهها أسوة ببقية الناس ولا يحتاج الى الخلاص غيرالخاطىء ثم لا خطية فعلية تتأتى ما لم يكن هناك خطية أصلية فى جوهر الخاطىء فكيف يقولون عنها بعد شهادتها أنها قد حبل بها بلا دنس ؟ فان صدق قولهم تكون مريم قد شذت عن القاعدة الآدمية العامة التى لم يشذ عنها إلا واحد فقط وهو الإله المتأنس وحده . لأنه مكتوب الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله فلو وجد من يشذ عن ذلك لما كان داع لنزول الرب للخلاص بصفته الالهية والانسانية المنزه عن كل خطية . واكمالاً لهذا البحث علينا ان نتصور معترضاً يقول وهل وجد بين الناس من حبل به وولد ومات بلا دنس الخطية ؟ أقول لم يوجد ولن يوجد من ينطبق عليه ذلك الا واحد لا ثانى له وهو رب المجد يسوع المسيح الإله المتأنس . لأنه وحده ولد من امرأة غير متزوجة وحكمة ذلك

ظاهرة وهى لكيلا يرث من أب أرضى فساد الطبيعة الآدمية اذ الأم لا تورثها كما سبق القول ولذا قد دبر الله منذ الأزل واعلن فى كتابه المقدس « ان نسل المرأة (لا الرجل) يسحق رأس الحية (أى إبليس) ونسل المرأة هو المسيح وحده إذ لم يقل أنسال المرأة كأنه يتكلم عن كثيرين (تك ٣ : ١٥) وقيل لداود من ثمرة بطنك (لا صلبك) أقيم على كرسيك من يجلس الى الأبد (مز ١٣٢ : ١١) ومعلوم ان الأولاد كثمرة البطن ينسبون الى الامهات وكثمرة صُلب ينسبون الى الآباء فهذه الآية تشير الى ولادة السيد المسيح ملك اليهود من مريم ابنة داود وهى بكر طاهرة وزاد اشعياء هاتين النبوتين إيضاحاً بقوله « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً » (اش ٧ : ١٤) وكل هذا كان بترتيب إلهى لكى لا يرث السيد المسيح فى ناسوته فساد الخطية الآدمية من أب بشرى مع انه شاركنا فى كل ضيقاتنا ما عدا الخطية .

قال بولس الرسول : «فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد » (رو ٨ : ٣) ولا يقصد بشبه الجسد أن الرب اتخذ جسداً خيالياً حاشا بل قصد خلو جسده من الخطية خلواً تاماً .

ثانياً ــ تفنيد الاعتقاد الثانى :

القائل ان والدة الإله كانت خاطئة من الحبل بها حتى نياحتها كبقية الناس .

وليسمح لى القارىء قبل التفنيد أن أسمى أهل هذا المعتقد بأهل التفريط كما سميت سابقيهم بأهل الإفراط ــ نستخلص من بحث التفنيد الماضى شيئين :

الأول : حكمة أن يولد الرب من بكر بدون زواج حتى لا يرث فساد الخطية .

ثانياً : ان مريم نفسها كانت خاطئة قبل أن يحل الروح القدس عليها ويطهرها .

لكن ان سلمنا مع هؤلاء القوم أن كيان مريم كان خاطئاً فاسداً حال الحبل الإلهى المقدس بها أفلا يأخذ السيد المسيح من هذا الكيان الفاسد (كزعمهم) كياناً فاسداً فيكون ولو نصف خاطىء واذ ذاك فلا يصلح ان يكون مخلصاً للخاطئين ؟! فماذا عملتم باعتقادكم الخاطىء هذا يا أهل التفريط ؟ ولست أدرى ما سبب عداوتكم لمريم وأنتم تدعون انكم عباد ابنها ونسيتم أن مقام مريم قد ارتفع رفعة مقام ابنها . هل نسيتم أنه هو نفسه له المجد قد أكرمها وخضع لها حال كونه ربها ؟ (لو ٢ : ٥١) .

ثالثاً ــ تأييد العقيدة الأرثوذكسية :

١ ــ يعتقد الارثوذكسيون أن مريم قد ولدت خاطئة كبقية الناس وارثة فساد الخط[illegible] الآدمية من يواقيم وكيان الخطية من حنة ومع كونها كانت أقرب الناس الى الطب[illegible] الكامل والسيرة الفاضلة فى حياتها قبل البشرى مع ذلك لم تخل من الخطية ولكنها [illegible]ختيرت

ان تكون أماً لخالقها وإلهها حل عليها الروح القدس فطهرها من كل فساد الخطية الآدمية وايضاً الخطية الفعلية حتى صارت أقدس من ملائكة النور ومن آدم يوم خلقته ولذا صارت مريم طاهرة كال الطهر بعد ان لم تكن كذلك فأخذ السيد المسيح منها ناسوتاً كامل الطهر بلا دنس ولا فساد الخطية الأصلية أو الفعلية اذاً المقطوع من الطاهر طاهر ولا محالة فتأمل عظمة وجمال وروعة العقيدة الارثوذكسية مع جميل بساطتها وسهولة تعبيرها وقابلها مع غيرها من العقائد المسيحية فى هذا الصدد تجدها فى غاية الصحة والانطباق على آيات الكتاب المقدس مريحة للضمير فنشكر الله الذى أبقاها سليمة كما هى بلا زيادة ولا نقصان .

٢ ــ السبب الثانى . ليكون منها وفيها ناسوتاً للمخلص . وفى هذه الحالة يقوم الروح القدس مقام الزوج المفقود فى هذا الحبل المقدس كما يقول قانون الإيمان ــ هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس ــ فكانت مريم المعدن الطاهر الذى كون منه اقنوم الروح القدس للابن الإلهى ناسوتاً ــ وقد مهد الله لهذه الحقيقة فى العهد القديم فوق النبوة بعمل نبوى آخر اليها . فقد رأى نبوخذ نصر فى الحلم جبلا (اشارة الى مريم جبل الطهر بعمل الروح القدس الأول) قطع منه حجر بغير يدين (اشارة الى ولادة الرب المتأنس منها بدون زرع بشر بل بقوة الروح القدس) فضرب وصار (هذا الحجر) جبلا عظيماً ملأ الأرض كلها (والضرب إشارة إلى صلبه) الذى قصد به اليهود استئصال ذكره من الأرض فجاءت النتيجة عكس ما اعتقدوا واذا بموته امتد دينه وصار دين العالم كله كقول هذه النبوة (دا ص ٢)

٣ ــ السبب الثالث لحلول الروح القدس عليها :

هو وقايتها وحفظها من أن تحرق وتتلاشى بلهب نيران المحيط اللاهوتى الذى يحل فى أحشائها أعنى به لاهوت الابن الالهى الغير محدود ــ معلوم ان الله مجرداً من الناسوت هو نار آكلة ــ ومؤكد ان الانسان بازاء هذه النار قش يابس ضعيف وفان ــ والابن هو الله ومريم انسان ــ فكيف يمكنها البقاء حال حلول الابن فيها ما لم تصنها وتحفظها قوة الروح القدس ؟!

تاق موسى ان يرى الله وألح فى ذلك فاسمع ما قاله الله له : « لا يقدر الانسان ان يرانى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠) . فان كان الناس أجمعون لا يمكنهم الحياة ان سمعوا الله يتكلم مجرد كلام أو رأوه مجرد رؤيا فما بالك فى مريم وهى انسان فقط

كيف يمكنها أن تحيا ولجج اللاهوت حالة بكمالها فى أحشائها ؟ أمر محير ومنظر مدهش جداً ولكن مهلا أيها الحبيب فقد تؤمن ان الله قادر على كل شى . وهذا حسن وحق لا ريب فيه . فهذه القدرة غير المحدودة صانت مريم من التلاشى حال حلول اللاهوت فى أحشائها . وقد مهد الله لعلمه بضعف عقولنا لهذه الحقيقة قبل حدوثها بدليل مادى فى التاريخ المقدس . فقد رأى موسى ناراً قوية جداً تشتعل فى شجرة فى الجبل وهى لا تحترق فتحير موسى كعلاّمة تهذب بكل حكمة المصريين فى أمرها (خر ٣ : ٢ — ٥) .

كانت الشجرة والحال فيها رمزاً الى مريم واللاهوت حال فى أحشائها وهى مصونة محفوظة بقوة الله لم تحترق ولم تتلاش . « فيالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . لأن منه وبه وله كل الأشياء » (رو ١١ : ٣٣ ، ٣٦) . وله المجد دائماً أبدياً آمين .

سر الافخارستيا

هذا هو جسدى . هذا هو دمى الذى للعهد الجديد (مت ٢٦ : ٢٦ ، ٢٨) .

يتكون الانسان من جسد وروح .

فالأول ترابى لأنه من الأرض أخذ ومما تنبته يتغذى ويحيا . فكل هذه الأطعمة والأشربة والملابس والمساكن التى يستعملها الانسان لإنماء جسده وتقويته مصدرها الأرض ولا ينفع جسد الانسان غيرها .

والثانية سماوية إلهية لأنها من الله أعطيت وطعامها وغذاؤها من الله من السماء من المصدر الذى أخذت أو أعطيت منه لا يفيدها غذاء غيره . وليس لموضوع عظتنا علاقة بأطعمة الجسد وغذائه بل هو روحى ولا سيما هذا الفصل الذى خصصناه للتكلم عن وجوب تناول المسيحيين من جسد الرب ودمه الأقدسين لذلك نريد أن نفصل ما يجب على المؤمنين ونبين فائدة التناول من مائدة الرب المقدسة فنقول : ان الرب يسوع لما وعد تلاميذه بإعطائهم جسده ودمه قال عن نفسه : أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الانسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد . الخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٤٨ — ٥١) .

فهنا أوضح السيد له المجد أنه القوت الموافق لطبيعة الروح وقال عن جسده أنه حياة النفوس والأرواح . من يأكلنى يحيا . هذا وفى ليلة آلامه مثل هذا اليوم : « أخذ خبزاً وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وقال عن الخبز . خذوا وكلوا . هذا هو جسدى . وعن الكأس . اشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٦ — ٢٨) . ثم أعطى رسله سلطانا لأن يصنعوه لذكره كما صنع (لو ٢٢ : ١٩) .

وهكذا اقتضى جوده الإلهى وسخاؤه العميم وحبه العظيم ورحمته بنا نحن الخطاة أن يعطينا ذاته قوتاً وغذاءا خلاصيا تحت شكل الخبز والخمر . وذلك لكى يجرئنا ويشجعنا على التناول منهما لأنه لو لم يحتجب تحت هذه الأعراض لما استطاع المؤمنين أن يتناولوا جسده

ودمه الأقدسين باعراضهما الظاهرة فكان عمله هذا وقوله فى يوحنا ٦ مبرهنا على ان جسده ودمه هو طعام النفوس وغذاء الأرواح ولذلك أصبح من الواجب على كل مؤمن يريد حياة نفسه وتقوية روحه أن يتناول من جسد الرب ودمه ولا يهمل أمر يتوقف عليه اتحاده مع الله وثباته فيه ونموه فى الحياة الروحية وإلا فان من يهمل هذا الواجب لا تكون نفسه حية : « قال لهم يسوع : « الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو ٦ : ٥٣) . ومن لا تكون له حياة فى نفسه ليس مسيحياً لأن المسيحى يجب أن يكون حيا . قد صار الرسل على الطريقة التى رسمها الرب يسوع نفسه (أع ٢ : ٤٢ ، ٤٣) وسلموا السر الذى استلموه من الرب نفسه كما سلموه لخلفائهم من بعدهم (١كو ١٠ : ١٧ ، ١١ : ٢٣ — ٢٦) .

وهكذا صار التناول من جسد الرب ودمه فرضاً واجباً على كل المسيحيين . كذلك الكنيسة أمرت بنيها أن يتقدموا كثيرا الى مناولة جسد الرب ودمه الأقدسين . وقد فرضت عليهم أن يفعلوا ذلك فى الأصوام المفروضة . بعد أن ينقوا ضمائرهم بالتوبة والندامة الحقة . وغرضها من ذلك اتحادنا بالمسيح الذى قال : « من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) .

ثم أننا اذا تأملنا تاريخ الكنيسة نجد أن المؤمنين فى القرون الأولى كانوا يتناولون الأسرار المقدسة فى كل قداس كهنة وعلمانيين ونساء وأولاد وأثبت ذلك القديس اكليمنضس وقد جاء فى أوامر الرسل وقوانين المجامع ما يؤيد ذلك حيث قيل . وليتقرب الأسقف أولا وبعده القسوس والشمامسة وبعدهم سائر الشعب وبعد الذكور تتناول النساء وليرتل الى أن يتناول القربان كافة المؤمنين ولأجل هذا كانوا يقدمون قرابين كافية لمناولة الأكليروس .

ان المسيح أعطانا هذا السر لكى نتناول منه حياة لأنفسنا فواجب أن نتناوله لكى نحيا به . اننا اعضاء فى جسد المسيح السرى وواجب أن نكون والمسيح جسداً واحداً ولا وسيلة لاتحادنا به ولجعلنا واحداً معه . إلا بمناولتنا جسده الأقدس ودمه الكريم . اننا أغصان فى الكرمة يسوع ولا يمكن الغصن أن يثبت وينمو ويزهر ويثمر إلا اذا كان متحداً بالكرمة ومتأصلا فيها كذلك نحن لا يمكننا أن ننمو فى الحياة الروحية ونثمر فى العمل الصالح إلا بتناولنا من ذاك الغذاء الخلاصى الذى يثبتنا فيها ويوحدنا معه كما قال له المجد (يو ٦ : ٥٦) .

اننا كغرباء ومسافرين فى برية هذا العالم الى الوطن السماوى نحتاج الى قوة تعين ضعفاتنا وتساعدنا على السير فى طريق السماء بدون كلل أو اعياء ولا واسطة لذلك إلا بمناولتنا من

هذا الخبز الحى النازل من السماء إذ يقوى فينا روح الرجاء ويشجعنا على مواصلة السير مع الله كل أيام غربتنا كما كان المن قديماً لشعب الله .

اننا ضعفاء ومن أنفسنا لا نقدر أن نعمل شيئاً ولكننا نستطيع كل شيء بالمسيح الذى يقوينا . ولا يمكن أن نحصل على هذه القوة إلا باتحادنا بجسد الرب ودمه الكريم . اننا لابسون جسد الخطية ونعيش فى عالم موضوع فى الشرير وكل أعماله شر والخطية محيطة بنا ولا يمكننا أن ننجو من شرورها ولا أن نحفظ أنفسنا من دنس العالم إلا باقترابنا من الرب واشتراكنا فى عشائه السرى فإنه يميت فينا الحاسات الشريرة ويصلب إنسان الخطية الساكن فينا ويحيى فينا الانسان الجديد فنحيا حياة الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنا وبذل نفسه لأجلنا وأعطانا جسده لنحيا به وهو يحيا فينا . اننا خطاة ولا يمكنا أن ننال مغفرة خطايانا ونحصل على صفح الله عن آثامنا إلا بتناولنا من هذه الوليمة التى أعدها لنا لمغفرة الخطايا وهى تذكار موته الكفارى . لقد أوضحنا فى وجوب الاشتراك فى سر الافخارستيا . على أن ذلك التقدم (التناول) لا يجب أن يكون اقتحاماً بل يجب أن يستعد له المسيحى استعداداً لأنه مزمع أن يقترب من الرب نفسه ويتناول من مائدته الرهيبة التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها وذلك كما سترى .

أولاً ــ من العهد القديم :

قد أمر الله موسى قديما بأن يستعد الشعب ويغسلوا ثيابهم ويتطهروا لليوم الثالث لاعطائهم الشريعة (خر ١٩ : ١٠ ، ١٤ ، ١٥) وأمر بالاستعداد عند تقديم الذبائح التى كانت رمزاً لذبيحة الصليب (خر ٢٩ : ٣ ، ١٨ ، ١٩) واذا كان الاستعداد واجباً على المتقدمين للشريعة والذبائح الرمزية . أفليس هو بالأولى واجباً على راغبى الاشتراك قبل الاقتراب من الذبيحة الحقيقية الغير دموية . جسد الرب ودمه الأقدسين . بل يجب أن نمتحن أنفسنا ونفحص ضمائرنا .

ثانياً ــ من العهد الجديد :

قال القديس بولس : « ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب ودمه » (١ كو ١١ : ٢٨ ، ٢٩) . واذا كان الله قضى على كل نفس تتقدم الى الذبيحة قديماً وهى نجسة بقوله : « تقطع تلك النفس من شبعها » (لا ٧ : ٢٠) . فأى عقاب يستحقه الذين يقدمون لمناولة جسد الرب ودمه . بقلوب شريرة وضمائر نجسة انهم بلا شك يأكلون ويشربون دينونة لأنفسهم لأنهم لم يميزوا جسد الرب ودمه . وهذه

الحقيقة ثابتة قد أوضحها الرسول فى كلامه على الذين أقدموا على مناولة عشاء الرب بدون استحقاق بقوله : « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى كثيرون يرقدون » (١ كو ١١ : ٣٠) .

ثالثاً ــ أن عظمة السر وجلال واضعه الرهيب :

يقتضيان هذا الاستعداد ويستلزمان تهيئة النفس واعدادها له وفحصها فحصاً دقيقاً قبل الاقتراب منه . وإلا أى إنسان يستطيع الاقتراب من مائدة الملك بأثواب رثة وأيدٍ قذرة ؟ وهل يجرؤ إنسان مهما كان عظيما على المثول بين يدى الملك فضلا عن الجلوس على مائدته الملوكية اذا كان خائناً ؟ إذاً كيف يجسر المؤمن على الاقتراب من الملك العظيم « الذى هو نار آكلة » (عب ١٢ : ٢٩) . « ومن منا يسكن فى وقائد أبدية » (اش ٣٣ : ١٤) . بل كيف يجسر على الاشتراك فى مائدة الرب الرهيبة وهو مدنس النفس والجسد ؟ إن من يتقدم أن يأكل جسد الرب ودمه وهو عارف بنفسه أنه على خطأ مميت أو دون مهابة واحترام كما اذا تقدم وهو سكران أو ظالم مثل الكورنثوسيين فانه يذنب الى جسد الرب ودمه ذنب من قتل المسيح وأراق دمه كما قال ثاوفيلاكصوص ، وحكمه فى ذلك حكم يهوذا واليهود من حيث الخيانة والاهانة كما قال تاوديريطوس .

قال القديس باسيليوس : كما أن من يجلس على مائدة الملك وهو مضمِر العداوة والبغض له يسخطه ويغضبه كذلك من يتقدم الى مائدة المسيح وهو من أعدائه فانه يهين المسيح لا بل إهانة مثل هذه أكبر وأفظع بكثير لأنه يأكل جسد المسيح نفسه . أن السيد المسيح فى مثل عرس ابن الملك قال : « فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابسا لباس العرس . فقال له : يا صاحب كيف دخلت الى هنا وليس عليك لباس العرس . فسكت . حينئذ قال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه فى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان » (مت ٢٢ : ١١ ــ ١٣) .

هكذا يعامل الله أولئك الذين يقدمون على مناولة عشائه السرى وهم ملوثون بالخطايا . أو هم على حال منافية لقداسة الله « القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٤) .

رابعاً ــ ان مفاعيل السر الخلاصية تحتم علينا هذا الاستعداد :

قال الله لموسى : « كل من مس لحم الذبيحة يتقدس » (لا ٦ : ٢٧) كذلك الذين يتناولون جسد الرب ودمه باستحقاق يتطهرون ويتقدسون بل يحيون حياة أبدية .

والاستعداد لاقتبالنا هذا السر المقدس يجعلنا نربح هذه البركات ونجنى هذه الأثمار الخلاصية وعدمه يسبب لنا خطراً عظيماً ويجلب علينا ضرراً كبيراً اذ نجرم فى جسد الرب ودمه . قال أحد الآباء : فكما أن طعام الجسد يقويه وينميه فى حالة الصحة ويضر به فى حالة المرض . هكذا السماوى الذى هو جسد ودم مخلصنا يسوع المسيح يعطى قوة وحياة أبدية للذين يتناولونه باستحقاق ويكون ناراً ملتهبة للذين يتناولونه بغير استحقاق . أى الذين لم ينقوا ضمائرهم بالاعتراف ولم يستعدوا الاستعداد اللازم قبل أن يتقدموا اليه .

وقال يوحنا ذهبى الفم : أريد أيها الاخوة أن أذكركم بما قلته لكم مراراً كثيرة عن الوقت الذى نتناول فيه من أسرار المسيح المقدسة فانى حين أراكم فى انحلال (تهاون) وعدم مخافة تستوجب النوح أبكى وأقول فى ذاتى ألعل هؤلاء غير عارفين من هو الذى يقفون أمامه ولمَ لا يتأملون فى قوة السر ؟ وهكذا احنق واستاء بغير ارادتى ومن ضيقة النفس أحاول الخروج من وسطكم واذا وبخت أحدكم لا يكترث أبداً لكلامى بل يتقمقم علىَّ كأنى ظلمته يا له من عجب ان ظالميكم والآخذين ما لكم لا تغضبون عليهم بمقدار غضبكم علىَّ أنا الذى أريد خلاصكم أنا خائف عليكم ومرتعد جداً لعلمى بالمجازاة التى تصير لكم من الله عوض تهاونكم بهذا السر العظيم . يا ترى هل تعلمون ما هو الذى تريدون أن تتناولوا منه ؟ هو الجسد المقدس الذى لله الكلمة ودمه الذى بذله عن خلاصنا هذا الذى اذا تناول منه أحد بغير استحقاق يكون له عقوبة ومحقا كما كان يهوذا الذى أسلم الرب بعد أن تناول منه بغير استحقاق (عظة ١١ على ثلاث البصخة) . وقال أيضاً : كما سلم يهوذا المسيح وأهانه هكذا يهينه المتناولون جسده بغير استحقاق .

والقديس كبريانوس : أخبر أن بعضا من الذين أكلوا ذبائح الأوثان ثم تقدموا الى الأفخارستيا اغتالتهم يد النعمة الإلهية فمنهم من بلى بالخرس ومنهم من أكل لسانه الى غير ذلك من البلايا والمصائب .

والقديس يوحنا ذهبى الفم : وكثيرون كانوا يعذبون من الشياطين لأجل ذلك فعلى المسيحى اذاً أن يهيىء نفسه ويصلح قلبه : « لأن الرب مزمع أن يصنع الفصح مع تلاميذه عنده » (مت ٢٦ : ٢٨) . فاستعد للقاء الرب إلهك : ولا تنسى أن الله يديننا لا عن الأمور التى نرتكبها فقط بل عن الفرص التى نهملها . فأهل اليسار يدانون يوم الحساب ليس لأنهم ارتكبوا جرائم بل لأنهم أخفوا وزناتهم وما تاجروا بها ممتنعين عن فعل أفعال الرحمة والشفقة والخدمة والمحبة فامتحن نفسك بهذا الاعتبار أيضاً . « وتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان مرشوشا قلبك من ضمير شرير ومغتسل جسدك بما نقى » (عب ١٠ : ٢٢) . ولربنا المجد والإكرام والسجود من الآن والى الأبد آمين .

جراح المسيح

مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا (اش ٥٣ : ٥) .

تحتفل الكنيسة فى هذا اليوم احتفالا جامعاً لكل علامات الهيبة والوقار ، والخشوع والانكسار ، لأن اليوم الذى سيق فيه يسوع حمل الله الوديع « كشاة الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه » (اش ٥٣ : ٧) .

وقد تسلمت الكنيسة الاحتفال به سنوياً من الرسل أنفسهم الذين أمروا بحفظه وصومه بزهد وتقشف (دمشق ب ١٨ ، ٣١) . احتمل الرب يسوع فوق الصليب كل غضب الله ودينونته للبشر الخطاة . وعلى كتفيه حمل كل آثام الجنس البشرى وشرورهم ونجاساتهم . بل أحنى رأسه تحت لعنة الناموس التى حملها عن آدم ونسله . والناموس يحكم بلعنة كل من يعلق على خشبة . لم يقل أحد ولن يستطيع أحد أن يقول أن فى حياة المسيح ما يستوجب مثل هذه الدينونة الرهيبة ومثل هذا القضاء الصارم . لقد ارتضى أن يحتمل لعنة لا يستحقها فهو قدوس بلا شر ولا دنس وقد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات . فلماذا اذن قد دين المسيح كخاطىء . وصلب كمذنب . وعلق على خشبة اللعنة والعار ؟

قال أحد الأفاضل : لم يصلب السيد لجريمة اتاها . كلا . لقد كان بريئاً . فالقوة الرومانية شهدت على لسان قائد المئة « بالحق كان هذا الانسان ابن الله » (مت ٢٧ : ٥٤) . وبيلاطس شهد قائلا : انى لا أجد علة فى هذا الانسان وزوجة بيلاطس ارسلت له تقول : « إياك وهذا البار لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله » (مت ٢٧ : ١٩) . ويهوذا قال : أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً . ويسوع المسيح نفسه قال مرة : « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . فلماذا صُلب اذن ؟ الجنود الرومان صلبوه إتماماً للواجب المفروض عليهم . بيلاطس صلبه جنباً . اليهود اسلموه حسداً . يهوذا باعه طمعاً . لكن لا الواجب ولا الجبن ولا الحسد ولا الطمع كان السبب الرئيسى لصلبه . لكنه « مجروح لأجل معاصينا . مسحوق لأجل آثامنا » (اش ٥٣ : ٥) .

حقاً ان السيد المسيح قد تحمل آلام جميع الجراح الجسدية . وهذه الآلام التى تحملها

والمسببة عن الجراح بأنواعها المختلفة لم تذكر فقط فى العهد الجديد بل إن العهد القديم كان قد سبق أيضاً فتنبأ عن كل منها .

أول هذه الأنواع من الجراح هى جراح السحق :

ذكر النبى اشعياء فى الثالث والخمسين والعدد الخامس حيث يقول « وهو مجروح لأجل معاصينا » ويقول أيضاً فى العدد العاشر « أما الرب فسر بأن يسحقه » والبشير متى فى العدد السابع والستين من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيله المقدس يدونُ لنا ما يأتى إتماماً لذلك « حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه » والمعنى الأصلى للكلمة (لكم) هو ان يضم الرجل يده كمن يستعد للملاكمة ويستعلمها بكل قواه حتى وبصورة وحشية كما هو معروف عند المصارعين . وقد أشار اشعياء النبى الى هذا المنظر — منظر الوجه المرضوض المخيف — بقوله : « كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم » (اش ٥٢ : ١٤) .

ولم يجرح المسيح لذنب اقترفه أو لعمل قام به ، كلا ، بل هو (مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا) .

والنوع الثانى من الجراح التى احتمل المسيح لأجلنا هى جراح التمزيق :

التى تنبأ عنها المرنم حيث قال فى المزمور ١٢٩ والعدد ١ — ٣ (كثيراً ما ضايقونى منذ شبابى ليقل إسرائيل كثيراً ما ضايقونى منذ شبابى لكن لم يقدروا علىّ . على ظهرى حرث الحراث طولوا اتلامهم) . وقد دوّن البشير متى إتمام هذا الكلام فى العدد السادس والعشرين من الأصحاح السابع والعشرين من بشارته حيث قال : « حينئذ أطلق لهم باراباس . أما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب » لم يكن الجلد فى عهد بيلاطس بالسوط ذى الاطراف المتشعبة لكنه كان من قطعة واحدة ينتهى طرفها بطوق من المعدن أو العاج . فإذا ما قبض عليه ذو العضلات المفتولة وسلطه على ظهر ضحيته العارى أربعين جلدة الا واحدة (أى ٣٩ مرة) حفره بشكل قبيح وحرثه الى اثلام ظاهرة فجرّد اللحم من الاضلاع والفقرات بصورة تقشعر لها الأبدان ، وقد احتمل ذاك الذى كان بدون خطية تلك الآلام المبرحة متمما بذلك ما قيل عن فم النبى القائل : « وهو مجروح لأجل معاصينا »

أما النوع الثالث من تلك الجراح التى احتمل يسوع آلامها لأجلنا هى جراح الخرق :

فقد كانت من النوع العميق التى تحدث عادة نتيجة لاستعمال آلة حادة جارحة . عندما نزلت لعنة الله على الانسان الخاطىء إستعمل الشوك رمزاً لتلك اللعنة ، كما نقرأ فى

سفر التكوين (اصحاح ٣ عدد ١٧ ، ١٨) « ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، شوكا وحسكاً تنبت لك » وتظهر حقيقة هذا الرمز عندما أنشد النبى أشعياء فى الأصحاح الخامس والخمسين والعدد الثالث عشر مشيراً بذلك الى ملك المسيا ـــ الرب يسوع المسيح ـــ عندما يصير عالمنا هذا خاليا من الخطية . « عوضاً عن الشوك ينبت سرو وعوضا عن القريس يطلع آس » . فلذلك لقد كان من اللائق جداً أن يتوّج جبين السيد المسيح برمز الخطية وهو يتألم على الصليب من أجل خطايا البشرية الساقطة .
وقد سجل البشير متى (ص ٢٧ ، ٢٩) إكمال ذلك حين قال ـــ وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه ـــ وفى العدد الثلاثين يقول أيضاً « وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه » . وبذلك ادخلوا رؤوس الأشواك الحادة أعمق فاعمق فى جبينه ، فسالت تلك الدماء الطاهرة من تلك الثقوب المؤلمة ! فهل من عجب اذن ان يصرّح اشعياء النبى قائلا : لا صورة له ولا جمال فننظر اليه ولا منظر فنشتهيه ... نستر عنه وجوهنا كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم .

أما النوع الرابع من الجراح التى ألمت السيد المسيح لأجلنا هى جراح الثقب :

المذكورة فى مزمور ٢٢ : ١٦ « لأنه قد احاطت بى كلاب جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدىّ ورجلىّ » . ونرى ان النبوة عنه قد كملت تماما فى عبارة جلية بانجيل معلمنا متى (مت ٢٧ : ٣٥) و« صلبوه » خلافا للعادة المتبعة فى ذلك العهد ان تربط يدا ورجلا المصلوب الى الخشبة ، نلاحظ انه لشدة غضب الجماهير قد سمرت يدا ورجلا يسوع على الخشبة .

ولا شك بأن مؤلف الترانيم اسحق واتس كان قد شعر بشدة صدمة آلام المسيح عندما كتب ما ترجمته :

من رأسه وكفـــــه — وجنبـــه وقدمـــــه
سالت ينابيـــع الـــولا — والحزن أيضا مع دمـــه
أى دم ذاك جرى — كدمـه الزكـى الشـمين
وأى تاج مثــــل تاج — الشوك أحيــا العــالمين

والنوع الخامس من تلك الجراح التى آلمت السيد المسيح لأجلنا هى جراح الطعن .

المذكورة فى نبوة زكريا الاصحاح الثانى عشر والعدد العاشر حيث نقرأ ـــ فينظرون الى الذى طعنوه ـــ هذا هو الجرح الناتج عن آلة حادة ماضية ، وقد تمت هذه النبوة بحذافيرها كما هو مذكور فى انجيل يوحنا ص ١٩ عدد ٣٣ ـــ ٣٤ « وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم

يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات لكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء » أما فى اللغة اليونانية الأصلية فيصرّح قائلا تدفق دم وماء ولعله يظهر بان هنالك تناقضا بهذا الخصوص لعلم الحياة ، فالدم لا يتدفق من شرايين من فارق الحياة كما هو معروف لدى الجميع ، لأن تدفق الدم يحتاج الى ضرب النبض من القلب ، بينما يؤكد لنا الكتاب المقدس أنه قد مات ويلى بعد ذلك عبارة « خرج دم وماءً إلا أن حقيقة الأمر هى كما يلى : للقلب غلاف مطاط يعرف بالتامور أو غلاف القلب وهو قابل للتوسع كثيراً فاذا ما تمزق القلب لسبب من الأسباب تدفق الدم الى هذا الغلاف ، واذا حدث طعن هذا الغلاف من أسفل تدفق الدم بقوة الجاذبية .

وقد مات يسوع على هذه الكيفية لاجلنا نحن ولأجل خطايانا بقلب كسير مما يشرح لنا ذلك المرنم فى المزمور التاسع والستين ويذكر لنا باسهاب وقائع آلام السيد المسيح ، ففى العدد العشرين يقول ـــ العار قد كسر قلبى فمرضت .

أيها القارىء الكريم ها قد وضعنا أمامك جراح الجسد بأنواعها وكيف تمت باجمعها . فهى جراح السحق ، وجراح التمزيق ، وجراح الخرق ، وجراح الثقب ، وجراح الطعن ، وقد قاسى يسوع آلام كل من هذه الجراح من أجلى ومن أجلك . « مجروح لأجل معاصينا » ولكن من الضرورى ان نقبل دمه المسفوك لأجلنا حتى نطهر من خطايانا إذ أنه برش دمه المحيى على قلوبنا فقط نحصل على جدة الحياة فى المسيح يسوع . عندما نختبر بأن دم المسيح قد غمرّ قلوبنا وان الروح القدس قد أصبح فى داخلنا عندئذ لا تبقى فينا الرغبة للاقتداء حتى وبأفضل الناس ، بل اننا سنسمح للسيد المسيح أن يغيّر شكلنا الى أمثال حياته الطاهرة النقية ، ويفعل بنا ما يشاء .

ما أحوجنا إلى التأمل فى جراح المسيح وصلبه وموته إنه تأمل جدير بالتقدير إذ يوحى الى النفس بأسمى الايحاءات الروحية ، ويوطد الصلة بيننا وبين من أحبنا الى المنتهى محبة أبدية خالدة . (أر ٣١ : ٣) . وتوطيد الصلة بيننا وبين فادينا الحبيب معناه دوام ثباتنا فيه « كأغصان فى الكرمة الحقيقية » (يو ١٥ : ٥) . لضمان الحيوية والازدهار والثمر (يو ١٥ : ١٦) . وفى جراح السيد المسيح له المجد مجال عجيب للتأمل ، يتيه فيه العقل البشرى « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء » (رو ١١ : ٣٣) .

إن كل مواقف الفادى عجيبة ويدعى اسمه عجيباً (اش ٩ : ٦) . « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه »

(اش ٥٣ : ٧) . وفى جراحه وصلبه له المجد مجال أعجب للتأمل ، هكذا شهد اللص اليمين موبخاً زميله المجدف « أما تخاف الله ... أما نحن فبعدل قد جوزينا وأما هو فلم يعمل شيئاً فى غير محله » (لو ٢٣ : ٤٠ ، ٤١) كما شهد هكذا الوالى نفسه « وأى شر فعل » ؟ (لو ٢٣ : ٢٢ ، ٤١) لقد نصت الشريعة على أن « المعلق ملعون من الله » (تث ٢١ : ٢٢ ، ٢٣) وها هوذا مصدر النعم والبركات (تك ٢٢ : ١٨ ؛ أع ٣ : ٢٦) يقبل اللعنة بأن يعلق على خشبة « وإذ وجد فى الهيئة كأنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فى ٢ : ٨) .

لقد شرب كأس الآلام حتى الثمالة (أش ٥٠ : ٦) . وختم آلامه بالموت على الصليب وقال « قد أكمل » ذلك لأنه الطبيب السمائى لعلاج البشرية وقد عرف أن دواءنا فى آلامه (يو ١٨ : ١١) . « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله . ومذلولا وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا » (اش ٥٣ : ٤ — ٥) . فجراحه وصلبه كان ضروريا لوضع الحد النهائى لأسقامنا ولتحريرنا من أوجاعنا « والرب سر أن يسحقه بالحزن » (اش ٥٣ : ١٠) هو الصخر الكامل صنيعه (تث ٣٢ : ٤) ، « هو الحجر الذى رفضه البناؤون ... من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا » (مز ١١٨ : ٢٢ ، ٢٣) .

أما موت المسيح فهو روح الفداء : « إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح » (اش ٥٣ : ١٠) . نعم إنه فى ذاته غير مستوجب الموت . « لأن النفس التى تخطىء هى تموت » (حز ١٨ : ٤) « وأجرة الخطية هى موت » (رو ٦ : ٢٣) « أما قدوس القدوسين » (دا ٩ : ٢٤) « فانه لم يخطىء إنه ضرب من أجل ذنب شعبى وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته : على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فيه غش » (اش ٥٣ : ٨ ، ٩) .

بهذه الروح الإيمانية يجب أن نتأمل جراح المسيح وصلبه وموته وقيامته « وحينئذ تتجدد نفوسنا » (أف ٤ : ٢٣) فننفض عنا غبار الاهمال والتوانى والكسل . وننشط لعمل الخير لمجد اسم إلهنا الفادى الحبيب ، هاتفين مع لسان العطر البلبل الصياح الكنسى بولس الرسول : « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » (غل ٢ : ٢٠) .

ولإلهنا العز والسجود والشكر فى كنيسته الى آباد الدهور كلها آمين .

قيامة يسوع المسيح

ليس هو ههنا لأنه قام (مت ٢٨ : ٦) .

اليوم يهنيء المسيحى أخاه المسيحى قائلاً : المسيح قام لأنه يجد فى هاتين الكلمتين خلاصات الأمانى والآمال البشرية مركزة ، ويجد فيها مفتاح كل موسيقى وتطلع كل نشيد سماوى . ان قصة قيامة السيد المسيح مع قصتى ميلاده وصلبه لهى الأعمدة الثلاثة التى ترتكز عليها المسيحية حيث ان الواحدة منها لا تفى بالغرض دون الاثنين الآخريين . واذ نحتفل بعيد القيامة المجيد فإنما نعلن مجد المسيحية وفوائدها تتمثل فى خدمة السيد المسيح له المجد من بدايتها الى نهايتها .

ان الملاك الذى بشر النسوة بقيامة المسيح قائلا : ليس هو ههنا لأنه قام كما قال كانت رسالة لعالم مضروب بالخطية والأحزان والهموم والشقاء ، فقبل قيامة المسيح لم يكن سلام حقيقى على الأرض ولا فرح حقيقى ولكن بقيامته حصل العالم على السلام الكامل إذ قال : سلام لكم .

لم يدرك اليهود السر الخفى وراء هذا الجسد النحيل ، ولم يحسبوا حساب تلك القوة الخارقة ، التى بهرت عيونهم وحيرت أفكارهم بضعة سنين ، وظنوا أنهم تخلصوا من خصم عنيد ومنافس خطير ، عندما وسدوه القبر الجديد ، ووضعوا عليه حراسة مشددة من الجند مدججين بالسلاح . بعد ان ختموه بخاتم الوالى الرومانى ، وكأنهم بذلك ضمنوا بقاء الميت ملفوفاً فى الاكفان حيث لن ترى عيناه النور . انهم حسبوا لقيامة المسيح الف حساب ، وسلحوا أنفسهم بكل سلاح ، لعلهم يحولون دونها أو يمنعونها ، ولكن خاب ظنهم ، وانتصر يسوع رغم تدبيرهم ، وها هو القبر الفارغ ، والحجر الكبير المدحرج ، والأختام المهشمة ، أدلة ناطقة بانتصاره على الموت ، وكيف يبقى الحى بين الأموات ؟ فعيد القيامة هو عيد إنتصار الحياة على الموت .. أين شوكتك ايها الموت ؟ أين غلبتك أيها القبر ؟ .. وايتها الهاوية .. لقد ابتلع الموت فى الغلبة (هو ١٣ : ١٤) ، (١كو ١٥ : ٥٥) .

لقد قام المسيح من القبر « ناقضاً آلام الموت ، إذ لم يكن ممكنا ان يمسكه الموت » (أع ٢ : ٢٤) . لقد دخل المسيح الى القبر ، كأنه ميت وهو الحى ، ليحارب الموت فى عرينه ، فيصرعه ، ويبطل قوته ، وينزع شوكته ويبطل سمه .. وكيف يموت من قال عن

نفسه : « أنا هو القيامة والحياة . من آمن بى ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت الى الأبد » (يو ١١ : ٢٥ — ٢٦) . المسيح قام ... فليس له فى القبر جسد أو رفات ، وإنما قبره فارغ وقد تحول الى مذبح تقدم فيه وعليه القرابين ، ومنه يبزغ النور فى كل عام ، فى السبت الذى يعرف بالسبت الكبير ، وسبت النور ، وسبت الفرح ... قبر المسيح قبر ليس فيه عظام ، وليس فيه هوان الفناء للانسانية ، بل أشرق ويشرق فيه نور ، ويتجدد منه الأمل والرجاء والإيمان بقيامة الأموات ، وحياة الدهر الآتى .

سأل زعيم هندى أحد خدام الدين المسيحى ، وقال له : يا للعجب منكم أيها المسيحيون . إننا عندما نزور قبر زعيمنا نعلم أن جسده بقى فى القبر . أما أنتم فياللأسف ، ماذا تجدون ؟ لا تجدون إلا قبراً فارغاً ! فاجابه خادم الدين قائلا : نعم . وهذا هو سر انتصارنا وافتخارنا ، ان مسيحنا حى ! فوهبنا الحياة والمجد . فالقبر الفارغ يحدثنا أن المسيح حى . حى فى شخصه . حى فى رسالته . حى فى اتباعه . ثم يحدثنا القبر الفارغ ، عن سلطان المسيح ، على الموت ، لأنه سحق شوكته لأن المسيح أنار لنا الحياة والخلود .

والذين يترددون على قبر المسيح فى بيت المقدس لا يذهبون للتبرك برفاته ، بل يقفون أمام قبره الممجد فى صمت ووقار وهم يباركون القبر الفارغ الذى لا توجد بداخله سوى ذكريات النصر المثيرة ولو كانوا يريدون رؤية أكفان أو عظام . لانتهرتهم الملائكة وقطعت أصواتها الطريق عليهم كما فعلت بالمريمات حين قالت لهن : لماذا تطلبن الحى بين الأموات ... ؟ ليس هو ههنا ... ؟ لكنه قام ... ! حقاً قام ... ! قال الوحى الإلهى على فم النبى أشعياء عن المسيح : « إياه تترجى الأمم ويكون قبره ممجداً » (أش ١١ : ١٠) .

ولم تكن قيامة يسوع مباغتة للقوم ولا مفاجأة للتلاميذ ، فإن السيد قد تحدث مراراً عن قيامته ، وأنه فى اليوم الثالث يقوم ، وقال لتلاميذه وهو فى طريقه الى الصليب « ولكن بعد قيامى أسبقكم الى الجليل » (مت ٢٦ : ٣٢) . كان فى تصورهم أنهم تمموا ما أرادوا ، وأنهم نفذوا ما رسموا ، ولكنهم كانوا واهمين ، فان ما فعلوا كان ليتم ما جاء فى كتب الأنبياء . فهيهات أن يضم القبر ذاك الذى بيده نسمة كل حى . وبيده سلطان الحياة والموت ، وبه نحيا ونتحرك ونوجد . وفيه كانت الحياة . وهيهات أن يبقى القبر على رب الحياة ، فانه أسلم ذاته لهم بإرادته ، لأنه ليس لهم سلطان عليه لو لم يعطوه من السماء ، ولهذا فانهم لم يفيقوا من نشوتهم حتى تعثروا فى الشرك الذى نصبوه ، وافتضحت خطتهم ، وفشلت محاولتهم . وقام يسوع . وما هى إلا ساعات ، حتى أشرق شمس البر ، أكثر لمعانا وأشد توهجا ، فبددت أمامها جيوش الظلام ، وسطعت بأنوارها على الكون الكئيب

فجددت الأمل وأحيت الرجاء ونشرت البهجة والفرح ، وبعثت الدفء فى القلوب الواجفة ، وشددت الأيدى المسترخية ، وانزوى عن الابصار دعاة الهزيمة والمتآمرون على القدوس البار ، وباتوا فى فشل وتحقق الانتصار . وقد حصل العالم على الفرح الحقيقى فى شخص التلاميذ الذين فرحوا إذ رأوا الرب . وقد تمت نبوة داود النبى عن هذا الفرح العظيم حيث قال : هذا هو اليوم الذى صنعه الرب فلنفرح ونبتهج فيه . وهذا هو شعور بولس الرسول حين قال : « افرحوا بالرب فى كل حين » إتماماً لوعد السيد المسيح قبل صلبه وموته سأراكم فتفرح قلوبكم . فياله من رجاء بفرح جديد يملأ قلوبنا وهو قيامة مخلصنا من بين الأموات كعربون لقيامتنا . « لأنه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته » .

مات يسوع فانقبضت نفوس تلاميذه ومحبيه ، وسر اليهود وأعداؤه ولما قام فرح أولئك وحزن هؤلاء . ونحن اليوم فى كنائسنا نعيد تمثيل هذه الحادثة ليتجدد تأثيرها فينا . فما أعظم الفرق بين أمس واليوم . بالأمس كان يسوع ميتا ، واليوم حى ويحيى الأموات . بالأمس توارى الرسل عن النظر خوفا ، واليوم تراهم منطلقين الى القبر . أمس هربوا وتبددوا ، واليوم أسرعوا ليجتمعوا ويبشروا قائلين : يسوع قد قام .

مات المسيح ولم يمكث فى القبر سوى ثلاثة أيام وقام . قام بقوة لاهوته . قام بسلطانه الإلهى . وبقيامته قهر الموت . وغلب الجحيم وأظهر للعالم أجمع أنه وحده ابن الله . وانه القيامة والحياة .

يقول القديس يعقوب السروجى : كان قبر مخلصنا فى بستان . وقد فقد آدم سعادته فى الجنة ، وهلك بين الشجر . فدخل المخلص الجنة وطلبه هناك . حقاً لم يكن مخلصنا فى قبره ميتا كباقى الأموات (لأنه حى باللاهوت) ولكنه كان قائداً عظيماً يحارب ويقاتل فقد صارع فى موته كل جيوش الظلام . وبرهنت قيامته على أنه صرعهم وغلبهم : إذ جرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه .

١ ـ قيامة المسيح أماتت الخطية التى ملكت على العالم .
٢ ـ قيامة المسيح أبادت سلطة الشيطان وانقذتنا من أسره .
٣ ـ قيامة المسيح كسرت شوكة الموت .
٤ ـ قيامة المسيح علمتنا أن لنا وراء القبر حياة أبدية .

أنظر اليهم وقد تغيروا تغييرا كبيراً من جبناء الى أشداء ، وذلك بفعل قيامة المخلص التى أكدت لهم الحياة الأبدية . ان ملكنا حى فنحن فيه أحياء . لا نفتكر فيه كمائت بل كحى لأن الموت ساد عليه لحظة باختياره وقد قام بقوته ، وسيبقى دائماً حيا ليحينا . قال الكتاب

المقدس : « ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب » (يو ٢٠ : ٢٠) . فرحوا إذ رأوا مخلصهم قائماً بعد موته ونحن نفرح معكم يا تلاميذ الرب . ويفرح معكم جميع شعب المسيح الذين رأوه بالايمان . وهوذا قد صار ينبوعا لحياة الابد . ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب . فلنفرح معهم ، ولنلبس الزينة الفاخرة الروحية ولنمجد بكل قلوبنا قيامة فادينا الكريم . ولكن فرحنا لا يكون كاملاً إلا اذا فرحنا بقيامتنا معه . فإن كان قد قام فلنقم معه . المسيح مات عنا فمتنا معه . وهكذا نقوم معه « لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته . نصير أيضاً بقيامته » (رو ٦ : ٥) . المتعلقون بالعالم لم يقوموا بعد مع المسيح . فإن النسوة احترن قائلات : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . وأنت أيها الخاطىء على هذا المنوال قد وضعت أحجاراً عدة فوقك حتى تمنعك من أن تقوم من شرك . حبذا لو بذلت جهدك ودحرجت هذه الأحجار عنك فتقوم لحياة جديدة .

صديقك الذى يغريك ويقودك للشر هو حجر عثرة فى سبيل خلاصك فدحرجه عنك حتى تستطيع ان تحيا حراً . مالك الذى ملك عليك وعلى قلبك وعقلك ، دحرج عنك محبته لترث الحياة الأبدية . روح الجسد الذى كدر عليك صفوك ، دحرج حجره عنك لتستطيع ان تحب جميع الناس وهم أيضاً يحبونك . قيل عن المسيح قد قام يا له من قيام . وفرح المسيح الكامل ان يقال عنك أيها الخاطىء أنك قد قمت . « استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضيء لك المسيح » (أف ٥ : ١٤) . ان يوم القيامة يوم فرح . ولكنه ليس للجميع . فرح للمؤمنين الذين قاموا مع المسيح ، وحزن للذين لم يقوموا بعد . قام المسيح ، ولما قام حطم كل كبرياء اليهود ، واستطاع أن يعيد الحق الى سلطته . واذ بتعليمه ترجع مرة أخرى ، واذ بصليب المسيح يصبح عاراً لليهود الى الأبد . وإذ بالنور يشرق بعد الظلام . واذ بالذين ظنوا ان المسيح قد مات ، يعرفون أنه حى لا يموت . كان المسيح فى قبره . أقوى منهم جميعاً ، وهم يتحركون تحت الشمس . كان فى قبره حيا ، وكانوا هم فى حياتهم أمواتا . كانوا موتى بالحياة ، وكان هو حيا فى الموت . لم يكن للموت سلطانا عليه ، بل بالعكس كان له سلطان على الموت .

أليس هو الذى أقام الأموات أكثر من مرة ؟؟ وبقيامة المسيح انتصر الحق على الباطل . وبقيامة المسيح ظهر للناس ان الحق . وان بدا منهزماً فى أول الأمر . إلا أنه لابد أن ينتصر أخيراً وان الجولة الأخيرة هى الهامة فى المعركة كلها . فقد يبدو ان الباطل قد يرتفع الى حين ولكنه لابد أن ينزل من كبريائه .

قام المسيح قيامة علنية . شهد لها الجميع . رآها الرسل والتلاميذ والنسوة والحراس وجمهور غفير من الناس . وحتى تكون قيامتنا ظاهرة وعلنية لا يكفى أن نصنع الصلاح فى داخلنا وداخل البيت والأسرة فقط . [illegible] نكون قدوة صالحة للآخرين وهذا ما يعنيه

السيد المسيح بقوله : « ليضيء نوركم أمام الناس ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

يجب أن نكون ابناء للمسيح فى البيت . فى الحقل . فى المكتب . فى المتجر . وفى السوق . وفى كل مكان . ان يكون المسيح معنا اينما كنا ويبقى فينا أينما نسير . لا نستحى به أمام الناس حتى لا ينكرنا أمام الله .

قال أحد الأتقياء : ان الحياة المسيحية هى البرهان المحسوس على المسيح الحى . فهل إيمانك بالرب المقام غير وطهر حياتك ؟ هل العالم يرى المسيح فى حياتك اليومية ؟ وهل سيرتك وتصرفاتك دليل قاطع على انك تؤمن بمسيح حى وهو يحيا فيك ؟ إسأل نفسك .

يسوع المسيح فى مثل هذا اليوم قام حقا . قام منتصراً ، قام فائزا بالظفر بعد حرب وصدام مع ابليس عدونا اللدود . يسوع المسيح الذى سفك دمه الثمين على الصليب فى الجلجثة هو الذى يمنح المؤمنين كل البركات وقوة التقديس واشترى الكنيسة واقتناها بدمه وصار رأس الكنيسة ومكننا من حرية دخولنا الى الأقداس . فيجب على كل مؤمن أن يقدم تسبيحاته ليسوع الذى احبنا وغسلنا من خطايانا وطهرنا من كل خطية بعد ان كنا قبلا أعداء فى الفكر والقول والآن صولحنا مع الله وبموت يسوع وقيامته تبررنا وأعطانا سلامه الذى لا يتزعزع .

إننا لا ننادى بميت مدفون تحت الثرى مغلوبا من الموت كأى بشرى ، بل ننادى ونؤمن برسول خلاصنا وإلهنا الذى قال : « أنا هو الأول والآخر . والحى وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الآبدين » (رؤ ١ : ١٧ ، ١٨) . المسيح قام حقا قام . انه سر حياة المسيحية ، وقوة المسيحيين ، ورجاء المؤمنين ، وجهاد الشهداء ، وثبات الكنيسة مدى الأجيال لأنها لا تقوم على مسيح مات وقبر ، بل على مسيح حى ، « مماتا فى الجسد ولكن محيى فى الروح » (١بط ٣ : ١٨) . وها هو حى الى أبد الآبدين . هنيئاً لنا بمسيحنا القائم من الأموات ، وشكراً لله على عطيته التى لا يعبر عنها ، وعلى أمجاد قيامته التى وهبها لنا فى المسيح يسوع ، وأنوار قيامته التى أشرقت فى قلوبنا ليقودنا فى موكب نصرته الى مجده الأبدى . لهذا أيها الأحباء اذ نفرح بقيامة الرب يسوع ، فليكن فرحنا بالروح لا بالجسد « لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص والحق » (١كو ٥ : ٨) .

وإله السلام الذى أقام من الأموات راعى الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الأبدى ليكملكم فى كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملا فيكم ما يرضى أمامه بيسوع المسيح الذى له المجد الى أبد الآبدين . آمين .

شهادة الملاك لقيامة الرب يسوع

لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم الى الجليل (مر ١٦ : ٧) .

نتكلم عن تقسيم الأوقات التى كتب عنها كل من الانجيليين لا عن الوقت الذى قام فيه ربنا من القبر . فان ذلك غير معلوم لا للملائكة ولا للبشر .

ما يرويه معلمنا متى الانجيلى ان النساء جاءت للقبر فجر السبت . ويرويه معلمنا مرقس الانجيلى انهن اتين لما أشرقت الشمس . ويرويه معلمنا لوقا الانجيلى انهن اتين فى السحر . ويرويه معلمنا يوحنا الانجيلى انهن جئن فى الصباح . وتفصيل ذلك ان مريم المجدلية ومريم والدة الإله جاءتا لتنظرا القبر فى فجر السبت وتبشرا من الملاك ان ربنا قد قام . أما الحراس فدخلوا المدينة وأعلموا الكهنة بقيامة المسيح فأعطوهم رشوة ليقولوا إن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه فأذاعوا الخبر ولما بلغ مريم المجدلية أن جسده قد سرق . ارتابت ورجعت الى القبر ثانية فى الصباح كما قال معلمنا يوحنا ورأت الحجر مدحجراً والملاك جالساً عليه وهو الذى رأته قبل ذلك بقليل جالساً على الحجر فازداد ريبها وجاءت الى بطرس ويوحنا وقالت قد أخذوا سيدى من القبر ولست أعلم أين وضعوه وللحال مضى التلميذان المذكوران ونظرا القبر واللفائف فتحققا القيامة ورجعا مؤمنين .

أما مريم المجدلية فظلت واقفة عند القبر مرتبكة فحانت منها التفاتة الى القبر فنظرت الملاكين اللذين تراءيا لسمعان ويوحنا . ثم التفتت الى ورائها فرأت سيدنا فأرسلها الى تلاميذه فرجعت وبشرتهم انها قد رأت الرب ووجدت هناك النسوة اللواتى بالهام ربانى كن مستعدات ليمضين للقبر حاملات طيباً . فرجعت معهن هى ووالدة الله ومريم التى يسميها معلمنا لوقا أم يعقوب وكان الوقت قبل طلوع الشمس بقليل ورأت هناك . ملاكين بهيئة رجلين ولباسهما يلمع ووجههما مضيئة . حينئذ انضم الى المجدلية ومريم أم الله امرأة غريبة اسمها سالومى وهى التى كانت مع النساء الأوليات ورأين ملاكاً بهيئة شاب مرتدى حلة بيضاء فدهشن وكان الوقت عند طلوع الشمس كما ذكر معلمنا مرقس الانجيلى . فهذه هى تراتيب الأوقات الأربعة التى رواها كل من الانجيليين والتى مضين النسوة الى القبر .

ان الكيفية التى عادت بها روح المسيح له المجد فاتحدت بجسده وقت قيامته هى لغز ، وهى إحدى السرائر التي ليست لنا . أما الأدلة التى لا تدحض ، التى تبرهن قيامته ،

وتثبت أنه قام حقاً من الأموات ، وبهذا تأكد بأنه هو ابن الله ، فهذه هى « المعلنات التى لنا ولبنينا » (تث ٢٩ : ٢٩) ثم ان الرب تراءى يوم قيامته مرات متعددة المعروف منها سبعة :

فأول من ظهر له بعد قيامته هى مريم المجدلية (مر ١١ : ٩ ، يو ٢٠ : ١١)

٢ ـــ ظهر لامرأتين راجعتين من القبر (مت ٢٨ : ٩) .

٣ ـــ ظهر لسمعان بطرس وحده (لو ٢٤ : ٣٤) .

٤ ـــ ظهر للقديسة مريم والدته .

٥ ـــ ظهر لاثنين من تلاميذه وهما ذاهبان الى عمواس (لو ٢٤ : ٣٠)

٦ ـــ ظهر لعشرة من تلاميذه ولم يكن توما معهم (يو ٢٠ : ١٩) .

٧ ـــ ظهر للأحد عشرة والذين معهم فى علية صهيون (لو ٢٤ : ٣٣ ، ٣٦) .

وبعد هذه ظهر مرات كثيرة مدة الأربعين يوما . « لقد مات ليوفى الذين عنا وقام ليعلن تبريرنا » (رو ٤ :٢٥) . لقد دحرج حجر خطايانا على باب قبر الرب يسوع المسيح . وفى (١صم ١٤ : ٣٣) . نجد أن دحرجه حجر كبير ترمز الى ارتكاب الاثم . لقد ختم أعداء المسيح الحجر معتزمين : « ان لا يطلقوا أسيرهم الى بيته » (اش ١٤ : ١٧) . وهل تسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبى المنصور ؟ (اش ٤٩ : ٢٤) لقد جلس الملاك كحارس للقبر إذ أزعج حرس الأعداء وابعدهم عنه . جلس فى انتظار المرأتين ليعطيهم خبر قيامته . وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . هذا تمثيل لأمجاد العالم غير المنظور . كان منظره أمام الحراس كوميض البرق : « أبرق بروقاً وبددهم » (مز ١٤٤ : ٦) . أما بياض لباسه فكان يرمز ليس فقط الى الطهارة بل أيضاً الى الفرح والنصرة . لما مات المسيح حزنت قوات السماء حزناً شديداً . الأمر الذى كان ترمز اليه ظلمة الشمس . « لكنها لبست ثانية رداء التسبيح عندما قام » (اش ٤١ : ٢ ، ١٠) .

الرسالة التى قدمها هذا الملاك للمرأتين : إنه شجعهما ضد مخاوفهما لا تخافا أنتما . سرعان ما طمئن قلبيهما بهذه الكلمة لا تخافا . ليخف الخطاة فى صهيون لأن هنالك مبرراً . لذلك ، أما أنت يا ابراهيم ، وكل نسل ابراهيم الأمناء . فلا تخافوا ولماذا تخاف بنات سارة الصانعات خيراً (١بط ٣ : ٦) .

ان الذين يطلبون يسوع ليس لهم مبرر ليخافوا . إن حياتنا فى المسيح هى قيامة دائمة . قيامة مجدده ومتجدده . مجددة لحياتنا . وأفكارنا ، ومتجددة بفاعلية النعمة

المستمرة التى تنبع فينا الى حياة أبدية ولكننا لكى نقوم مع المسيح يجب أن نذهب إليه عند قبره ، ونعاين الحجر المدحرج ، ونستنير بمنظر الملائكة البهى ، ونرى الحراس كأموات ، ونسأل قائلين أين أخذوا سيدى ، ثم نعود لنبشر برؤى القيامة العجيبة شاهدين دون خوف بعظمة القبر الفارغ . ما أكثر الأحجار التى لا نستطيع أن ندحرجها فتحجب عنا رؤيا الرب ، لكن إذ أخلصنا لأنفسنا سيحدث معنا ما حدث مع المريمات . تطلعن فوجدن الحجر قد دحرج . ما أكثر الحراس الوثنيين المحيطين بقلوبنا ، لكن رؤيا الملاك الذى يشفع عنا كفيلة ان نجعلهم أمواتا أى بالقضاء على كل عبادات الأوثان فى باطنا ــ هكذا قام الملاك بشرف إعلان قيامة الرب . ولمن ؟ لنساء بسيطات ربما لا يدرى بهن المجتمع ولا يعلم عنهن شيئاً . تماماً كما أعلن بشرى ميلاده لرعاة فقراء واقفين فى البادية فى حراسة أغنامهم . ظن اليهود أن جريمتهم قد انتهت على هذا الوضع الذى ألفوه عند مقتل الأنبياء والصديقين وأنه لن تقوم للناصرى قائمة بعد اليوم . ولكن خاب فألهم وطاش . سهمهم لأنهم مكابرون فى الحق لا يميزون الأزمنة ولا يعرفون الكتب . فقد تحرك دفين القبر فى اليوم الثالث معلنا لاهوته الذى لا يقاوم وخرج من ضريحة بقوة واقتدار عظيمين دون أن يدحرج الحجر لأنه نور يلبس جسما . قام فى لحظة غير معروفة من صباح الأحد خشعت لها السموات والأرض فحطم بانتصاره متاريس الجحيم وداس الموت فى أمنع حصونه . وقد تحققت قيامة الرب من حراس القبر وملائكة السماء وظهوراته المتوالية للمريمات والرسل الذين شاهدوه عياناً وتحدثوا إليه مراراً وامتحنوا بحواسهم جراحه القرمزية لا سيما جنبه المطعون الذى سوف يبقى علامة خالدة الى أن « يأتى فى السحاب وتراه كل عين » (رؤ ١ : ٧) .

هذا وقد جاء انطلاق الرسل للكرازة فى كل أنحاء العالم أكبر دليل على عدالة قضيتهم التى فى سبيل ابرازها للملأ طافوا معتازين مكروبين مضحين بأرواحهم وأجسادهم . مرحبين بالسيف والشهادة ، كما كان نجاح مهمتهم وتغلغل الانجيل فى الأوساط الرومانية وبلاط القيصر من أكبر الأدلة على صدق الديانة المسيحية التى انتشرت دون وعد أو وعيد على أيدى أناس لا حول لهم ولا قوة . حدث كل هذا بينما كان رئيس الكهنة جامداً فى مستنقع نفاقه الذى تجلى واضحاً عندما رشا العسكر ورسم لهم أن يقولوا بسرقة الجسد ويختلقوا خبراً يتنافى مع الواقع الصحيح . وهكذا كان رئيس الكهنة منافقاً يقول ولا يفعل ، له صورة التقوى وينكر قوتها . يجلس على كرسى موسى ولا يعمل أعمال موسى . يعرف أين يولد المسيح ، وعند ظهوره لا يؤمن به . يحتفظ فى صدره بنبوات الأنبياء ، ويتجاهل اتمامها . يلبس افود الأحبار ، ويدنسها بالظلم والاثم والخيانة . يفعل هذا وأكثر من هذا

لأنه منافق لا يريد أن يتبرر ، وتبريره لا يتطلب منه سوى أن يؤمن بقلبه ويشهد بلسانه قائلا : المسيح قام فتجاوبه الملائكة حقاً قام ، وهذا هو الحق ، والحق يحرر أتباعه .

كانت النسوة حائرات من يدحرج لهن الحجر الثقيل عن فم القبر واذا بهن « يرين شابا جالسا عن اليمين لابساً حلة بيضاء » (مر ١٦ : ٥) . واذا بهذا الشاب يشهد لهن عن قيامة المسيح قائلا : قد قام . ليس هو ههنا وكان ذلك الشاب فى جمال منظره ، صورة لجمال الشاب النقى القلب الطاهر الجبين . الشاب الأمين الحكيم المتعقل الذى يحفظ ثيابه بيضاء لا يدنسها شيء من مفاسد العالم وغرور الشهوة . وكان ذلك الشاب فى شهادته عن قيامة المسيح صورة للشاب النقى الطاهر الذى ببياضه ونقائه يقدم أقوى شهادة للعالم عن قيامة المسيح من بين الأموات .

فما قام المسيح إلا لنقوم نحن بحياة جديدة هى حياة البر والقداسة ونحن لا نستطيع ان نبرهن حقا على اننا قد قمنا مع المسيح إلا إذا كانت لنا حياة الغلبة والانتصار والقوة . انما هو دور الشباب الذى يشتد فيه الجهاد وتعظم النصرة على قدر شدة الصراع بيننا على حقيقة قيامة المسيح . إنما هى شهادة الشباب الغالب المنتصر .

إن رسالة المسيح المقام يجب أن يراها العالم فى حياتك الطاهرة النقية ، إن حياتك أيها الشاب يجب أن تكون صحيفة بيضاء بريئة من غرور العالم وشهواته ، مترفعة عن مفاسده وملذاته ، وكما شهد ذلك الملاك النورانى ذو الثياب البيضاء للمريمات بقيامة المسيح ، كذلك حياتك الطاهرة وشبابك المكرس يجب أن يكون أجمل شهادة تقدم للعالم عن المسيح المقام .

ألا فليبارك الله شبابنا وشاباتنا لتكون حياتهم حياة الشهادة الكاملة عن قيامة يسوع المسيح الحى من بين الأموات .

وله المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من الخماسين المقدسة

إلى العمق

« قال لسمعان ابعد إلى العمق » (لو٥: ٤) .

إلى العمق ، إلى البحث عن المخبوء ، إلى كشف المستور ، إلى معرفة الكنوز ، إلى الظفر باللآلىء .

إلى العمق فى النفس ، وإلى العمق فى الشركة ، وإلى العمق فى الخدمة ، فما من شىء أتلف علينا حياتنا وأضاع مشروعاتنا أكثر من السطحية . ولا سبيل إلى تقويم المعوج وإصلاح المائل إلا أن تدعم الحياة على العمق أو أن نتمشى نحن فى بحث الحقائق إلى الأعماق .

والفرق بين السطح والعمق هو ذات الفرق بين النظرة العرضية التى لا تهتم إلا بالشكل والنظرة العميقة الدقيقة التى تفحص ذات الموضوع .

وحياتنا أحد اثنين — إما أن تكون حياة عادية كما يحيا سواد البشر ، حياة أكل وشرب ولهو ولعب ، حياة اهتمام بالتافه وانشغال بسفاسف الأمور وصغائرها ، أو أن تكون حياة منتجة ومثمرة ، أمينة ، ثابتة على أساس مكين من الروحانية ، هادفة إلى أسمى الأغراض وأنبل الغايات .

وقد كان العالم إلى اليوم الذى فيه صدرت الكلمة من رب المجد « إلى العمق » كان العالم سطحياً لا مُثل عليا له ولا وسائل نبيلة يختطها ولا سلام يحصل عليه . فما أن كشف رب المجد لتابعيه عن نقطة الضعف ، أو لعلها علة الفشل ، وهى السطحية ، ثم تناولها بعلاج حاسم دقيق ، فهتف بهم قائلاً : « إلى العمق » ، منذ تلك اللحظة بدأت الحياة تأخذ طابعاً جديداً ، وراح التلاميذ ، ونسج على منوالهم خلفاؤهم ، يدخلون إلى الأغوار ويبحثون فى الأعماق . فيخرجون للناس جدداً وعتقاء ، ويهتف هاتفهم « تعبنا الليل كله ولم نمسك شيئاً لكن على كلمتك يارب نلقى الشبكة » (لو٥: ٥) .

إلى العمق فى النفس

كانت الجموع تتزاحم على بحيرة جنيسارت ، وكان يسوع ينشر تعاليمه على الناس وينثر درره الغوالى على من تاقت قلوبهم أن تتلقفها . كان يعزى البائسين ويواسى المنكوبين ويشفى المرضى المتألمين . ولفت هذا نظر سمعان بطرس الصياد الذى قضى ليلة طويلة فاشلة و لم يمسك شيئاً . تنبه سمعان لشىء لم يكن يفكر فيه من قبل ، وهو أنه إنسان يعيش لنفسه ، أو يعيش لذويه ، فى حين أن المعلم العظيم الذى تزحمه تلك الجموع كان يتعب لكى يربح الناس ويبذل من نفسه ومن جهده كل وقته — نهاره وليله — لإسعاد الجماعة .

وحالما رنت الكلمة « إلى العمق » فى أذنى سمعان ، أدرك ساعتئذ أنه كان سطحياً فى تلك اللحظة وأن الأفضل أن يتغير عن شكله بتجديد ذهنه ، لكى يدخل إلى العمق فى النفس فيكشف ما استتر من عيب وما أختبأ من ضعف . وهو — ونحن أيضاً — لا نستطيع مطلقاً أن نخطو خطوة إيجابية مالم نتخلص من السلبية ، ولا نستطيع أن نبنى أنفسنا إلا إذا أزلنا ما تخلف من أنقاض .

ونحن نحس فى هذه الفترة من حياتنا بأن الماضى كان تافهاً لأن الحياة السطحية طغت علينا . فمن الرغبة فى السيطره نفرض أنفسنا على الآخرين ، ومن الشراهة المادية نحاول أن نبتلع أضخم قدر بحق أو بغير حق . هذه نزعات فيها جنوح وفيها جموح فيها إنسياق إلى الانزلاق .

تلك الحياة الشخصية أغرقتنا فى خضم العثرات والنزوات ، فجعلتنا نحيا حياة عابثة أو ، فى القليل ، حياة ذاتية مليئة بالعناد والغرور .

فإلى العمق فى تحليل نفسك والكشف عن ضعفاتك . وتعرف المستور من نزواتك ونزعاتك . وحذار من أن تخدعنا أنفسنا أو أن يخدعنا الناس ، فيحولنا التمويه أو الخيال عن واقع الحال . ثم لنستودع هذه النفوس فى يمين الله ، نستلهم روحه أن يبعث فى الضمير يقظة وفى الشعور وعياً ، فنبكى على ما فات وندمع على ما ضاع ونضرع إلى الله أن يغير الطباع وأن يعدل الأوضاع .

إلى العمق فى الشركة

وهنا يطيب الحديث ، حديث الروح فى عالم الروح ، الحديث الذى ينساب إلى العمق فيبلغ بالنظرة إلى نعمة التأمل . فعندما تجول عيناك ، هنا وهناك ، فى آية لحظة

وفى أى مكان ، تستطيع أن تهتف مع من هتف « السموات تنطق بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » (مز١٩:١) .

أيتها العين ، إلى النظرة الفاحصة التى تأكد لكِ أن الحياة لم تأتِ إليكِ عرضاً و لم تعطِ لكِ صدفة ، وإنما هى بتدبير إلهى عجيب ، خلق كل الأشياء لخدمتك وأودع الطبيعة أسرارها ، لتفيدى أنتِ من كل شىء فيها ، ثم جاء بنفسه يردكِ بعد شرود ، ويرفعك بعد ركود ، يهب نفسه لكِ فى هذا الوجود ، ويرقى بكِ إلى عرشه فى حياة الخلود .

وفى النظرة العمقية نستطيع أن نستشف الحقائق . فإذا ما استمعنا إلى فقرة من كتاب الحياة أو أصغينا إلى وعظ يفسر كلمة الله ، توارد على خاطرنا تداعى المعانى . فلا نكون مجرد سامعين ولا مجرد مرددين بل نكون مصغين فى وعى ، ومختزنين فى العمق ومتأملين فيما هو أسمى . وإذ بما نسمع وما ننظر يتخذ طابعاً أوسع نطاقاً وأبعد آفاقاً ، فتحلق فى جو روحى عجيب ، فتتغير عندئذ المعانى من السطحية إلى العمق ، وتصبح الصلوات عميقة والدراسات عميقة . فإذا بحياتنا وقد امتلأت روحانية ، وأشرقت بنور مجيد .

ويقينا أننا لو درسنا كلمة الله على هذا المثال ، دراسة فيها عمق ، ثم صلينا على هذا المنوال لأصبحت حياتنا ممتلئة طمأنينة وفرحاً وثمراً لمجد الله وحمده .

إلى العمق فى الخدمة

أجل ، إلى العمق فى الخدمة ، التى يعتنقها الخادم اعتناقاً وتنبثق من قلبه انبثاقاً ، الخدمة التى يترسم فيها خطوات الخادم الأول الذى جاء ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين ...

الخدمة التى جعلته يسكب نفسه فى الصلاة ، مع أنه هو الذى يصلى إليه كل البشر ...

.. الخدمة التى جعلته ينسحق ألماً وبكاً على الخطاة لكى يردهم إلى حظيرة النعمة ويرقى بهم إلى ذروة الحياة ...

الخدمة التى سكبته هو نفسه سكيباً مذابا ينصب فى قلوب السامعين فى عظاته التى لم تهتم بالتنميق أو التنسيق أو التزويق ، ولم تكتف بالتشويق ، ولكنها جذبت إليه القلوب ورفعت إلى عرشه النفوس وخلعت ثوب القداسة يتشح به المؤمنون ،

ودفعتهم إلى العمل قُدماً ، لا ينثنون ولا يئنون .

يا جماعة المؤمنين ، هيا إلى العمق . وإلى العمق فى الخدمة بالذات . كفانا هذه السطحية الفضفاضة التى لها صورة التقوى وليس لها قوتها ، الخدمة الثرثارة الجوفاء التى طابعها الغرور والإغراء التى تدس فى طياتها النفاق والرياء والتى لا تتورع عن الدس والكيد فى الخفاء .

كفانا خدمات زائفة استترت تحت ملابس وعاظ لهم صورة الغيرة ، تحت عناد تعصبى يراد به ستر معائب ومثالب يحاول أصحاب هذا الصنف أن يستروا فى أنفسهم مركب النقص .. حياتهم ضائعة ، وعيونهم أمام الجماهير دامعة ، يتباكون متظاهرين بالغيرة على الكنيسة ، لكنهم فى حياتهم جافون وفى أعمالهم مخجلون وفى سيرتهم مشوهون ملوثون .

تلك الخدمات السطحية التى رأيناه فى جماعة من الناس تنوعت ثقافتها وتباينت عقلياتها واتفقت أهدافها فى وسائل ملتوية معوجة .

هذا خادم يقضى نهاره ، من صباحه إلى مسائه ، فى الخدمة فى الكنيسة أو فى هيئة . فهو متصبب عرقاً ومتعب جسداً ونفساً . لكن ما هى هذه الخدمة ؟ إنها خدمة تهدف أولاً وقبل كل شىء إلى إبراز شخصيته أو تغليب مصالحه المادية أو الأدبية .

هذا لا نتيجة لخدماته المتكررة ، إلا أن تكون نتيجة متلفة مدمرة بقوته العاثرة والمعثرة .

وإنك لو ألقيت نظرة على المئات من مختلف الكنائس والهيئات لصدمت بنتيجة بائسة تضع نسبة مئوية عالية فى مصاف الخدام الفاشلين .. لقد كانوا خداماً سطحيين .

ابعد إلى العمق ، حدد هدفك فى الخدمة على ضوء كلمة الله فى تعاليم المسيح ، له المجد ، وقديسيه . ولتكن حياته مثلاً لك ، وإنكار الذات شعاراً لخدمتك ، وحياة التضحية أساساً لعملك ...

لتكن نفسك مملوكة لشخصه . وليكن فكرك مقوداً بروحانيته . ولتكن روحك منسكبه أمام عرشه .

لتنظره عيناك ، ولتصغ إليه أذناك ، ولتسجد له بقلبك ، وتسلم له حياتك ، فتزداد البركات وتتعاظم الخيرات وتحصر ذاتك وخدماتك فى نشر ملكوت السموات .

وله المجد فى كنيسته إلى الأبد آمين .

أحد توما

هات أصبعك إلى هنا وأبصر يدىّ . وهات يدك وضعها فى جنبى . ولا تكون غير مؤمن بل مؤمنا (يو ٢٠ : ٢٧) .

عجيب ومدهش عدم إيمان توما بقيامة المخلص . وأعجب من هذا فشل الرسل فى اقناعه . والأعجب من الكل لطف المسيح وشفقته على تلميذه العاثر العنيد .

ففى ذلك اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات كان التلاميذ مجتمعين فى علية أورشليم بسبب الخوف من اليهود لئلا يبطشوا بهم كما بطشوا بسيدهم . كان التلاميذ خائفين لأن سيدهم ليس معهم ، وهو فى نظرهم فى عداد الأموات . لكن بينما كانت الأبواب مغلقة وقف فى وسطهم وقال : « سلام لكم أنظروا يدىّ ورجلىّ تحققوا ان الشخص الذى أمامكم هو ذات المصلوب ، وإنما صلبت لفداء البشر . كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا لتعلنوا للناس غفران الخطايا بالإيمان بى ولتحكموا بالدينونة على غير المؤمنين . وطبعا « فرح التلاميذ إذ رأوا الرب » (يو ٢٠ : ٢٠) .

ولأن توما قد حرم من مشاهدة الرب لغيابه عن الاجتماع ، فأخبره الرسل بتلك البشرى العظيمة أنهم رأوا الرب . ولكن يا للأسف لم يصدق . ومع أن الشهود عشرة . ومن صفوة الناس . وهم الزملاء الذين تمتعوا بعشرة المسيح وتعاليمه وشاهدوا معجزاته ثلاث سنوات ونصف ومع ذلك فلم يصدقهم . الشريعة تقضى أنه « على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة » (٢كو ١٣ : ١) .

وقد ظهر المسيح مرات متوالية لأشخاص عديدين فى أماكن مختلفة فقد استشهدوا بظهوره له المجد لمريم المجدلية فى البستان . واستشهدوا بظهوره لبطرس . واستشهدوا بظهوره للتلميذين المنطلقين الى عمواس واستشهدوا بظهوره لهم فى العلية . ومع ذلك فقد فشلت كل هذه البراهين فى اقناع توما . تعبوا فى اقناعه ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة الرسل الذين عليهم مسئولية الكرازة لليهود والتبشير للأمم . عجزوا عن اقناع واحد وهو زميل لهم .

فبالحقيقة ان أعظم خدام الله بدون المساعدة الإلهية هم لا شىء « إن لم يبن الرب البيت فباطلا يتعب البناؤون ، إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس » (مز

١٢٧ : ١) « إذا ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى ينمى » (١كو ٣ : ٧) بل كفايتنا من الله الذى جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد » (٢كو ٣ : ٥ ، ٦) . فلا ينبغى أن نعتمد على أنفسنا — مهما كان مركزنا — فى إقناع الغير . بل ينبغى أن نعتمد على الله بالصلاة ، فهو وحده العامل فى الناس « لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٣) .

حقاً انه لمدهش عدم إيمان توما وامعانه فى العناد .

اولا — لأنه أهان اخوته بتكذيبه إياهم وعدم تصديقه لهم .

ثانيا — لأنه تكبر وأعتد بذاته ولم يرض أن يصدق إلا نفسه .

ثالثاً — لم يعتد بأقوال المسيح السابقة التى أعلنها لهم أنه ينبغى أن يتألم ويقوم فى اليوم الثالث .

رابعاً — لم يتأثر بما رأى من معجزات المسيح التى بها أقام كثيرين من الأموات . فقد أقام لعازر بعد موته بأربعة أيام . وأقام ابن أرملة نايين . وابنة يايرس .

خامساً — لم يتأثر بشهادة العهد القديم بامكانية قيامة الأموات من نبوة داود النبى القائلة : « لن تدع تقيك يرى فساداً » (مز ١٦ : ١٠) الى قيامة ابن أرملة صيدا وابن الشونمية ، فغريب أن يكون تلميذ عنيد متكبر جاهل غليظ القلب جافى الطبع بين تلاميذ المسيح . انه لغريب ومدهش للغاية أن المسيح يتنازل ويفتش عنه ، كما يفتش الراعى عن خروفه الضال .

لقد أعطى المسيح خبراً لتلاميذه ان يتقابل معهم فى الجليل ، ولكن تأخر هو وهم أسبوعاً فى أورشليم ، وهذا التأخير هو من أجل توما ، فلا يمكن أن يتركوه يتدهور فى مهاوى عدم الايمان ، وينفصل بالكفر عن شركة أخوته الرسل . فالمسيح له المجد قد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك (لو ١٩ : ١٠) فبينما كان التلاميذ مجتمعين فى عشية الأحد التالى ومعهم توما ، والأبواب مغلقة ، وقف يسوع فى وسطهم وقال سلام لكم . ولأنه قد جاء هذه المرة خصيصاً من أجل توما قال له : يا توما هات أصبعك الى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » (يو ٢٠ : ٢٧) .

لقد كلمه المسيح بصفته له المجد عالماً بالكلمات القاسية التى تكلم بها . فدنا توما من سيده ورأى آثار المسامير والحربة وصرخ قائلا : « ربى والهى » (يو ٢٠ : ٢٨) . اعترف بلاهوت المسيح « رئيس الحياة » (أع ٣ : ١٥) فقال له المسيح : « لأنك رأيتنى يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ٢٩) .

إن اليهود رأوا ولم يؤمنوا . وتوما رأى فآمن . ونحن آمنا ولم نر ، وقد وعدنا بالغبطة والسعادة . ومما يلفت نظرنا بنوع خاص ، ان المسيح له المجد بعد قيامته المجيدة لا زالت آثار الجروح فى جسده المبارك . وقد كشفها لتلاميذه ، ولعبده توما ، كما يكشف الملك جراحه لعبيده الذين يحبهم ويدللهم . ولا زالت آثار الجروح فى المسيح وهو فى السماء كما قال يوحنا الرائى : « رأيت فاذا وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف كأنه مذبوح » (رؤ ٥ : ٦) . وعند مجيئه ثانية تكون آثار جراحه دائمة كما هى : « هوذا يأتى مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض » (رؤ ١ : ٧) . يسوع سيبقى كما هو ، آثار جراحه كما هى « يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم والى الأبد » (عب ١٣ : ٨) . قال زكريا النبى : ما هذه الجروح فى يديك ؟ (زك ١٣ : ٦) . لماذا تبقى آثار هذه الجروح ؟

أولا ــ علامة التجسد :

الكلمة صار جسداً (يو ١ : ١٤) . الله ظهر فى الجسد (١تى ٣ : ١٦) . بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية (عب ٤ : ١٥) . فآثار الجراح تبدو عليه الى الأبد لتشهد على ناسوته الكامل لأنه ابن الانسان .

ثانياً ــ أمارة الفداء :

أنه جرح وسفك دمه لخلاصنا . قد اشتريتم بثمن (١كو ٦ : ٢٠) وهذه ينابيع الخلاص ظاهرة فى يديه ورجليه وجنبه .

ثالثاً ــ برهان القيامة :

أين ذهب المصلوب ؟ هو هو الشخص المقام وآثار المسامير تشهد بتحقيق شخصيته وتثبت صدق قيامته ، قد قهر الموت لأنه رب الحياة ، ضع يدك فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا (يو ٢٠ : ٢٧) .

رابعاً ــ زينة لجسده الممجد :

الجراح فخر للجندى المنتصر ، لقد تمجد المسيح بكل مجد ، ووجه ألمع من الشمس ، وكله كالنور الفائق الضياء ، وإذ تظهر فيه آثار الجراح إنما تبدو للزينة والمجد والبهاء .

خامساً ــ صورة الطاعة للآب :

الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه

آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس ، وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (فى ٢ : ٦ ــ ٨) .

قديماً كان يؤخذ العبد العبرانى الذى يريد أن يخدم سيده الى الأبد الى الباب ، وتوضع أذنه على الباب ، وتثقب مع الخشب بالمثقب ، فيبقى جرح الأذن عنوان طاعته المؤبدة وخدمته الدائمة ، والمسيح أطاع الآب وخدمه ويخدمه فى قضية خلاص البشر الى الأبد .

سادساً ــ اداة الشفاعة :

قال صاحب الرسالة الى العبرانيين : « وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة فوجد فداء أبدياً » (عب ٩ : ١٢) . وقال أيضاً : « فمن ثم يقدر أيضاً أن يخلص الى التمام الذين يتقدمون به الى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ١٥) . يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا ، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١يو ٢ : ٢٢) .

سابعاً ــ موضع تعجب الملائكة :

إن آلام المسيح وأمجاده ، التى تنبأ عنها الأنبياء وبشر بها الرسل ، هى أشهى ما تشتهى الملائكة كقول بطرس الرسول : « الأمور التى أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم فى الروح القدس المرسل من السماء ، التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها » (١بط ١ : ١٢) .

ثامناً ــ راية الانتصار على الفداء :

لقد سحق المسيح الشيطان سحقاً ذريعاً ، وأبطل الموت بموته ، وأزال الخطية باحتماله عقابها وطهرنا منها . وجراحه شاهدة بانتصاره .

تاسعاً ــ دعوة للتوبة :

فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله ان تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية (رو ١٢ : ١) . هوذا المسيح يمد يده التى بها خلقنا ، يده التى بها افتدانا ، التى صبغها بدمه ، يمد يده طالباً دعوتنا إليه ليضمنا بيديه اللطيفتين الى صدره . « تعالوا الىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) فهل نبالى أم نستخف بالدعوة ؟

عاشراً ـــ شهادة ضد الخطاة يوم الدين :

يأتى إلهنا ولا يصمت ، نار قدامه تأكل ، وحوله عاصف جداً ، يدعو السموات من فوق والأرض لمداينة شعبه » (مز ٥٠ : ٣) . هوذا المسيح يجلس على عرشه ، وتتحول آثار جراحه من شفاعة الى دينونة « أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلىَّ هنا واذبحوهم قدامى» (لو ١٩ : ٢٧) . لا حجة للخاطىء فى عدم التوبة ، هوذا آثار الجراح . لذلك أنت بلا عذر أيها الانسان (رو ٢ : ١) مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى (عب ١٠ : ٣١) .

ان هذا الأحد المبارك يسمى أحد توما أو أحد التجذيد ، لأن فيه تجدد توما وصار رجلا متيناً فى الإيمان ، وذلك لأنه نظر جراح المسيح فتحقق من شخصيته المباركة . فياليتنا ننظر الى جراح المسيح الآن . « نظروا إليه واستناروا ووجوهم لم تخجل » (مز ٣٤ : ٥) . ولربنا المجد دائماً آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الثانية من الخماسين المقدسة

تناول الأسرار المقدسة

من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية (يو ٦ : ٥٤) .

إن السيد المسيح له المجد وعد ووعده صادق أن يقدم جسده المقدس ودمه الكريم ذبيحة من أجل خلاص العالم . وكيف أنه هيأ الشعب لهذا الوعد بمعجزته الخاصة بإطعام الخمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وسمكتين وبنعمة الله وإرشاده نتأمل فى :

أولا ــ إطعام الخمسة آلاف رجل :

حدث هذا فى أيام الفصح عند اليهود فى مكان منعزل على شاطىء بحيرة طبرية التى تدعى بحر الجليل . وكان الجمع الملتف حوله والذى رأى معجزاته التى صنعها فى شفاء المرضى نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال حيث كان يكرز ويعظ حتى المساء . وحينئذ ظهرت مشكلة إطعام هذا الجمع الغفير فى ذلك المكان القفر الخلاء . فقال له أحد تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان ، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء فقال يسوع للجمع أن يتكئوا على العشب وأخذ يسوع الأرغفة والسمكتين وشكر ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا المتكئين . فلما شبعوا قال لتلاميذه إجمعوا الكسر الباقية فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة منها . فتعجب الجمع وامتلأوا حماساً وأرادوا أن يتوجونه ملكا ، ولكنه رفض لأنه لم يرد ملكاً أرضياً . أظهر يسوع قدرته الإلهية على إطعام الخمسة آلاف كما أظهر هذه القدرة الربانية على تقديم جسده وعلى سيطرته على قوانين الطبيعة بمشيه على ماء البحيرة وإسكاته العاصفة .

اجتمع الحشد بعد نزول يسوع إلى البر ، وكان من بين هذه الجموع شيوخ اليهود والفريسيين والكتبة وهم تواقون إلى مساءلته وطالبوه أن يبرهن لهم على سلطانه فى أن يعلم باسم الله . ثم أردفوا قائلين إن معجزة إطعام الخمسة آلاف بخمسة أرغفة وسمكتين لم تكن برهانا كافيا ، لأن موسى كان قد أعطى الشعب الخبز من السماء أثناء رحيلهم فى برية سينا بعد أن كانوا قد غادروا مصر . وكانوا يشيرون إلى حادثة المن . بعد شهرين من مغادرة بنى اسرائيل مصر وصلوا الى مكان مالم يستطيعوا أن يجدوا فيه طعاما ، فتذمروا على هارون وموسى قائلين إنكما اخرجتمونا الى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور جوعاً .

فأرسل الله لهم طعاماً ، إذ رأوا فى المساء أسراباً من طير صغير هو السلوى (السمان)

وقد حطت هذه الطيور على خيامهم ، فأمسكوا بها ، كما رأوا فى الصباح مادة بيضاء منتشرة فى هذه البادية . فقالوا المن قد يكون محتملا أنه عصير نبات يمتاز بطعم سائغ حلو ، وفى الوقت نفسه مادة مغذية ليوم واحد ثم تفسد ولذلك أمرهم موسى بأن يجمعوا منها ما يكفى حاجاتهم يوماً واحداً وقال لهم لا يبق أحد منه الى الصباح . وعرفوا أن هذا الطعام أمدتهم الطبيعة به لسد حاجاتهم بأمر الله خالق الكل .

سأل هؤلاء الكتبة والفريسيون يسوع قائلين إن موسى كان قد أعطى اسرائيل الطعام من السماء . فأجاب المسيح رداً عليهم : إن الله وليس موسى هو الذى أعطاهم المن ، وفضلا عن ذلك فهؤلاء الذين كانوا قد أكلوا المن ماتوا . وقال إنه يعطى طعاماً به يمنح الحياة الأبدية لكل من يأكله فتعجبوا من هذا قائلين أعطنا هذا الخبز دائماً ، واستمر فى إعطاء العهد الخاص بالقربان المقدس .

ثانياً ــ عهد القربان المقدس :

قال يسوع : أنا هو خبز الحياة من يقبل إلىَّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش فزع هؤلاء وتذمروا لقوله لهم إنه الخبز النازل من السماء الواهب الحياة الأبدية . وكان هذا قولا عن ألوهيته ، ولكن يسوع أعاد هذا الكلام فى تأكيد لا يقبل الشك ولا يتطرق إليه الريب وأضاف إليه ما يأتى : « أنا هو خبز الحياة ، آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء . لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت » (يو ٦ : ٤٨ ــ ٥٠) كان ذلك القول مفزعاً لهم كما كان أيضاً محيراً لهم .

والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم . وقال الرب يسوع فى هذا المجال ما كان يقوله فى مواقف أخرى إنه جاء من قبل الله أبيه ليعطى حياة جديدة للناس . وكما أن الطعام يعطى حياة طبيعية هكذا هو سيعطى الحياة الفائقة الطبيعية . فهؤلاء فقط الذين ينالون هذه الحياة هم الذين يؤمنون بتعليمه وان يقبلوا الرب يسوع . على ان معظم الذين سمعوه لم يقتنعوا أنه نزل من السماء ، كما أنهم لم يقتنعوا بأنه يستطيع أن يعطيهم جسده ودمه ، واحتجوا بشدة . ولكنه لم يتراجع عما قال بل ازداد إصراره عليه فأوضح بما لا يدعو مجالا للمجاز أنه يعطى ذاته طعاما حقيقياً وشراباً حقيقياً لمن يؤمن به فقال الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . ومعظم الذين سمعوه رفضوا أن يصدقوه ، كما فقد كثير من تلاميذه ثقتهم فيه ورجعوا عنه ، ولكنه لم يطلب منهم أن يرجعوا ليقول لهم إنهم أساءوا فهمه بل إتجه إلى رسله الاثنى عشر وقال لهم : « هل أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ كأنه يقول لهم إذا لم تقتنعوا بتعليمى

فإنكم لستم أتباعى ، فتكلم سمعان بطرس باسمهم كما كانت عادته فى مواقف كثيرة أخرى . « يارب إلى من نذهب . كلام الحياة الأبدية عندك ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى » (يو ٦ : ٦٨ ، ٦٩) .

ثالثاً ـــ الوفاء بالوعد :

نفذّ هذا الوعد عندما أكل الرب يسوع العشاء الأخير مع رسله فى الليلة التى أسلم فيها ذاته بإرادته وسلطانه وحده . وكان هذا أثناء عيد الفصح .

فبعد ان فرغوا من طقوس الفصح القديم أخذ مخلصنا خبزاً على يديه وكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى ، وأخذ كأساً بها عصير الكرم وذاق وأعطى تلاميذه وقال اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى للعهد الجديد الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٦ ـــ ٢٨) . ولم يقل مثلاً هذا علامة على جسدى ودمى بل قال بصراحة خذوا كلوا هذا هو جسدى وأشربوا هذا دمى . لذلك فهم الرسل وكل رجال الدين بعدهم ما كان يقصد تماماً من قوله الخبز وعصير الكرم تحولا الى جسده ودمه . وما كان على المائدة أمامه فى العشاء الأخير كان خبزاً وعصير الكرمة من حيث مظهره للحواس الخمس ، ولكنه كان فى الحقيقة جسد ودم المسيح . وبقى المظهر كما هو ، والحقيقة تكمن فيما وراء ذلك ، إذ تحولا بقدرة الله الذى لا يستحيل عليه شىء . وقال يسوع المسيح لرسله اصنعوا هذا لذكرى . لا يستطيع التحليل الكيميائى أو العلوم الإنسانية أن تثبت ان التحول قد يحدث ، إنه نوع خاص فى التحول فريد تماماً فى ذاته . ويسمى سراً مقدساً ويمكن لمثل هذا التحول فقط أن يعرف عن طريق الإيمان فى تعليم المسيح وكنيسته وهو كلمة الله .

رابعاً ـــ إيمان الكنيسة فى هذا السر :

إننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر واستدعاء الروح القدس على القرابين ، يستحيل الخبز والخمر استحالة سرية إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين حتى ان الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة الكهنوتية ليسا خبزاً وخمراً بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه ذاته تحت شكلى الخبز والخمر . ونؤمن ان ربنا يسوع المسيح حاضر فى هذه الخدمة حضوراً فعلياً . وهذا الإيمان هو إيمان الكنيسة كلها شرقاً وغرباً منذ ابتدائها ، لأن الرسل الأطهار سلموا هذا الإيمان لجميع المؤمنين فى المسكونة . وظل هذا السر يمارس فى جميع الكنائس الرسولية الى الآن والى الأبد . وقد اعتادت الكنيسة المقدسة الوحيدة الجامعة الرسولية أنها عند تعميد الأطفال على إيمان والديهم أو أشابينهم تمنحهم سر جسد الرب ودمه الأقدسين قوتاً روحياً لهم لنيل الحياة الأبدية حسب وصية الرب .

قال القديس يوحنا فم الذهب ، إننا نتحد مع المسيح بأكل جسده ودمه الأقدسين لا بالمحبة ورضى الارادة فقط بل بالحقيقة والجوهر . فلا مأكل ولا مشرب يقيت النفس حقيقة للحياة الأبدية إلا جسده ودمه . إذن عندما نتناول الأسرار المقدسة نأكل جسد الرب ونشرب دمه وبذلك نتقبل فى داخلنا يسوع المسيح نفسه ، وبهذا نثبت فيه وهو يثبت فينا ، وننال الحياة الأبدية . ونذكر ذبيحته الكفارية التى قدمها على الصليب من أجل فدائنا وتبريرنا ، فما أحوجنا دائماً الى تناول هذه الذخيرة المقدسة بكل ورع وإيمان ومحبة . قال القديس امبروسيوس : كيف يموت من كان طعامه الحياة . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل عشية الأحد الثانى من الخماسين المقدسة

الشـــــكر

« إذ شكر الرب » (يو٦:٢٣) .

أفضل نتائج عطايا الله ، بل أفضل ما يعطينا هو أن نكون شاكرين . فمن عاش شاكراً عاش سعيداً .

والشكر هو قلب المسيحية الحساس . ومهما أُعطينا من ثروة وكان لنا من دين أو علم ، وخلت هذه من الشكر ، فلا قيمة لها قطعاً بل قد تتحول الثروة بُطلاً والدين رياء والعلم انتفاخاً ، والحياة مُرة .

أما إذا ملأ الشكر قلوبنا وأكتفينا ورضينا ، ولو كنا فقراء ، وسررنا بنصيبنا ، ولو كان نصيب لعازر البلايا ، فتكون الحياة هادئة سعيدة .

أما غير الشاكر فإنه يكون ساخطاً على الحياة ، متشائماً ، أيامه همّ وأوقاته غم . يقول سليمان الحكيم : « الغم فى قلب الرجل يحنيه والكلمة الطيبة تفرحه » (أم١٢:٢٥) .

أما الشكور فقلبه فرح « والقلب الفرحان يطيب الجسم » (أم٧:٢٢) القلب الفرحان يجعل الوجه طلقاً ، والفم مبتسماً ، والأمل واسعاً « لأن طيب القلب وليمة دائمة » (أم١٥:١٥) . يتألق وجه الشاكرين بضياء من السعادة . الشكر يحمل جزاءه معه . النفس الشاكرة هى النفس السعيدة يقول المرنم « حسنٌ هو الحمد للرب » (مز٩٢:١) . إن طريق الشكر يقودنا من مواطن التذمر والشكوى إلى أماكن الترنم والهتاف . إن طريق الشكر هو الطريق الذى يخرجنا من الحقد والحسد . طريق الشكر هو طريق السلام والهناء والنجاح فى الحياة المسيحية .

ثم إن النفس الشاكرة تتمتع بجمال الذاكرة القوية . إن الذى يشكر يدل على أنه يذكر ويُحسن التفكير . فكر فى عطايا الله الكثيرة ، ثم أشكره على هذه العطايا وطريق الشكر هو الطريق السلطانى الذى استعمله الرب يسوع ، فكانت أكثر صلواته شكراً ، فهل تذكر مراحمه فتشكر . بولس وسيلا كانت أرجلهما فى المقطرة فى السجن

الداخلى ؛ ومع ذلك كان يسبحان الله . قد تجد شخصاً من الناس تحيط به بركات الله وتفيض عليه ، ولكن لأن أفكاره متجهة نحو ما ينقصه وما يشتهيه فإنك تجده دائماً متذمراً شاكياً ، بدلاً من أن يكون حامداً شاكراً . بينما بجواره آخر فقير ، مضروب بالأمراض ، كثيرا الآلام ، ومع ذلك تجده متهللا شاكراً كل حين .

كان مؤمن تقى قد أصيب بأمراض خطيرة وعملت له عمليات كثيرة ، إلى أن قطعت ذراعاه وقدماه . ماذا ينتظر من شخص كهذا ؟ عوض أن ييئس ويتذمر ، سلّم وشكر . كانوا يخرجونه كل يوم خارج كوخه الحقير ، فيصرف وقتاً فى تلاوة بعض الآيات الكتابية ويرنم بعض الترانيم الدينية ، فتعجب أحدهم من تصرفه هذا ، وسأله : كيف ترنم وأنت مقطوع الذراعين والقدمين ؟ علامَ ترنم ؟ أجابه : وكيف لا أشكر وأرنم وقد أعطانى الله قلباً به أشكره ولساناً به أذكره ؟

هل فكرت أن تشكر الله على صحتك بين المرضى ؟ وعلى شبعك ساعة الجوع ؟ وعلى خيرك حين يتربص الشقاء والألم والتعاسة والحرمان والمذلة بملايين من أفاضل البشر ؟ فلنشكر الله على البركات الزمنية ، فجميعنا لنا من هذه البركات ما يجب أن نشكر الله عليها .

صلى أحد القديسين قائلاً : أعنى يارب لأحمدك . إننى فقير ، فأعنى لأحمدك بالقناعة ، إننى مريض فساعدنى لكى أحمدك بالصبر ، إن لى وقتاً فساعدنى يارب لكى أفتديه لخدمة مجدك ، إن لى قلباً يشعر فهبه ألا يشعر إلا بمحبتك ولا يلتهب إلا بذكرك وشكرك .

ثم يجب أن نشكر من أعماق القلب على البركات الروحية « الذى لم يُشفق على ابنه بل بذله من أجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء » (رو٨:٣٥) « كل شيء لكم » (١كو٣:٢١) بركة الغفران والتبنى والتقديس والتمجيد .

إن مجرد التأمل فى هذه البركات يملأ قلوبنا بالفرح والبهجة . ثم يجب أن نشكر حتى فى أوقات الظلام والآلام . لنشكر فى جميع الظروف المحيطة بنا ، الصعبة منها والسهلة الحلوة والمرة . إن المؤمن المتصل بالله لا يمكن أن تحل به نازلة مهما كانت شديدة الوطأة إلا ويجد لها حمداً يرفعه لله .

إن الإيمان يجعلنا نثق بعناية الله التى تحول كل شيء للخير . الإيمان بمواعيد الله وحكمته ومحبته يجعلنا نشكر ونفرح دوماً ونرتقى فوق الهموم « شاكرين كل حين على كل شيء فى اسم ربنا يسوع المسيح » (أف٥:٢٠) .

متى حل المسيح فى بيوتنا وملأ قلوبنا نستطيع أن نشكر فى ظلام الليل وفى ضوء النهار .. نستطيع أن نترنم فى الصحة والمرض ، فى الجوع والشبع ، فى الضيق والفرح .. نستطيع أن نرتفع فوق كل الظروف ، حامدين شاكرين . بدلاً من أن نشكو يجب علينا أن نشكر ، فلا نكن كشاول الذى يحمل الرمح على الدوام للطعن والضرب والنزال . بل يجب أن نكون كداود الذى يحمل العود والقيثارة ، لأن فى الطعن والنزال شقاء ، وفى الشكر والترنم شفاء . ولا توجد قوة فى الوجود تعادل قوة البهجة والفرح ، لأن فرح الرب هو قوتنا . ومتى شكرنا الله على القليل الذى عندنا زادنا من الكثير الذى عنده ، لأن مراحمه كثيرة تتجدد لكل قلب غمرته النعمة وساده الشكر .

قال أحد دارسى طباع الطيور إن عصفور الكنارى يُدركه عمى البصر فى السنة الرابعة من عمره ، ومن عادة هذا العصفور أنه لا يكف عن التغريد كل أيام حياته ، حتى عندما يفقد بصره لا يكف عن التغريد ليل نهار ، لأن عمى بصره ساوى عنده الليل بالنهار ، فجعل كل حياته ليلاً قاتماً . ولكنه بتغريده يحيل هذا الليل المظلم إلى نهار دائم ، فيغرد ولا يكف عن التغريد حتى بعد أن فقد بصره .

فما أحوجنا إلى أن نتعلم نعمة الحمد والتغريد ، وأن نتقن فن الغناء والشكر والتمجيد ، شاكرين ومترنمين على الدوام بمراحم الرب التى هى جديدة علينا كل صباح . ولنعلم أنه ليس كل شكر شكراً ولو كان له صورة الشكر . ومن ذلك :

١ ــ شكر البر الذاتى (الأنانى) :

ظاهره شكر وباطنه كفر ، والدافع إليه الكبرياء . شكر الفريسى « اللهم أشكرك لأنى لست مثل باقى الناس » . صاحبه أسوأ من مادح نفسه . إنه لا يرفع لله حمده بل يترفع عليه بقلبه . أمثال هذا وثنيون ، يحرقون بخور شكرهم على مذابح ذاتيتهم . فلا كان برهم ولا كان شكرهم .

٢ ــ الشكر العقيم :

من فم صاحبه لينه ، منه وإليه ، لا يستفيد غيره منه . يسمع بالمتألمين المعوزين فيقبل يده شكراً ويرفع كفيه حمداً ، لكنه لا يقبل على البؤساء لمواساتهم ، ولا يفتقد المتضايقين لتفريج كربتهم ، ولا يبسط يده لمساعدتهم . فهل هذا شكر يرضاه الله ؟

٣ ــ الشكر المتزعزع :

وهو المعلق على الظروف الموافقة والأحوال المناسبة . وما أكثر الذين تدعوهم الظروف إلى الشكر فلا يشكرون . الشكر المرهون بالظروف الملائمة يشبه بقطينة يونان

سرعان ما يخون وسرعان ما يصبح فى خبر كان . فبينما نكون شاكرين ، تتغير الأسباب فتنقلب ساخطين متذمرين .

٤ ـــ أما أفضل الشكر فهو غير المتزعزع :

لأن أساسه راسخ .. شكر ينبض به القلب المتجدد بالنعمة ، وتردده النفس الطاهرة بفاعلية الروح القدس وتظهره حياة المسيح فينا ، شكر مولده الجلجثة ، وفخره الصليب ، وغايته مجد المسيح .. شكر تسكبه النعمة على شفاهنا ويزكيه الروح القدس فى قلوبنا فيستحيل جزءاً من كياننا ، فلا نكون إلا شاكرين .

فى الوقت الذى علَم فيه دانيال بتوقيع الكتابة ضده لطرحه فى جب الأسود ، صلى وحمد قدام إلهه ثلاثة مرات ـــ وما هى إلا ليلة واحدة يسامره فيها الملاك ، وقد سد أفواه الأسود ، وفى صباحها يكرمه الملك ويرقيه .

وكمؤمنين يجب أن نشكر بنوع خاص فى الظروف التي يرى غيرنا أنها لا تستدعى الشكر . فإن تكن الظروف آكلة بل مهلكة ، فلنشكر لأن الله يخرج لنا من الآكل أكلاً ومن الجافى حلاوة .

إن ما نناله عن طريق الظروف المعاكسة والتجارب المتنوعة لا نناله فى الظروف الموافقة والأحوال المريحة . إن الظروف والحالات التى يُرى عديمة الإيمان أو ضعيفة أنها لا تستوجب الشكر يراها بطل الإيمان تستدعى شكراً ، وتستدعى فخراً ، بل نفتخر أيضاً فى الضيقات ولا يمكن أن تحل بالمؤمن تجربة ، مهما كانت شديدة الوطأة ، إلا ويجد فيها حمداً يرفعه إلى الله .

ومما يزيدنا شكراً أيضاً التأمل فى حياة مخلصنا ، له المجد . فإنه كان شكوراً طيلة حياته على الأرض . فلما بارك الخمس خبزات شكر ، وبعد الشكر طلب البركة . وأمام قبر لعازر نراه واقفاً لا راثياً بل شاكراً ، وبعد الشكر القيامة .

كان بينه وبين الصليب خطوة ، ومن تلاميذه من يغدر به ومن يهجر ومن ينكر ، ومع ذلك يأخذ الخبز ويشكر لأجل جسده المكسور ، ويأخذ الكأس ويشكر لأجل دمه المسفوك .

فما أحوجنا أن نتأمل فى هذا المثل الأعلى ! بهذه كلها بواعث تدفعنا لنحيا حياة الشكر ، فنستطيع أن نشكر كل حين على كل شيء فى اسم ربنا يسوع المسيح الذى له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

خبز الحياة

أنا هو خبز الحياة (يو ٦ : ٣٥) .

قام السيد المسيح مقتدرا ، كما قام منتصرا علي الشيطان ذاك الذى كان بيده سلطان الموت ، وعلى الخطيئة التى أجرتها موت ، وعلى الهاوية ليخلص منها من كانوا تحت حكم الموت ، وعلى الموت نفسه فصيره حياة وربحا .

وظل يظهر لتلاميذه بعد قيامته ببراهين كثيرة مدة أربعين يوما وكان يحضر فى وسطهم والأبواب مغلقة ، ويرأس اجتماعاتهم بعد أن وثقوا فى قيامته إذ رأته عيونهم وسمعته آذانهم . وظل المسيح حاضرا مع كنيسته الأولى . وهكذا يظل حاضرا الى الأبد . حسب وعده القائل : ها أنا معكم كل الأيام — والى انقضاء الدهر الأمر الذى من أجله تقدمه الكنيسة فى أيام الخمسين المقدسة بجسده ودمه الأقدسين المرفوعين على مذبح الله يسوع المسيح الذى تقدمه الكنيسة فى إنجيل هذا الصباح المبارك هو خبز الحياة .

إن القيامة والحياة مترادفان متلازمان . فالمسيح القائم من الأموات صار قيامتنا نحن الذين كنا أمواتاً بالخطايا . فأقامنا معه وهكذا صار لنا حياة بعد زمان موت . فالمسيحى الحقيقى هو الذى لا يحيا بذاته ، بل يحيا بالمسيح لى الحياة هى المسيح . وهذه الحياة التى لنا فى المسيح هى حياة جديدة . كما يسميها القديس بولس الرسول . « جدة الحياة » هى غير الحياة القديمة التى قبل قيامة المسيح . وبنعمة الله وارشاده نتكلم عن النقط الآتية :

١ — خبز الحياة :

هذه الحياة الجديدة التى دخلت الى عالمنا ، وأظهرت لنا بعد إن كانت عند الآب وفيه . الحياة بحسب المسيح . أو حياة المسيح كما نراها فى الانجيل هى التى وهبها لنا المسيح بقيامته ، بجسده الحى . وان كنا نعلم ان كل ما عمله المسيح له المجد عمله لحسابنا فبالأولى جداً تكون قوة القيامة لنا ونحن فى شدة احتياجنا إذ كنا جالسين فى الظلمة وظلال الموت . المسيح هنا لا يعطى وصايا . لم ينفع الذين سمعوها من قبل . المسيح لا ينادى بمبادىء وشعارات يظل سامعوها فى عجزهم لا يستطيع أحد أن يحقق شيئاً منها . ولكن المسيح اليوم يعطى نفسه . يعطى حسب القائم من الأموات الواهب حياة أبدية . المسيح اليوم يعطى قوة قيامته ونصرته على الموت ليس بالكلام ولا بالعظات ولا بالوصايا ولكن

يقدمه خبز الحياة لمن يريد أن يأكل الحياة ويرتبط بها الى الأبد . المسيح يقدم الحياة الأبدية التى فيه لكى تدخل فى الانسان فلا يموت ولا يقوى عليه قوة الموت ولا خوفه يقدم الحياة الأبدية مأكل حق ومشرب حق .

هنا يبدو واضحا إن ما يقدمه المسيح القائم من الموت يختلف اختلافاً جذرياً عن كل ما قدمه الأنبياء والآباء قديماً لأن المسيح يقدم ذاته .

٢ ـــ كيف يعطينا جسده لنأكله :

ما أعجب موقف الرافضين لسخاء نعمة ربنا وكرم محبته فبدلا من أن يمجدوه كإله ، حمقوا فى ذهنهم . هكذا خاصم اليهود . بعضهم بعضاً قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله ؟ مع المسيح الحى القائم من الأموات لا يوجد مكان لكلمة كيف . فإلهنا إله المستحيل لأن كل شىء مستطاع لديه . هل من المعقول ان نقارن الروحيات ونحكم عليها بالجسديات ؟ إن الروح يفحص كل شىء ، والروحانى يحكمه فى كل شىء . أما الجسديون فيعثرون فى فخاخ وشكوك للهلاك . إيماننا بالمسيح مبنى على ثقتنا الكاملة فى قدرته الالهية غير المحدودة . يسوع المسيح قال : الخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله . يسوع المسيح قال لجماعة اليهود : إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة . يسوع المسيح قال لتلاميذه خذوا كلوا هذا هو جسدى . ماذا بعد ذلك . هل نقول مع جماعة اليهود كيف ؟

٣ ـــ ليس كما أكل آباؤكم المن فى البرية وماتوا :

الآباء الأولين أكلوا الطعام الروحى . المن السماوى . أكلوه جسديا . إذ كانوا خاضعين للجسد ومحصورين فيه . فلم يفدهم شىء . بل طرحت جثثهم فى القفر وبأكثرهم لم يسر الله . المسيح يريدنا اليوم ان نتفاعل معه ونقترب الى خبز الحياة بروح الايمان لنناله كل يوم جديداً على المذبح . ونلتقط بكيل الروح ، الذى لا يقاس بمقاييس العالم ما يكفى لحياتنا . ونحن نسلك فى برية وقفار هذا العالم فى مسيرتنا نحو كنعان ميراثنا الأبدى . أكل الفصح كان لآبائنا احتماء من موت المهلك . وأكل المن كان لحفظ حياتهم فى برية مميتة وجفاف رهيب . وأكلنا من جسد المسيح ليس لحمايةحياة جسدية . بل لاستبقاء حياة أبدية وسؤال ضمير صالح أمام الله .

٤ ـــ كلما أكلتم من الخبز تخبرون بموت الرب وتبشرون بقيامته :

هكذا نردد فى القداس . ومن المفروض على المسيحيين الحقيقيين أن يذكروا موت

الفادى على خشبة الصليب فى أيام غربتهم ، وفقا لوصية الرب التى تركها للكنيسة . فأكلنا من خبز الحياة يتحول فينا الى قوة موت ، وايضا قوة حياة ، موت عن العالم ، موت عن الشهوات . ان اعثرتك عينك ، أو يدك أو رجلك اقلعها أو اقطعها . إنها قوة الصليب. قوة رهيبة للكف عن الشر. احسبوا انفسكم أمواتا عن الخطية . وأيضاً قوة جديدة . فالمسيحية ليست ان نكف عن الشر فى سلبية . بل أن نعمل بقوة بحسب روح القيامة فى إيجابية لم يعرفها العالم . معنى التبشير بقيامة المسيح يكون على نفس مستوى عطاء المسيح فى بذل ذاته وكسر جسده من أجل الآخرين . فكلما أكلنا خبز الحياة ، خبز القيامة حصلنا على قوة الكرازة بموت المسيح وقيامته ، ليس بالكلام ، ولكن بالعمل والحق . أى تصير فينا إمكانية ان نموت من أجل كل أحد . ونبذل أنفسنا فى حب . مذبوح كل يوم . وكلما بذلنا أنفسنا للموت من أجل الآخرين . نقام بالأكثر بقوة قيامة مذهلة . وهكذا تتجدد حياتنا كل يوم فى موت وبذل ، ثم قيامة بقوة أعظم .

٥ ــ الاتحاد بالله :

إن غاية المسيح عندما أعطانا لنأكل ، هى أن نتحد به ونصير واحدا معه ، فتسرى فينا قوة قيامته الى أبد الآبدين . لا يقوى علينا موت فيما بعد . فالتناول من جسد المسيح يوحدنا به بروح قيامته . بدون أكل جسد المسيح لا يصير إتحاد بالمسيح . بل إن اشتراكنا فى جسد المسيح الواحد كخبز حياة هو التفسير العملى لوحدانيتنا كأعضاء بعضنا لبعض . إذ تسرى فينا عصارة حياة واحدة فى المسيح يسوع .

٦ ــ السر وعلاقته بحياتنا الروحية :

ان الذى يعلمنا السيد فى خطابه للتلاميذ هو أن طالب الحياة لا يغنيه شيء عن هذا الينبوع العذب . فهو إن مارس جميع وسائط النعمة وأغفل التناول من جسد الرب ودمه الأقدسين . فلن تغنيه تلك الوسائط جميعها عن البركة التى ينالها من التناول .. حيث قال يسوع « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو ٦ : ٥٣) . ولإلهنا المجد والاكرام والسجود من الآن والى الأبد آمين .

التلمذة والتعلم

ان ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى (يو ٨ : ٣١) .

ان الحياة المسيحية هى حياة تلمذة . وكل الذين آمنوا بالمسيح تسموا تلاميذ للرب . والسيد المسيح لما ألقى العظة على الجبل القاها لتلاميذه إذ يقول الكتاب : « تقدم اليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلا » (مت ٥ : ١ــ٢) . والذين آمنوا عن طريق يوحنا المعمدان . تسموا تلاميذ يوحنا . والسيد المسيح ، لما أرسل الرسل ، قال لهم : « اذهبوا ، وتلمذوا جميع الأمم . ذلك ان الحياة المسيحية هى حياة تلمذة ، فالمولود أعمى عندما دافع عن المسيح قالوا له . انك تريد ان تصير له تلميذاً . بل انهم شتموه وقالوا له : أنت تلميذ ذاك ، ونحن تلاميذ موسى .

ان الذى يتبع المسيح ، هو تلميذه ، وفى عهد الرسل يقول الكتاب كان عدد التلاميذ يتكاثر جداً بمعنى عدد المؤمنين . مفروض ان الانسان يتتلمذ على حياة المسيح ، والتلمذة ليس معناها ان تسمع محاضرات وكلاماً أو دروساً . إنما التلمذة معناها انك تتلمذ على حياة وتعاليم تمتصها وتعيش فيها . وليس مجرد سماع فقط . فكل المؤمنين يسمعون الانجيل فى القداسات والصلوات ، لكن هل بهذا صاروا تلاميذ للمسيح ، للإجابة على هذا السؤال ، نبحث الشروط . فإن المسيح قد أعطى شروطاً معينة للتلمذة . اذ قال فى يوحنا « ان ثبتم فى كلامى فبالحقيقة أنتم تلاميذى » (يو ٨ : ٣١) بمعنى انه ليس لمجرد سماع كلامه انك صرت تلميذاً له . لكن المهم ان تثبت فى هذا الكلام وتتدرب عليه وتحوله الى حياة . هذه هى التلمذة . والمسيح أيضاً يقول أن هناك أنواعا من الناس لا يمكن أن يكونوا تلاميذ له منهم :

١ ــ من لا يترك أباه وأمه .
٢ ــ من يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء .
٣ ــ الذى لا ينكر ذاته ولا يحمل صليبه .

التلمذة اذن ليس معناها مجرد ان تسمع كلاما . فان لم تنكر ذاتك وتحمل صليبك وتترك كل شىء من أجل المسيح لا تستطيع أن تكون له تلميذا . ويضع المسيح قاعدة أخرى أمام الرسل ــ للتلمذة ــ حين يقول لهم بهذا يعرف أنكم تلاميذى ، ان كان لكم

حب بعضكم نحو بعض . والتلمذة اذن حياة معينة ، يتتلمذ فيها الانسان على تعاليم وعلى وصايا ، ويقتبس شيئاً ليحيا به .

يعلمنا إنجيل قداس هذا اليوم تعليماً معزياً وضع عن الحرية الروحية التى لتلاميذ المسيح ، قصد به تشجيع أولئك اليهود الذين آمنوا . فالمسيح إذ علم ان تعليمه قد بدأ يعمل فى بعض سامعيه ، وأدرك أن قوة خرجت منه ، حول حديثه من الفريسيين المتغطرسين ، ووجهه الى أولئك المؤمنين الضعفاء . عندما نطق بالغضب على الذين قسوا قلوبهم فى عدم الإيمان تكلم بالتعزية لليهود القليلين الضعفاء الذين آمنوا به . وهنا نرى كيف ينظر الرب يسوع نظره عطف للمرتعدين من كلامه » (اش ٦٦ : ٥) . المستعدين لقبوله . إن لديه ما يقوله لمن لهم آذان مستعدة أن تسمع . عندما يكون الايمان فى طفولته يعد له المسيح « الركب لتعينه ، والثدى لترضعه ، لكى لا يموت من الرحم » (أى ٣ : ١١ ، ١٢) . وفيما قاله لهم المسيح نجد أمرين يقولهما لكل الذين يؤمنون فى كل الأجيال . صفات تلميذ المسيح الحقيقى إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى » عندما آمنوا به كرسوا أنفسهم له ليكونوا تلاميذه . وإذ دخلوا مدرسته وضع هذه القاعدة الثابتة أنه لن يعترف بأحد تلميذاً له إلا من يثبت فى كلامه . هذه تتضمن أن هنالك كثيرين يعترفون بانهم تلاميذ للمسيح مع أنهم ليسوا بالحقيقة تلاميذ ، لكنهم أشباه تلاميذ ، تلاميذ بالاسم فقط .

إن الذين يثبتون فى كلام المسيح هم فقط الذين يقبلون كتلاميذه بالحقيقة ، الذين يلتصقون بكلمته فى كل ظروف الحياة بدون تحيز ، ويتمسكون بها الى النهاية بدون ارتداد . وامتيازات تلميذ المسيح الحقيقى انه يعرف الحق الذى يلزمه معرفته ويفيده ، ويزداد ثباتاً فى الإيمان به . إن أولاد الله ليسوا إلا أطفالاً ، ويفهمون ويتكلمون كأطفال . إن الحق الذى يعلمه المسيح يهدف الى تحرير الناس (إش ٦١ : ١) . إن حق الإنجيل يحررنا من نير الناموس . إنه يحررنا من أعدائنا الروحيين . كيف أعثر هذا التعليم اليهود السالكين حسب الجسد ، وكيف اعترضوا عليه . بالرغم من أنه كان تعليما أتى بأنباء سارة عن الحرية للاسرى . ما الذى احتجوا عليه . نظراً لأن المسيح أشار الى أنهم فى حاجة الى الحرية فقد قالوا إننا ذرية ابراهيم ولقد كان ابراهيم رئيساً وعظيماً . جرت العادة ان تفتخر الأسر العاطلة الخاملة الذكر بامجاد أسلافها ، وأن تستمد مجداً من اسمهم الذى يجلب عليها العار ، كما فعل اليهود . إنها غلطة شائعة وحماقة ممن لهم آباء أتقياء وثقافة دينية ان يعتمدوا على امتيازاتهم ، ويفتخروا بها . كأنها تكفر عن عدم توفر القداسة الحقيقية لهم . لقد كانوا ذرية

ابراهيم . ولكن ماذا أفادهم ؟ هذا إن كنا قد وجدنا أحدهم فى الجحيم يدعوا ابراهيم أباً »
(لو ١٦ : ٢٤) ؟

إن النعمة المُخلصة لا تنتقل إلينا بالميراث . إننا لم نستعبد لأحد قط كيف كان هذا الادعاء كاذباً كذب مفضوح . ألم تستعبد ذرية ابراهيم للمصريين ؟ ألم يستعبدوا مراراً للأمم المجاورة أيام القضاة ؟ ألم يسبوا سبعين سنة فى بابل ؟ بل ألم يكونوا فى ذلك الوقت خاضعين لنير الرومانيين . توضيح المسيح لتعليمه هذا إزاء هذه الاعتراضات أو تفسيره له حيث قدم أربعة أمور .

١ ـــ لقد بين أنهم رغم حرياتهم المدنية أو عضويتهم المنظورة فى الكنيسة ، يمكن أن يكونوا فى حالة عبودية . كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية حتى وإن كان من ذرية ابراهيم ، ولم يستعبد لأحد قط . « لا إنسان صديق فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطىء » (جا ٧ : ٢٠) . ومع ذلك فليس كل من يخطىء عبد للخطية ، وإلا كان الجميع عبيداً للخطية ، ولم يوجد بعد عبيد لله . لكن الكتاب يقول كل من يعمل الخطية ، كل من يختار الخطية كل من يفضل طريق الشر عن طريق القداسة (إر ٤٤ : ١٦ ـــ ١٧) . من يقطع عهداً مع الخطية من يدخل محالفاً معها ، ويقترن بها ، ويصنع تدبيراً لها ، ويصنع للجسد ، يخترع الشر ، ويتخذ الخطية عادة .

٢ ـــ وبين لهم أن وجود مكان لهم فى بيت الله وهم فى حالة العبودية لا يملكهم حق ميراث البنين طالما كانوا فى حالة العبودية لأن العبد لا يبقى فى البيت الى الأبد . فهو مجرد عبد ، حتى وإن بقى فى البيت وقتاً ما : ليس العبد وارثاً لأنه إنما يؤدى خدمة وقتية لا دائمة ، أما ابن العائلة فهو يبقى فى البيت الى الأبد . هذه تشير مبدئياً الى رفض الكنيسة اليهودية والأمة اليهودية . كان إسرائيل ابنا لله ، ابنه البكر . لكنهم إنحطوا الى حالة العبودية ، ولهذا فرغم اطمئنانهم بعضوية كنيستهم بفضل حقوق ميلادهم ، أخبرهم المسيح . إنهم إذ جعلوا أنفسهم عبيداً فلن يبقوا فى البيت إلى الأبد .

٣ ـــ وبين لهم طريقة التخلص من هذه العبودية الى « حرية مجد اولاد الله » (رو ٨ : ٢١) . إن حالة الذين استعبدوا للخطية محزنة جداً . لكن شكراً لله لأنها ليست ميئسة ؟ كما أن امتياز كل البنين فى البيت ، وسموهم عن الخدم ، هو أنهم يبقون فى البيت الى الأبد ، هكذا الابن البكر بين إخوة كثيرين ، الوارث لكل شىء له سلطان تحرير العبيد ، وسلطان الدعوة الى التبنى « ان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٦) . والذين يحررهم المسيح فبالحقيقة يكونون أحراراً .

٤ ـــ وطبق المسيح هذا على هؤلاء اليهود غير المؤمنين ، المتماحكين ، رداً على افتخارهم بعلاقتهم بابراهيم أنا عالم علم اليقين انكم ذرية ابراهيم . لكنكم تطلبون ان تقتلونى ، ولهذا فقد خسرتم شرف علاقتكم بابراهيم لأن كلامى لا موضع له فيكم إن المرائين المتغطرسين ، الذين يفتخرون بأجداهم وثقافتهم يدينهم الله من افواههم . إن السعى فى قتل أى انسان برىء جريمة شنيعة جداً ، أما السعى فى قتل ملك الملوك فقد كان جريمة لا يمكن التعبير عن شناعتها .

هنالك أشخاص كثيرون يتظاهرون بالدين مع أن كلام المسيح لا موضع له فيهم . إنهم لا يسمحون له بمكان فى قلوبهم لأنهم لا يحبونه . والشيطان يبذل كل جهده لكى ينزعه . نرى السيد المسيح له المجد واليهود على طرفى نقيض . هو يسعى لاقناعهم وتجديد حياتهم ، أما هو فإنهم يسعون لمناقضته ومقاومته . إنه يوضح الفرق بين إحساساته واحساساتهم ويتتبع أصله . أنا أتكلم بما رأيت عند أبىَ . وأنتم تعملون ما رأيتم عند ابيكم . نجده يتحدث عن أبوين . وهذان الأبوان هما : الله ، والشيطان . وبدون مناقضة كل منهما يختلف عن الآخر تمام الاختلاف . كان تعليم المسيح من السماء كان يتمشى مع المشورة الأزلية ومع الحكمة اللانهائية ، ومع مقاصد المحبة الأبدية . كانت أعمالهم من جهنم أنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم . عندما تعملون فواضح من هو الذى تشبهونه ، كما أن الطفل الذى ينشأ مع أبيه يتعلم كلام أبيه وطباعه ، وينشأ مثله بالتقليد كما بالمماثلة الطبيعية هكذا كان أولئك اليهود . فإنهم بمقاومتهم الخبيثة للمسيح وللانجيل تشبهوا بإبليس كأنهم قد أقاموه أمامهم كمثال يحتذون به . وكشف عن افتخارهم الباطل بعلاقتهم بابراهيم وبالله كأبويهم ورد عليهم . وبين بطل وكذب ادعاءاتهم . إذقال : إن أولاد ابراهيم يعملون أعمال ابراهيم ، لكنكم لا تعملون أعمال ابراهيم ، ولذلك فلستم أولاد ابراهيم . إن الذين يريدون أن يظهروا أنفسهم بأنهم ذرية ابراهيم يجب عليهم ليس فقط أن يكون لهم ايمان ابراهيم ، « بل ان يعملوا أعمال ابراهيم » (يع ١٢ : ٢١ ، ٢٢) .

يجب أن يلبوا دعوة الله كما فعل ابراهيم ،

يجب أن يضحوا بأعز ما لديهم من أجله .

يجب أن يكونوا غرباء ونزلاء فى هذا العالم ،

يجب أن يحتفظوا بعبادة الله فى عائلاتهم ،

ويسيروا دائماً أمام الله فى كمالهم » (تك ١٧ : ١) لأن هذه كانت هى أعمال ابراهيم .

فيجب علينا أن نهرب من الافتخار بالحسب والنسب حتى نعيش متمتعين بسلام الله الكامل بنعمة ربنا . الذى له المجد الى الأبد . آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من الخماسين المقدسة

نور العـــالـــم

« أنا هو نور العالم . من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة » (يو٨:١٢) .

إن حجر الزاوية فى المسيحية هو لاهوت المسيح . ولو سأل سائل : أين البراهين على أن المسيح هو ابن الله ؟ لكان الجواب بلا جدال : قيامته من بين الأموات ، لأنه تعين ابن الله بقوة قيامته . ومع هذا فإنه توجد براهين أخرى لا تقل أهمية عن هذا البرهان تتطلب منا التأمل والروية ، ومنها البرهان الذى طالما أغفلنا أهميته ، ألا وهو كلام المسيح نفسه . كثيراً ما نجد أن السيد المسيح يستعمل أقوالاً عن نفسه لا يمكننا أن نتفهم معانيها أو مراميها إلا إذا سلمنا بلاهوته . أما إذا لم يكن لنا هذا اليقين فإننا نحكم بأمر من اثنين : إما أن يكون خادعاً أو مخدوعاً ، وحاشا أن يكون كذلك .

وفى هذه الآية المقتبسة نجد السيد المسيح يخاطب الجمع فى الهيكل قائلاً : « أنا هو نور العالم » . فماذا يكون حكمك ؟ تقول أنه قول هراء وسخرية ما بعدها سخرية !! بل ضع هذه الكلمات على شفتى أعظم رجل شهدته الدنيا ، ثم لاحظ النتيجة المترتبة عليه . أقول تثير الضحك والاستخفاف ! بل تصور أن سقراط أحكم جيله قال : « أنا هو نور العالم » . أو دع بولس الرسول ، أو أى عقلية جبارة من معاصرى جيلنا المشهورين ، مهما كانت أعماله الهائلة أو اختراعاته النافعة ، يقول : « أنا هو نور العالم » . ثم لاحظ كيف تسقط مكانته أمامك بمجرد أن ينطق بهذه الكلمة . ومع هذا فإن نجاراً قروياً هو الذى فاه بها ، وهذا القول الخطير لم يقلل مثقال ذرة من قوة كلامه أو مكانته .

وعلى هذا الاعتبار لا يمكننا أن نغفل أهمية كلامه لأنه المقياس المضبوط والمعيار الصحيح الذى تقاس عليه حياتنا وتصرفاتنا فى هذه الحياة . بل هو الناموس الذى به نحاسب يوم الدين . هلموا إذن نشحذ أفكارنا لنفهم أسرار هذه الكلمة : أنا هو نور العالم . إننا نجد فيها ثلاث نقاط جديرة بالملاحظة :

« أنا هو نور العالم » . بأى الوسائل يمكن أن يقارن المسيح بالنور ؟ لنتأمل فيما يلى :

أولاً ــ الإرسالية التى جاء لينجزها :

ما هو عمل النور ؟ إنه يعلن الأشياء على حقيقتها ، ويجعل فى مقدور الإنسان إنجاز واجبات الحياة ومطالبها . هكذا جاء المسيح ليُنير العالم ، بل ليوضح للعالم أربعة أشياء :

١ ــ **جاء ليعلن الله** : إن الخطية حجبت الله عنا . وأصبح كل شىء ذا قيمة علمية نعرفه عن الله من قبيل الحدس والتخمين . بل إن معرفتنا عنه ، تعالى ، كانت جزئية سطحية . وهنا يتم قول السيد المسيح : « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر » (يو١:١٨) ، « الله الذى قال أن يُشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » (٢كو٤:٦) . إن الإنسان لفي احتياج إلى الله ، بل النفس البشرية لا تفتأ تصرخ طالبة الله . وهذا الاحتياج وتلك الصرخة لا تشبع إلا بالمسيح الذى هو النور ، الذى جاء ليعلن الله للإنسان .

٢ ــ **جاء ليعلن الإنسان على حقيقته** : قبل مجىء السيد المسيح كانت الظنون تهيم على وجهها عن الإنسان فيما يختص بطبيعته وأحواله . ففى العصور المتعاقبة والأجيال المتسلسلة . قامت ظنون خاطئة عن الإنسان ، كانت بعيدة كل البعد عن الحق ، فسلط عليها السيد المسيح نوره الكشاف فظهر الإنسان كما هو : ضالاً ، هالكاً ، خاطئاً ، لا حول له ولا قوة . تصور حجرة مكنوسة نظيفة ، ثم أغلقت أبوابها ونوافذها أسابيع أو شهوراً أو سنين ، ثم تصور النور ينساب عند فتح النوافذ إلى جميع أركانها . هكذا المسيح بناموس الحياة يفيض فى مكامن النفس وأفكار القلب بنوره القدسى ، وعندئذ يعلن للإنسان مقياس الحياة السامية ، فتتضاءل المقاييس البشرية إزاءه ، وتتضح للإنسان أيضاً حالته فى بعده وتيهه عن الله . لما جاء السيد المسيح تكشفت أمام الإنسان لأول مرة كل أدناسه وأرجاسه ، كل أدرانه وأوزاره فى بشاعتها ورهبتها ، وواجهته آثامه بصورتها الفظيعة .

٣ ــ **جاء ليعلن السماء** : قبل مجيئه كانت الآراء والظنون تخبط خبطاً عشوائياً حول حقيقة المستقبل وعلاقته بالحياة . ومثل هذه التخمينات وقع فى أشراكها من كانوا يتمسكون بالعهد القديم . لقد انسدل على المستقبل ستار كثيف ، فكانت أمنية البشرية

الضاربة فى بيداء الظنون والأوهام أن يأتى اليوم الذى فيه يوضع حد للمساوىء والآلام ويسود العدل والسلام . واليهود والأمم على السواء صعد صراخهم طالبين الخلاص وإكليل الحياة . لكن لم يتحقق هذا الرجاء إلا بمجيء السيد المسيح الذى أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل ، أورد الإنسان إلى جادة الصواب ، موضحاً له السبيل القويم إلى حياة سعيدة ينعدم منها كل ألم وعناء وتظللها السعادة والهناء . ولكن ليس هذا ما جاء المسيح لينجزه . لأنه لو وقف عند حد إعلان الله فى قداسته والإنسان فى نجاسته والنعيم فى سعادته لبقى الإنسان فى شقاوته وتعاسته ، تحرك الآمال فيه كوامن الألم ، لأنه حبيس الشك ، سجين اليأس . لذلك :

٤ ــ جاء السيد المسيح ليعلن لنا الطريق إلى الله والسماء : وبمجيئه قشع ظلام الخطية ومزق الستار الذى كان يحجب الله عنا ، مبيناً لنا الطريقة التى بها ينجو الخطاة من وزر آثامهم ، فاتحاً لهم الطريق المعُبد الذى يوصل إلى الحياة الأبدية . من هذا نرى أن هدف إرسالية السيد المسيح التى جاء لينجزها هنا إنما ليكون نور العالم . وهنا تعرض لنا الحقيقة الثانية فى هذا التصريح الخطير :

ثانياً ــ العمل الذى أتمه :

لقد رأينا فيما سلف ما جاء ليعمله . وهنا نتأمل فى حقيقة ما فعل . قد رأينا ماذا يعمل النور . إنه يعلن ويوضح . والآن نبحث فيما هو النور فى ذاته :

١ ــ النور مجانى : إننا ندفع ثمناً لأغلب حاجيات الحياة وضروراتها ، حتى النور الصناعى ندفع له ثمناً . أجل ، إن نور الشمس هبة سماوية مجانية تغمر الكون بحرارتها ونورها وتوزع ضياءها على العالم أجمع ــ لا فرق بين غنى وفقير . هكذا نور الإنجيل المبارك جاءنا فضلاً لا يطلب منا ثمناً من إذلال النفس لكنه بلا فضة وبلا ثمن .

٢ ــ النور الحلو : وفى هذا يقول الحكيم : « النور حلو وخير للعينين أن تنظر الشمس » (جا ١١:٧) . ما أعظم الفرق الذي يحدثه نور الشمس واحتجابه ! بل ما أعظم الانشراح والسرور الذى تحس به فى يوم مُشرق الديباجة مفغر الثغر ! بينما الانقباض يستولى علينا فى يوم عبوس مظلم ! وإذا ما احتجبت الشمس عنا فترة طويلة فما أعمق الفراغ الذى نحس به ، وما أجمل التقدير الذى يتولد فينا لدى عودتها إلينا !

وهذا هو الحال معنا بالتمام إزاء شمس البر الذى يوزع أشعة الغفران والسلام والعزاء والرجاء ، فائضاً فينا بفرح لا ينطق به ومجيد .

٣ ــ **النور عام وشامل** : من مشارق الأرض إلى مغاربها ، شمالاً وجنوباً ، هناك النور . وليس مكان على سطح الأرض إلا وينعم بنور الشمس ، ما لم يعيقه الإنسان . هكذا المسيح نور العالم . كان هو النور الحقيقى الذى يُنير كل إنسان آتياً إلى العالم . هو للجميع بدون إستثناء ، وليس هناك من يستطع أن ينتحل عذراً لعدم إمكانه التمتع بنوره .

٤ ــ **النور ضرورى** : إن العالم لا يمكن أن يحيا بدونه فهو عماد الحياة البشرية والحيوانية والنباتية . كما أن الأزهار والأشجار والأعشاب لا تنمو إلا به . انظر إلى حديقة ليلاً فى أيام الصيف ، ثم ألق عليها نظرة أخرى فى الصباح تتأكد أنه لولا النور ما كان الجمال والبهاء والصفاء . وبدون النور لا يمكن أن يسافر الإنسان ، لأن من يسلك فى الظلام يجر عليه أوخم العواقب . وهذا ينطبق على الأمور الروحية ، إذ أن حياتنا الروحية ، ونمونا ، وجمال الخصال ، وحسن السجايا ، لا نكتسبه إلا من المسيح نور العالم .

وعد جليل

« من يتبعنى لا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة » . الظلمة ، ماهى ؟

١ ــ **ظلمة الخطية** : هذا ما كان يعنيه إشعياء بالظلام الذى يغطى وجه الأرض والظلام الدامس الذى يغشى قلوب الناس وما كان يعنيه متى بالجالسين فى الظلمة . وكل هذا رمز للخطية التى تشوه معالم الحياة فتطمس الفكر والبصيرة والذهن والقلب .

٢ ــ **ظلمة الأحزان** : الأحزان ، أيا كان نوعها : أحزان المرض ، والفقر ، والموت .. كلها نشأت عن الخطية .

٣ ــ **ظلمة الشك** : إن المتاعب والشك تحلق فوق الكثير من الناس ، ولا يستطيعون لها حلاً أو يحيرون جواباً . يتساءلون لماذا كل هذه ، وكأنه يقتحمون طريقاً من الأشواك . فإلى الذين عذبتهم هذه الثلاثة ــ الخطية والحزن والشك ــ نقدم الوعد المتضمن فى هذه الآية الجليلة : « نور الحياة » . نعم ، فمهما كانت ظلمة الخطية حالكة فإن السيد المسيح يستطيع أن يقشعها . ومهما كانت الأحزان فإن السيد المسيح يستطيع أن يمزق أستارها ومهما كانت غيوم الشك فإنه يستطيع أن يطاردها فيبددها ويهب نور الحياة لتابعيه وذويه .

أ ــ **هذا النور فى متناولنا دائماً** : مع أن الشمس لا تضىء علينا دائماً بسبب ظلمة الليل ، إلا أن السيد المسيح ، شمس البر ، دائم الإشراق . وهو يريد أن يسكب علينا فيض هذا النور دائماً ، اللهّم إلا إذا رفضناه .

ب ــ **إنه كافٍ** : فى كل خطوة من خطوات الحياة تعترضنا الصعاب وتقف فى وجوهنا المتاعب ، لكن فى المسيح كفايتنا لأن قوته فى الضعف تكمل .

جـ ــ **إنه لا ينطفىء** : كل الأنوار الأخرى تنتهى . حتى الشمس نفسها يوماً ما ستغيب ولا تطلع فيما بعد . لكن الله إلهنا من الأزل وإلى الأبد هو ، « وهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب١٣:٨) . ذاك الذى أضاء حياة هابيل وأخنوخ وموسى وداود وبولس ويوحنا يضىء حياة أولاده الآن . ويحاول الناس فى عصرنا هذا ــ كما حاول غيرهم قديماً ــ أن يطفئوا هذا النور ، مثلهم فى ذلك مثل من يحاول أن يجفف مياه المحيط .

شــرط بســيط

« من يتبعنى » . مع أن المسيح هو نور العالم إلا أنه ليس كل واحد يتمتع بهذا النور ، إلا من يتبعه . وهنا نتساءل : ما معنى اتباع المسيح ، حتى لا نُحرم من هذه البركة ؟

١ ــ **يجب أن نؤمن بالنور ما دام لنا النور (يو١٢:٣٦)** : وكما يجب علينا أن نوفى هذا الشرط للتمتع بالنور الطبيعى ، هكذا الحال مع السيد المسيح ، لكى نتمتع بنوره يجب أن نوجه قلوبنا نحوه . وعلينا أن نسلم ذواتنا له بالتوبة ، ونفتح له أبواب قلوبنا ليدخل بنوره ، فيبدد كل ظلمة ، فنكون أبناء النور .

٢ ــ **يجب أن نسلك فى النور** : هل نحن متممون للشروط باتباعنا المسيح ؟ لاحظ قول السيد « من يتبعنى » . إن الأمر شخصى بين الفرد والمسيح . ليس من يتبع فلاناً أو علاناً بل المسيح . « وهذه هى الدينونة ، إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يو ٣:١٩) . « وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ونخبركم به : إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة . إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق » (١يو١:٥،٦) . لا يوجد سبيل بين وبين إما أن نكون فى النور أو فى الظلام . هل هنالك خطية فينا تجعلنا نوصد الباب دون المسيح والنور ؟ أنخاف إذا جاء لكى يطهرنا من خطية مدلله عزيزة علينا ، فنوصد كل النوافذ مثل ما يفعل النائم حتى لا يعاكسه النور ؟

لننتبه لأنفسنا حتى لا يحول أى شيء بيننا وبين النور . إن قذى صغير قد يعمى العين ، وخطية واحدة قد تحجب المسيح عنا . فيجب أن نسير فى النور كما هو فى النور ، ومهما يأتى علينا يكون خير . قد يهجم الظلام ، لكن نستطيع أن نقول : « إذا جلست فى الظلمة فالرب نور لى » (ميخا٧:٨) . « أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل » (أم٤:١٨) . ومهما اعترض طريقنا من عقبات فإننا سنتخطاها وندخل المدينة المكتوب عنها : « والمدينة لا تحتاج إلى الشمس والقمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والخروف سراجها » (رؤ ٢١:٢٣) . « فهلمَّ نسلك فى نور الرب » (إش ٢:٥) .

وله المجد دائماً

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من الخماسين المقدسة

ماء الحياة

من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد (يو ٤ : ١٤) .

مع قوة القيامة المجيدة ، التى ظفرت بالموت والهاوية وفتحت الفردوس المغلق وصرفت الحراس الملائكية ، وأعادت آدم وبنيه الى الأخدار السمائية ، ظل رب المجد مع كنيسته وشعبه مدة أربعين يوما ، وذلك بجسده الطاهر الأقدس ودمه الزاكى الأنفس .

وفى الأسبوع الماضى قدمت الكنيسة جسد المسيح باعتباره خبز الحياة وهى تقدم لنا اليوم دم المسيح باعتباره ماء الحياة . وفى حديث رب المجد مع المرأة السامرية ، قد كشف لنا عن اسرار إلهية وحكمة سماوية ، ذلك لأن كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً والماء الذى يعطيه هو فمن يشرب منه لا يعطش الى الأبد ، ونجد أنفسنا أمام مقارنة بين ماء هذا العالم الذى يشرب منه يعطش وماء الحياة الذى يشرب منه لا يعطش .

أولا ــ ماء هذا العالم يقع فى ثلاث صور :

١ ــ محبة المال :

ان محبة المال ماء ملح من يشرب منه يزداد عطشا ، والمحب لماله (وقد استعبد له) لا تقف أطماعه عند حد وفى سبيله يرتكب شروراً كثيرة ، والذى يبتغيه يضل عن الايمان ، ويطعن نفسه بأوجاع كثيرة والذى يعيش لأجله فقط فهو البائس والفقير والأعمى والعريان دون أن يعلم أن باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح . وان كان المال فى حسن استخدامه نعمة وطيدة ، ففى استعباده للانسان نقمة شديدة كالماء المالح من يشرب منه يعطش أيضاً .

٢ ــ محبة العالم :

هى أيضاً ماء ملح ان من يشرب منه يعطش . فأطماع هذا العالم وملذاته ومناهجه لا تصل الى حد ودائماً يطلب معها الانسان المزيد . وان كانت محبة العالم عداوة لله ، فليس فى العالم إلا شهوة العيون وشهوة الجسد وتعظم المعيشة والعالم يمضى وشهوته .

٣ ــ محبة الذات :

هى أيضا ماء ملح لا تعطى شبعا لقلب ولا ريا لنفس والمحب لذاته عدو للانسانية ،

والمجتمع الذى يعيش فيه اذ تسوده الكبرياء والانانية وأطماع الذات ليس لها حدود قال فيها أحد الحكماء : لو أوتى الانسان جبلا من ذهب لطلب حصاة للمزيد .

ثانياً ــ الماء الذى يعطيه السيد المسيح يقع فى ثلاث صور :

١ ــ الايمان :

قال رب المجد من آمن بى ... تجرى من بطنه أنهار ماء حى تنبع لحياة أبدية فالإيمان هو ماء الحياة الذى من يشرب منه لا يعطش والايمان هو عطية الله . بالنعمة أنتم مخلصون بالايمان . وهذا ليس منكم بل هو عطية الله وأنهار الإيمان يجريها الروح القدس فتشبع القلوب وتتغذى النفوس .

٢ ــ المحبة :

هى أيضاً ماء حى يروى النفس العطشى ، ويشبع القلب الجوعان لأن المحبة هى الله ــ والله محبة . ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله . وان كانت النفوس المتعطشة الى ماء الحياة تنال ريها ، كذلك النفوس المتعطشة الى المحبة تشبع منها وترتوى فهى جداول ماء ينبع لحياة الأبد .

٣ ــ الرجاء :

وهو ثالث الفضائل السمائية ، التى هى الايمان والمحبة والرجاء وان كان الرجاء سندا عظيماً مشبعا للنفوس ــ فالرجاء أيضاً صخرة روحية تتحطم عليها كل شدائد الحياة وشرور هذا العالم ، وهذا هو رجاؤنا الذى يشبعنا فى هذا العالم . اننا نترجى قيامة الأموات والحياة فى الدهر الآتى .

ثالثاً ــ ان كان خبز الحياة هو جسد المسيح الأقدس ، فدم المسيح أيضاً هو ماء الحياة الأنفس :

فعندما انفجر الجنب الطاهر المطعون ، من أثر الطعنة النجلاء ــ فاض بالماء والدم الذى صار لنا طهرا وخلاصا ونعمة وحياة أبدية لمن يتناول منه . أولئك الذين اغتسلوا بدمه ، وتطهروا بمائه أخذوا عربون الحياة الأبدية والرجاء السعيد . ولئن كان خبز الحياة (جسد المسيح) وماء الحياة (دم المسيح) الذى أخذناه باستحقاق محبته ، وعمل نعمته هو تاج بركات القيامة المجيد ، إلا أن هناك بركات أخرى نالها التلاميذ كنتيجة حتمية لهذه القيامة نذكر منها مايلى :

١ ــ أنه أعطاهم سلاما :

يسكن معهم ويدوم فيهم سلامى أعطيكم سلامى أترك لكم . وكان سلاما مثلث الصفات .

ا ــ فى السماء مع الله ب ــ فى القلب مع الضمير ــ جـ فى الناس مع العالم .

٢ ــ أعطاهم فرحا برؤيته :

فرح التلاميذ إذ رأوا الرب . وهو فرح مجيد لا يستطيع أحد أن ينزعه منهم .

٣ ــ أعطاهم بركة :

إذ وضع يديه عليهم وباركهم ــ روحيا ، وجسديا .

٤ ــ وأعطاهم سلطانا :

لقد نفخ فى وجوههم قائلا : اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم غفرت لهم ، ومن امسكتموها عليه أمسكت .

ويرز هذا السلطان فى نقطتين :

١ ــ غفران الخطايا وامساكها . ٢ ــ شفاء الأمراض واخراج الأرواح الشريرة .

٥ ــ أعطاهم إيمانا وتطويبا لهم :

مشيرا لهم عند حديث الشكر الذى كان لتوما بقوله : لأنك رأيتنى يا توما آمنت ــ طوبى للذين آمنوا ولم يروا . وكان يقصد تطويب ايمانهم .

٦ ــ أعطاهم كرازة :

كما أرسلنى الآب هكذا أرسلكم أنا . اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن .

٧ ــ وأعطاهم كرامة ومجداً :

من يكرمكم يكرمنى ومن يرذلكم يرذلنى ومن يرذلنى يرذل الذى أرسلنى . ومن سقاكم كأس ماء بارد لأنكم للمسيح ، الحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره .

رابعاً ــ ان هذا الماء حاضرا معنا كل حين :

فاذ هو معنا كل الأيام حتى انقضاء هذا الدهر . فمعنى هذا أن خبز الحياة وماء الحياة حاضران معنا ، فمن يقبل اليهما ، ويؤمن بهما ويأكل ويشرب منهما فيحيا الى الأبد . ولكن النبى يقول قديما شعبى عمل شرين ... تركنى أنا الينبوع الحى وحفر لنفسه آباراً مشققة لا تضبط ماء .

ان خبز الحياة ، وماء الحياة حاضران معنا كل حين فى كل كنيسة ، وفوق كل مذبح ، وليس عسيرا على أى مؤمن ان يحتويها كل حين ، اذا كان مستعدا ومهيئا لهما . فهلموا أيها الجياع والعطاش الى البر . الى خبز الحياة وماء الحياة فهو قائم أمامكم وحاضر بينكم اقبلوا تعالوا .. ومن يقبل اليه فلا يخرجه خارجاً .

خامساً ـــ ان فى هذا الماء عربون القيامة من الأموات :

قال السيد المسيح له المجد : (من يأكلنى يحيا بى) وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . إذن من خصائص القيامة فى اليوم الأخير ، أن يكون الانسان متزوداً بهذا الزاد الروحى لأنه هو روح وحياة . قال السيد له المجد : الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة فيكم وهو تحذير لمن لا يبالون به ويستهينون به ويباعدون أنفسهم عنه وذلك تطبيقا لقوله أيضاً لأن من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فيَّ وأنا أيضاً أثبت فيه . ان كان السيد المسيح الكرمة الحقيقية ونحن الأغصان فمن يثبت فى الكرمة يحيا الى الأبد . ولكن ان انفصل الغصن من الكرمة ييبس ويجف ويكون مصيره الحريق فلنقبل اليه بشوق طالبين منه نعمة وغفراناً ونوالا للحياة الأبدية . هذه بركات القيامة المجيدة التى تتمثل الآن فى افراح وطيدة وأعياد جديدة . وله المجد من الآن والى الأبد آمين .

ابن الله

لأنى قلت إنى ابن الله (يو ١٠ : ٣٦) .

لا يوجد سؤال يشغل أفكار الملايين من البشر كهذه الآية ولئلا يتوهم البعض ان ميلاد الرب يسوع الثانى بالجسد من العذراء القديسة مريم ، يناقض أو يتعارض مع ميلاده الأول الأزلى من الآب قبل كل الدهور ، فقد دعى ابن الله ، وذلك ليؤيد ويعزز ألوهيته ويؤكد أنه حقا الله ظهر فى الجسد . فلما أتى ملء الزمان نزل الكلمة القدوس من السماء ، فاتخذ لنفسه ناسوتاً من العذراء المطهرة بروح قدس الله ، وعاش مع الناس كفرد من الناس يجوع ويعطش ويتعب وينام . ويختلى بنفسه ليصلى ، فقد « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس ، واذ وجد فى الهيئة كإنسان ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب » (فى ٢ : ٧ — ٨) .

لقد وضع نفسه موضع الانسانية ، إذ أحب أن يكون بديلها فى دفع دينها للسماء كاملاً ، لذلك كان من الطبيعى أن يحمل كل آلامها ومتاعبها ، وتهفو نفسه لكل آمالها المضيعة وأمانيها ، ولذلك سمح بأن يكون إنساناً كاملاً فى كل شيء ما عدا الخطية ، فكان الانسان المعصوم من الخطية ، بخلاف هذا الجنس البشرى الذى غرق بأسره فى حمأة الخطية . من آدم لم يخل إنسان واحد من الخطية ، حتى أصحاب المثل العليا وقادة الفكر فى كل مراحل الإنسانية بل حتى أنبياؤها ودعاة الهداية فيها ، كانت تشوب حياتهم جميعاً شوائب الخطية . فمنهم من كذب ، ومنهم من قتل ، ومنهم من سمح للشهوة الجارفة ان تذهب بلبه ، ومنهم من احتضن الغضب ، أو الشهوة الدنسة ، ان تذهب حتى أفرخت الشهوة الآثمة فى قلبه ومنهم من عصى وصية خاصة بعثه الله بها ، وفى ذلك نسمع حديث رب السماء على لسان أشعياء النبى « أبوك الأول أخطأ ووسطاؤك عصوا علىّ » (اش ٤٣ : ٢٧) .

أما يسوع ، فمع أنه بناسوته كان إنساناً ، فقد كان خاليا من كل إثم ، نقياً من كل شائبة ، طاهراً من كل دنس ، لقد كان الانسان البرىء الذي أتى ليفتدى الانسانية المذنبة . ولقد سمعناه مرة يواجه البشرية المتمردة العاصية ، التى أحبها فأبغضته ، وأتى ليفتديها فعادته ، بكلمات لا يجرؤ وليد التراب أن يتفوه بها « من منكم يبكتنى على

خطية » (يو ٨ : ٤٦) . فتقف البشرية الجاحدة ، عاجزة عن أن تنسب إليه خطية ما . وشاهدنا أكثر من مرة كيف ان الروح النجس لم يكن ليحتمل دنو شخصه الطاهر القدوس . فسرعان ما كان يشعر بحلوله حتى تتملكه الرجفة ، فيصيح طالباً الرحمة (لو ٤ : ٣٣ — ٣٥) .

هذا هو الشخص العجيب الذى جمع الى ناسوته الكامل لاهوته الكامل ، ولم يكن يعرف الناس عنه انه ابن العلى ، وأن فيه كانت الحياة ، وأنه النور الذى ينير كل إنسان ، لأن أسرار السماء العليا أبعد من أن تلم بها كفاية الانسان ، لذلك حين سأل تلاميذه عن نفسه وأنتم من تقولون إنى أنا ... وأجابه بطرس أنت هو المسيح ابن الله الحى كان رده على ذلك : « طوبى لك يا سمعان بن يونا ، إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات » (مت ١٦ : ١٥ — ١٧) .

وهذه معرفتنا عن الله ، المعرفة التى أنار ابن الله بها بصيرتنا وأعلنها لنا فى أحاديثه الفريدة وتعاليمه الكاملة . فلماذا يدعى يسوع ابن الله ؟ ومن أين جاءت هذه التسمية ؟ لم يدعى يسوع ابن الله إبتداعا من المسيحيين ، ولا جهلاً بحقيقة وحدانية الله ، التى يفيض بها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، ولا شركا لآلهة أخرى مع الله الذى يدينون بوحدانيته ، وإنما قد دعى به من الرب نفسه قبل تجسده :

+ فقد قال النبى داود فى المزمور الثانى بعد أن تحدث عن الرب وعن مسيحه الرب قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ :٧) ، وأخبر ان الرب سيعطيه الأمم ميراثا لك واقاصى الأرض مُلكاً لك (مز ٢ : ٨) ثم أمر بعبادته اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق (مز ٢ : ١١ ، ١٢) . فمن هو الابن الذى سيرث الأمم ، ويمتلك أقاصى الأرض ، ويجب عبادته بخوف ، وان من يرفض عبادته يباد من الطريق ؟ أنه ليس بشرا ، لأن الرب قد قال : « أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر » (اش ٤٢ : ٨) ، ولكنه ابن الله ، يسوع المسيح ، الإله المتجسد .

+ وهو ما تساءل عنه الحكيم فى الأمثال (أم ٣٠ : ٤) من ثبت جميع أطراف الأرض . ما اسمه وما اسم ابنه ان عرفت ؟ والذى ثبت جميع اطراف الأرض هو الله ، وكان كهنة اليهود يقفون حيارى أمام السؤال الثانى عن ابنه ، لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون من هو ابنه وما اسمه ، ولكن فى ملء الزمان عرفنا أنه يسوع المسيح ان الله الذى أرسله مولوداً من امرأة .

+ وجبرائيل الملاك الذى بشر العذراء مرسلا من الله قال لها « انه يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) .

ولسنا نشك ان ما نطق به الملاك هو أمر الرب الذى حمله إلى العذراء ، كما لا نتصور ابداً جبرائيل تحدث عن نفسه أو أضاف كلمة من عنده ، ولكن الذى لا شك فيه ان يسوع المولود من العذراء بالجسد دعى من الله قبل تجسده ابن الله .

+ ونطقت اليصابات بالروح « فمن أين لى أن تأتى أم ربى اليَّ » (لو ١ : ٤٣) . ولنا ان نتساءل من أعلم اليصابات بهذا السر الخفى ؟ ومن الذى أعلن لها عندما وقفت العذراء فى مواجهتها وهى حبلى بالابن القدوس ، ولم تكن لتعلم بعد شيئاً عن هذا الحبل الإلهى ، ان الذى فى احشائها هو ربها ؟ ألم يكن هذا هو إعلان الله على لسان اليصابات أنه الإله المتجسد وبمعنى آخر ابن الله .

+ وأخيراً جاء يوحنا المعمدان شاهداً باعلان الله نفسه عن ابنه الحبيب مؤكد هذه التسمية عندما قال : « وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله » (يو ١ : ٣٤) ، لأنه رأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيا عليه . وصوت من السموات قائلا : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (مت ٣ : ١٦ ، ١٧) . واذا كان المتكلم من السماء هو الله ، فيكون الابن الحبيب الذى فى الاردن هو ابن الله .

فنحن لا نعدو الحقيقة ولا نخرج عن حدود الايمان بواحدانية الله عندما نقول ان يسوع المسيح هو ابن الله الموعود به والمدعو به من الله والذى شهد له الروح القدس على فم اليصابات وعلى لسان يوحنا المعمدان ، فهو الذى سبق فوعد بأنبيائه فى الكتب المقدسة عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد . وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا (رو ١ : ٢ — ٤) .

ومعنى هذه البنوة ، يختلف عن معناها فى المفهوم البشرى فهى ليست كبنوة البشر الجسدية التناسلية ، كما يحاول البعض أن يفسرها ، وإنما هى بنوة ذاتية ، تفيد وحدة الطبيعة والجوهر والصفات والإرادة ، كما قال السيد : « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) ، وكما قرر آباء مجمع نيقية (٣٦٨) سنة ٣٢٥ ، انه نور من نور ، اله حق من اله حق . مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر . وفى هذا : قال القديس يوحنا ذهبى الفم : « انه لم يكن زمان كان ابن الله غير موجود فيه .. بل انه ولد من الآب قبل الازل وهو أزلى : لأنه كما أنه لا يظهر شعاع الشمس بدون نور هكذا لم يكن الآب بدون الابن بل هما معاً أى فى الوقت نفسه كان الآب مع الابن كما أن النور هو من الشعاع . وكما اننا نضل اذا قلنا اننا

نعاين الشعاع أولا وبعده النور هكذا نضل أيضاً اذا اعتقدنا أنه وجد الآب أولا ثم بعده بزمان ولد الابن . كما أن دعوة الرب يسوع ابن الله تفيد التعادل والمساواة بين الله وبين يسوع أى أنهما واحد فى الجوهر واللاهوت « ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد » (يو ١٧ : ٢٢) .

كما دعى يسوع ابن الله نظراً لولادته من العذراء بطريقة غير بشرية وليس من زرع بشرى ، بل بروح الله . الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) . وفى حدود عقولنا البشرية وباللغة التى تدركها مشاعرنا ، كلمنا الله وعبر لنا عن ذاته لتحوط افهامنا معرفته ، لهذا نقرأ فى الكتب المقدسة ، ويكتب العلماء عن : وجه الله ، وعين الله ، ويد الله ، وفم الله ، وأصبع الله ، وما شاكل ذلك . ولم يفكر أحد مطلقا فى أعضاء جسدية للذات الإلهية ، بل نفهم على أن وجهه يعنى رضاه ، وعينه تعنى عنايته ، ويده أى قدرته . وهكذا يجب أن نفهم ان ابن الله ليست أكثر صعوبة من هذه التعبيرات والتشبيهات ، فينصرف التفكير ونأخذها بمعناها الروحى « أن الآب فىّ وأنا فيه » (يو ١٠ : ٣٨) . وللبنوة أكثر من معنى ، فقد استعملت كلمة ابن فى عدة مواضع بمعان مختلفة نذكر بعضا منها على سبيل المثال :

١ ـ الخلق :

كما قيل آدم ابن الله (لو ٣ : ٣٨) ، أى أن الله خلقه ، كما دعى البشر ابناء الله لأنه خالقهم . أليس أب واحد لكلينا . أليس اله واحد خلقنا (ملا ٢ : ١٠) .

٢ ـ الوطن :

كقول الكتاب بنو صهيون (مز ١٤٩ : ٢) ، وابنة أورشليم (صف ٣ : ١٤) وكما نقول نحن ابن مصر وأبناء النيل .

٣ ـ التلمذة :

كما قيل بنى الأنبياء (٢مل ٩ : ١٠) أى تلاميذ الأنبياء .

٤ ـ التبنى :

كما ذكر عن يسوع أنه ابن يوسف (لو ٣ : ٣٣) ، وان كان يوسف ليس أبا ليسوع ولكنه خطيب يوسف فقط حسب الناموس ، ولكن أعتبر مجازا أبا وأعتبر يسوع ابنا بالتبنى .

٥ ــ الايمان :

كما يقول الرسول « لأنكم جميعاً ابناء الله بالايمان بالمسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٦) فالمؤمنون نالوا البنوة بإيمانهم .

٦ ــ الصفة :

كما قيل أبناء النور (يو ١٢ : ٣٦) ، أبناء المعصية (كو ٣ : ٦) ، ابن السلام (لو ١٠ : ٦) .

وهذا يعنى ان هؤلاء قد اكتسبوا صفات النور أو المعصية أو السلام . فان كنا نقبل ونستعمل كلمة ابن بهذه المعانى وغيرها ، وهى لا تعنى أبداً ولادة جسدية بشرية ، فلماذا لا نتقبلها متى قيلت عن يسوع انه ابن الله ؟ ولماذا لا نتفهمها خارجا عن دائرة المعنى الحرفى الجسدى ؟ وعلى هذا يتبين لنا أن هناك :

+ بنوة حقيقية طبيعية هى بنوة يسوع لأنه من ذات الطبيعة الإلهية ومن ذات الجوهر الإلهى « وحل فيه كل ملء اللاهوت » (كو ٢ : ٩) وهو بهاء مجده ورسم جوهره (عب ١ : ٣) .

+ وبنوة مجازية بالنعمة والعطية لكل المؤمنين .

+ ابوة عامة لكل المخلوقات لأن الله خالقها وعلة وجودها ، ولأن البشر أصبحوا ابناء الله بالإيمان .

+ وأبوة خاصة هى أبوة الله الآب للابن يسوع المسيح . فبنوة يسوع لله هى غير بنوة البشر .

فالأولى حقيقية طبيعية ذاتية « المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٦) .

أما الثانية فهى معنوية لأن الله هو خالق البشر ومصدر وجودهم أليس هو أباك ومقتنيك . هو عملك وأنشأك (تث ٣٢ :٦) . وكقول الرسول : « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد » (أع ١٧ : ٢٨) . فالبشر ابناء لله باعتباره خالقهم ومصدر وجودهم والمعتنى بهم وفاديهم ، بينما يسوع ابن الله قد اشترك فى الخلق (عب ١ : ٢) ، (أم ٨ : ٣٠) وهو الذى صنع لنا الفداء . لهذا دعى الابن الوحيد الحبيب (مر ١٢ : ٦) الذى لا يشاركه أحد فى هذه البنوة . « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . ولو تركنا جانبا المنطق

والتفسير الذى اثبتنا به بما لا يدع مجالا للشك أن يسوع ابن الله هو الله ظهر فى الجسد . الأقنوم الثانى ، الواحد مع ابيه فى الجوهر . لوجدنا بين ايدينا الدليل المحسوس والبرهان العملى ان يسوع هو الإله المتجسد ، وذلك بدليل :

أولا ــ سلطانه المطلق :

فقد دفع الآب كل شيء فى يده (يو ٣ : ٣٥) ، عناصر الطبيعة خضعت لكلمته (مت ٨ : ٢٦ ، ٢٧) . الأرواح استغاثت واعترفت بسلطانه (لو ٤ : ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١) . الأمراض ذهبت والعاهات زالت بقدرته (مت ٨ : ١٥) ، (لو ٤ : ٣٩) .

ثانياً ــ براءته من الخطية :

فقد شملت الخطية جميع الجنس البشرى (رو ٥ : ١٢) ، إلا المسيح فقد شهدت له أنه قدوس الله (مر ١ : ٢٤) والأنبياء أخطأوا واستغفروا عن خطاياهم « أما يسوع فكان البار القدوس » (أع ٣ : ١٤) المولود بروح الله ، الذى تنزه عن الشر والخطية ، وأحب الخطاة ودعاهم الى القداسة ، وتحدى اليهود والعالم قائلا : من منكم يبكتنى على خطية (يو ٨ : ٤٦) ، لأنه بلا شر ولا دنس (عب ٧ : ٢٦) بل وله سلطان أن يغفر الخطايا

ثالثاً ــ إقامة الموتى :

فهو رب الحياة ، الذى بيده مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨) . ولهذا نادى ابن أرملة نايين فقام من نعشه ودفعه الى أمه (لو ٧ : ١٤ ــ ١٥) ودعا لعازر من القبر بعد أربعة أيام فقام ، وقال لهم حلوه ودعوه يمضى (يو ١١ : ٤٣ ، ٤٤) . وسيقيم الأموات فى اليوم الأخير « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء » (يو ٥ : ٢١) .

رابعاً ــ دينونة العالم :

فى ذلك اليوم عندما يقف أمامه الجميع فيعطى كل واحد حسب عمله ويميز بعضهم من بعض هؤلاء الى الملكوت وأولئك الى العذاب الأبدى (مت ٢٥ : ٣١ ــ ٤٦) . « لأنه العتيد ان يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته » (٢تى ٤ : ١) ، وذلك لأنه الابن صانع الفداء والخلاص لكل العالم ، لهذا الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن (يو ٥ : ٢٢) وعليه لابد اننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شراً » (٢كو ٥ : ١٠) .

خامساً ــ مجده الإلهى :

فقد أعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة (دا ٧ : ١٤) . ويقدم له السجود والأكرام لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (فى ٢ : ١٠) ، وهذا ما رآه يوحنا أيضاً فى السماء (رؤ ٥ : ٨ ، ٩) .

سادساً اكمال الناموس :

لم يأت ابن الله لينقض الناموس ، كما فهم البعض ، وإنما ليكمل الناموس ، ويسمو به فوق اللفظ وينتقل به من الحرف الى الروح ، وليعطى مفاهيم جديدة للشريعة التى عرفت على انها فروض وطقوس وغسلات وتطهيرات جسدية لا تفيد . فهو كصاحب الناموس صحح هذه الأوضاع ووضع مبادىء ملكوت السموات وشريعة الكمال ، عندما قيل : « سمعتم أنه قيل ... أما أنا فأقول » (مت ٥ : ٢١ ــ ٤٨) . وطهر هيكله من مغتصبيه ومدنسيه (مت ٢١ : ١٣) .

فان كان الله تعالى هو صاحب السلطان المطلق ، رب العالمين القدوس ، الذى يقيم ويحيى من الموت ، الديان الذى وحده له السجود والاكرام ، صاحب الناموس والشريعة ، رب الهيكل . ورأينا يسوع ابن الله له نفس السلطان والقدرة والقداسة والسجود والتقنين والتشريع . فهو إذاً رغم كل مكابرة الله ظهر فى الجسد ولو أنه دعى ابن الله . وله المجد الدائم الى دهر الدهور آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من الخماسين المقدسة

ابن الله

« أنت المسيح ابن الله الحى » (يو٦:٦٩) .

ينبغى أولاً أن نبين أن كلمة « ابن » لا تعنى هنا البنوة الجسدية ، فهذا مستحيل . ومن يتصور ذلك يضل ضلالاً مبيناً . فهى تطلق على معانى كثيرة غير المعنى الجسدى فنقول مثلاً « ابن العلم » و « ابن النيل » و « ابن مصر » و « ابن النعمة » وهكذا . إذن لفظ « ابن الله » لا تعنى أبداً المعنى الجسدى إنما تعنى « ذات الشىء » .

وهذا الاسم « ابن الله » هو أحد أسماء المسيح الكثيرة . فهو يدعى « ابن الله » و « ابن الإنسان » و « الله » و « الكلمة » و « عمانوئيل » . واسم « ابن الله » يُشير إلى لاهوته ، أو بمعنى آخر ، إلى طبيعته اللاهوتية . فإذ قد تجسد ورآه الناس بعيونهم كان لابد لهم أن يعرفوا أن ناسوته هو الظاهر لهم ، وأن لاهوته لا يُرى بالعين ، وإنما تشهد له أعماله وأقواله ومعجزاته وحياته . فهو يجمع فى شخصه معنى اللقبين « ابن الله » و « ابن الانسان » و « ابن الله » إشارة إلى لاهوته و « ابن الإنسان » إشارة إلى ناسوته . وكل ما يتعلق باللاهوت يُشير إليه لقب « ابن الله » وكل ما يتعلق بالناسوت يُشير إليه لقب « ابن الإنسان » . فعندما قابل الأعمى الذى فتح عينيه وأراد أن يعلن له لاهوته قال له « أتؤمن بابن الله » ولم يقل له « أتؤمن بابن الإنسان » . لكن عندما حضر إليه يهوذا ليسلمه قال له « يا يهوذا أبقبلة تسلم « ابن الإنسان » ولم يقل له أبقبله تسلم « ابن الله » لأن المسيح بحسب لاهوته وسلطانه ما كان يسمح لإنسان أن يسلمه أو يعتدى عليه ، لكن تنازلاً منه سمح بذلك لكى يتمم مقاصد الفداء . وكلمة « ابن » تعنى « المعادلة » و « المساواة » . فالكتاب المقدس يعلمنا أنه عندما شفى الرب يسوع المسيح الرجل المشلول منذ ٣٨ سنة ، أراد اليهود أن يقتلوه لأنه شُفىَ فى سبت . فأجابهم يسوع قائلاً : « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » . « أبى » و « أنا » . أى أنه ساوى نفسه بالآب . وقد فهم اليهود قصده جيداً ، كما يذكر ذلك الكتاب قائلاً : « فمن أجل ذلك كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه ، معادلاً نفسه بالله » (يو٥:١٨) . وقد صدق يسوع على فهمهم هذا فاستطرد يقول : « لأنه كما أن الآب يُقيم الأموات

ويحيى كذلك الابن أيضاً يُحيى من يشاء » (يو٥:٢١) . ونحن نعلم أن الذى له السلطان لكى يُحيى من يشاء هو الله وحده . فكما أن أقنوم الآب له هذا السلطان هكذا أقنوم الابن له نفس السلطان . إذن كلمة « ابن » تعنى المساواة والمعادلة .

كذلك كلمة « ابن » تعنى « ذات الشيء أو عين الشيء » كقول الكتاب : « ليس الله إنساناً فيكذب أو ابن إنسان فيندم » (عدد٢٣:١٩) . وواضح هنا أن « ابن إنسان » هو « إنسان » وهكذا « ابن الله » هو « الله » .

ولئلا يظن البعض أن لقب « ابن الله » أقل شأناً من لقب « الله » حرص الوحى على أن يذكر فى كثير من المواضع أن يسوع المسيح هو « الله » . ولنبين ذلك : « فى البدء كان الكلمة . وكان الكلمة عند الله . وكان الكلمة الله » (يو١:١) .

فى « البدء كان الكلمة » ولنلاحظ أولا أن « الكلمة » لقب آخر من ألقاب المسيح له دلالة رائعة فالكلمة هى وسيلة التخاطب والتفاهم بين الناس . ولما كان المسيح بتجسده وظهوره كإنسان واسطة التفاهم بين الله والناس ، فقد دعى « الكلمة » . وهذا ما أوضحه الرسول بقوله : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شيء ، الذى به أيضاً عمل العالمين ، الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته . بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى » (عب١:١—٣) .

« كلمنا ... فى ابنه » تفسر لنا لماذا دعى المسيح « الكلمة » . ومن المناسب أن نلاحظ فى هذه الآيات الرائعة الإشارة إلى عظمة لاهوت « الابن » ، ومساواته لجوهر الآب (أى طبق الأصل) ، وقدرته اللانهائية التى لا يتصف بها إلا الله جلت قدرته .

ثم نعود إلى ما قاله يوحنا فى افتتاح إنجيله عن لاهوت السيد المسيح ، فنلاحظ أن « فى البدء كان الكلمة » إشارة إلى أزليته . و« كان الكلمة عند الله » إشارة إلى أقنوميته . و « كان الكلمة » « الله » إشارة إلى لاهوته أو إلى أنه يدعى الله كما يدعى (ابن الله) .

ونقرأ أيضاً أن المسيح هو الله فى موضع آخر . « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (تى٣:١٦) . وواضح أن الذى ظهر فى الجسد هو الرب يسوع المسيح لما أتى من مجده وأخذ جسداً وحل بين الناس ورأوه بعيونهم ولمسوه بأيديهم وتحدث

معهم ومشى فى شوارعهم وشفى مرضاهم وأقام موتاهم وصنع معجزاته أمامهم .

وفى سفر الأعمال نقرأ فى الخطاب الموجه إلى أساقفة وقسوس كنيسة أفسس ما يأتى : « احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع٢٠:٢٨) . وواضح أيضاً أن الذى اقتنى الكنيسة واشتراها بدمه المسفوك على الصليب هو المسيح . وضمير « الهاء » فى كلمة « بدمه » يعود على كلمة « الله » السابقة فى نفس الجملة . وإذن فبدل أن يقول : « ارعوا كنيسة المسيح التى اقتناها بدمه » قال : « ارعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » ليسجل ويؤكد ويثبت أن المسيح هو الله .

ولم يرد ذلك فى العهد الجديد فقط ، بل ورد أيضاً فى العهد القديم . فاستمع :

« كرسيك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الإثم .. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك » (مز٤٥:٦،٧) . ولنلاحظ أن هذه نبوة عن ظهور المسيح فى صورة إنسان ، وعن عماده من يوحنا ، وعن رئاسته الأبدية . وقد أكد الوحى فى العهد الجديد أن هذه النبوة تُشير إلى « ابن الله » بقوله : « أما عن الابن : كرسيك يا الله .... إلخ » (عب١:٨) .

ولنلاحظ أن كلمة « الله » الأولى وردت بصيغة المخاطب هكذا : « يا الله » والقرينة تبين ذلك لأنه هو الذى مسح بدهن الابتهاج (أى الروح القدس) فى وقت العماد حينما حل الروح عليه . أما كلمة « الله » الثانية فوردت بصيغة أخرى . فهى تُشير إلى « الآب » الذى أعلن سروره يوم عماد المسيح . وبعبارة أخرى نجد فى هذا المزمور إشارة وبعبارة أخرى نجد فى هذا المزمور إشارة إلى « الثالوث الأقدس » بكل وضوح .

« يا الله » تُشير إلى الابن .

« مسحك الله » تُشير إلى الآب .

« بدهن الابتهاج » تُشير إلى الروح القدس .

وفى نبوات إشعياء يقول : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مُشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » (إش٩:٦) . وآيات أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها .

أرأيت إذن كيف أن الأمور التى تبدو غامضة أو صعبة يمكن فهمها بدرس الكتاب المقدس ؟ فهو كنز المعرفة والحكمة وحتى ما نراه صعباً نقبله بالإيمان ونصدقه ، لأنه من مصدر الصدق ، ولأن عقولنا المحدودة لا تتسع لكل شيء ، كما سبق وأوضحناه .

والمهم ، أن لا نكتفى بمعرفة هذه الحقائق ، بل نسير بمقتضاها فنخضع لذلك الذى أحبنا وافتدانا ، ونمجده فى حياتنا وتصرفاتنا بأعمالنا وأقوالنا ، ونتبعه كراعينا الصالح ، ونثبت فيه ضد كل الشرور والشهوات ، ونخبر بفضله وفضائله ، ونحيا حياة التوبة المستمرة وننتظر مجيئه الثانى المبارك القريب . آمين .

نور العالم

أنا قد جئت نوراً الى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة (يو ١٢ : ٤٦) .

لم يفترق السيد المسيح عن كنيسته مطلقا ، بعد أن ظل يظهر لتلاميذه بعد قيامته مدة أربعين يوما ، وعند صعوده بالمجد قال لهم : ها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر . لذلك تقدمه لنا الكنيسة فى آحاد الخمسين المقدسة .

أولا بجسده المقدس خبز الحياة .
وثانياً بدمه الكريم ماء الحياة .
وثالثا بفاعلية الجسد مع الدم نور العالم .

فمن يأكل من هذا الخبز (فلا يجوع ومن يشرب من هذا الماء فلا يعطش) وينبثق فيه نور الحياة وذلك لأن فى المسيح كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ، والنور يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه . ومن هنا جاءت حكمة الارتباط بين فصول الخمسين المقدسة الكتابية اذ يقول لنا اليوم

١ ــ أنا قد جئت نوراً للعالم :

معلوم ان الله نور ليس فيه ظلمة . انه ساكن فى النور الذى لا يدنى منه ، وتسبحة ملائكة النور . والمسيح شمس البر نور من نور ، وهو النور الحقيقى الذى يضىء لكل انسان آتٍ الى العالم .

وهو أشرق جسدياً بميلاده من العذراء . وأضاء على الجالسين فى الظلمة ، وظلال الموت . وهو بقيامته أنار لنا طريق الحياة والخلود أشرق على ظلمة القبر فبدد عز الموت وظلام الخوف .

+ الله أنار فى قلوبنا :

الله الذى قال إنه يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه المسيح .

كما قال الله قديما فى الخلقة . ليكن نور فكان نور (تك ١ : ٣) هكذا أيضاً بقيامته

المقدسة أشرق فى قلوبنا ، وأنار مثل خلقة جديدة فى وسط الظلام لنرى مجد الله فى وجه يسوع المسيح . المسيح هو النور الحقيقى . لا يكفى ان نسمع عنه ، بل هو يقدم لنا ذاته نوراً حقيقاً ، لنعرفه ونعيشه ونسلك فيه . فالمسيح بعد القيامة ، يعطينا نفسه لنحيا به ونلمسه هذه هى بركات القيامة . جسونى .. هات إصبعك . وهذا ما عاشته الكنيسة فى حكمة الرب يسوع فى أناجيل الآحاد السابقة أنا هو خبز الحياة ، أنا هو الماء الحى .

+ ولكن كيف نتمتع بالنور الحقيقى ؟

سيروا فى النور . آمنوا بالنور . لتصيروا أبناء النور ، هكذا قال الرب .

+ سيروا فى النور ما دام لكم النور .

الذى يسير فى النور لا يعثر لأنه يرى نور هذا العالم . فكم وكم الذى يسير خطواته فى وجه الله ؟ قال داود المرنم الرب نورى وخلاصى ممن أخاف . وقال أيضاً سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى . فكلمة الرب مضيئة تنير العينين ، وتجعل الهدف واضحاً وخطوات الانسان ثابتة . لذلك حينما نرى شعاع الكلمة يبزغ فى حياتنا . ونور الروح القدس النارى يضىء فى نفوسنا كنجم المشرق يهدى سبيلنا ، فليس علينا إلا أن نسير فيه بلا إرتباك .

+ السير فى النور معناه ملازمة الوصية المقدسة ، والتمتع بالانجيل كل يوم وكل ساعة وفى كل ظروف حياتنا . أما إذا اختفى النور من أمامنا فلابد أن نتعثر ونسقط فى حفرة وفخ إبليس .

السلوك فى النور كما يعلمنا القديس يوحنا الحبيب « من قال أنه فى النور وهو يبغض أخاه فهو الى الآن فى الظلمة » (١يو ٢ : ٩) من يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة . أما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة ، وفى الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه » (١يو ٢ : ١٠ ، ١١) .

٢ ــ آمنوا بالنور :

الايمان بالنور معناه التصديق المطلق والثقة فى مواعيد الله كثقة النور أمام الظلمة . وهكذا يترجم إيماننا بالنور فى حياتنا العملية عندما نتمسك بأعمال النور ونبغض أعمال الظلمة .

+ ــ الذى يحب الطهارة يبغض النجاسة . وبإتضاعه يغلب الكبرياء . وبالقناعة يغلب الطمع ومحبة المال وبوداعته يغلب الغضب . وهكذا يظهر ايمانه بالنور بطريقة عملية ويكمل

فيه قول ربنا « وليضيء نوركم هذا قدام الناس فيروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

إذن الايمان بالنور ليس كلاما ولكن حقيقة . هو رفض كل أعمال الظلمة كما هو مكتوب : لا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة ، بل بالحرى وبخوها . ومعلوم جيداً ما هى أعمال الظلمة التى يعملها روح الظلمة فى العالم .

٣ ـ لتصيروا أبناء النور :

المولود من الله يصير إبناً للنور وهذه هى النعمة التى أخذناها فى المعمودية . لأن المعمودية هى إستنارة . لذلك قيل جميعكم بنى النور ، وبنى النهار لسنا من ليل ولا من ظلمة . والقديس بولس يقول : لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء ، أولاد الله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو ، تضيئون بينهم كأنوار فى العالم . فان كان هكذا أمر أولاد الله فى العالم . فما أخطر هذا المركز وما أحرج موقفنا اليوم ؟ والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ، هل نحن فعلا نور للعالم ؟ إن عدم تمتعنا بالمسيح الحى فينا ، وعدم تمتعنا بنور الروح القدس الساكن فينا ، وإهتمامنا وانشغالنا بالعالميات وانحرافنا وراء شهوات وخطايا كثيرة صرنا أبعد ما نكون عن النور الذى يضيء للآخرين . ولكن هل نعود نشعل نار الحب الإلهى فينا ، وندمج نار الروح القدس بالصلاة والتضرع ، ونرجع كل واحد عن طريق خطاياه ؟ لعل المسيح ينير دواخلنا وينير بنا للآخرين .

+ أية شركة للنور مع الظلمة :

النور لا يختلط مع الظلمة . هذه حقيقة يعرفها كل واحد . لذلك كيف يكون فى حياتنا خلط مفزع بين نور الحياة مع الله ، وبين ظلمة الحياة فى العالم ؟ نرى هل يتفق روح المسيح وروح العالم ؟ إن بسبب هذا المزج صارت حياتنا ممزقة ، نريد أن نعيش فى النور وأن نتمسك بالظلام فى آن واحد . نريد أن نتمتع بالصلاة وان نتلذذ بالمسرات العالمية أيضاً . فى أوقات فراغنا نقضى الصباح بعض الوقت فى القداس ثم بعد ذلك لا تفرقنا من أهل العالم فى كلامنا وقضاء وقت راحتنا .

+ لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين (٢كو ٦ : ١٤)

لأنه أية شركة للظلمة مع النور لا ترتبط فى دخولك وخروجك ومعيشتك مع إنسان لا يؤمن بالنور . وليس له شركة مع الله لئلا تفسد حياتك « لأن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة » (١كو ١٥ : ٣٣) . المعاشرات الرديئة تفسد العقل وتطمس المبادىء الشريفة وتهون على الانسان السلوك المستقيم . أذكر لوط وكيف سقط بعشرته كأهل سدوم

وعامورة وسليمان كيف انغمس فى الشر بسبب سوء العشرة ، وداود كيف سقط سقوطا مريعا بنظرة قادته الى القتل والزنا . كثيراً ما يخيل للانسان أنه قوى بمبادئه ، حصين بتربيته ، محوط بعزمه ، مكين فى دينه ويدعى وهو غير محصن بقوة المسيح انه قادر أن يقاوم تأثير العشرة الرديئة . إن انسانا كهذا غبى عديم الخبرة قليل المران . فمهما كانت قوته فهو ليس بأقوى من اسكندر المكدونى الذى قال : « غلبت العالم أجمع ولكنى غلبت من عشراء السوء » .

من يتخيل أنه قوى فهو بعد لم يختبر قوة التجربة ، ولا هو اختبر ضعف نفسه . فالتجربة أقوى مما يتصور وهو أضعف مما يظن ، وإذا أردت أيها العزيز أن تفهم هذه الحقيقة على وجهها الصحيح فتذكر أن برتقالة واحدة فاسدة تستطيع أن تفسد مائة برتقالة ، وأن مائة برتقالة صالحة لا تستطيع أبداً أن تصلح برتقالة واحدة فاسدة .

أيها المسيحى احذر وأنت تعاشر رفيقك فقد يكون جميلا يفوق آلهة الجمال ولكنه خال من الفضيلة ، وقد يكون ظريفاً ولكنه خال من العفاف ، وقد يكون ذكياً جداً ولكنه ساقط دنس . فبعشرتك لأمثال هؤلاء تصبح خالياً من الفضيلة ، خالياً من العفاف ، خالياً من الرجولة ، خالياً من الأخلاق الفاضلة .. نصيحتى لك أيها المسيحى أن تحسن اختيار أصدقائك . ولربنا المجد دائما .

المحبة

ليكون فيهم الحب الذى احببتنى به (يو ١٧ : ٢٦) .

يعلمنا رب المجد أن الطريق الذى سلكه يجب أن نسلكه نحن أيضاً ، كما رسمه لنا ، لأنه سبق له المجد وسلكه كما قال : « ولكن ، ليفهم العالم ، أنى أحب الآب ، وكما أوصانى الآب ، هكذا أفعل » (يو ١٤ : ٢١) . وهكذا يجب علينا أن نحبه نحن أيضاً ونعمل بوصاياه حسب مشيئته الصالحة ، مهما كلفتنا هذه المحبة من اضطهادات وتجارب وآلام وجوع وعطش وعرى حتى الاستشهاد فى سبيلها ، أى سفك الدم كما عبر بذلك بولس الرسول قائلا : « من سيفصلنا عن محبة المسيح ، أشدة أم ضيق ، أم اضطهاد . أم جوع . أم عرى . أم خطر . أم سيف » (رو ٨ : ٣٥) هذه هى المحبة التى يجب أن تفعل فى المؤمنين حتى يكونوا هكذا كما عبر الرسول لأنها طريق الكمال لمن يريد أن يكون كاملا ، كما أوصانا بذلك هذا القديس نفسه قائلا : « ألبسوا المحبة التى هى رباط الكمال » (كو ٣ : ١٤) . ولهذه المحبة شروط يجب أن نتبعها ، وأول هذه الشروط هى أن نحب الله من كل قلوبنا كما قال : « أحب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك » (مر ١٢ : ٣٠) ونحب قريبنا كأنفسنا حسب الأمر الإلهى القائل : « أحب قريبك كنفسك ولا وصية أعظم من هاتين » (مر ١٢ : ٣١) .

إذن المحبة أساس الفضائل وينبوع الآداب . وبدونها لا تحوز فضيلة فلا عبادة ، ولا صلاح ، ولا تقوى ، ولا خشوع ولا صلاة ، ولا تواضع ، ولا صبر ، ولا احتمال ، ولا صدق ، ولا سلام ، ولا امتناع عن خصام ، إلا بالمحبة وفى المحبة ولأجل المحبة . هى التى ملأت السماء بالبشريين . إن للمحبة فروعا كثيرة لا تعد ولا تستقصى.. فالاتحاد ، والمسامحة ، وروح الاحتمال ، والصداقة ، وعدم الشقاق ، وعدم الحسد ، وعدم الظن السيء . كلها من أولادها ، فهى تلد بنين وبنات مباركين فى قلب الانسان . المحبة أثمن كل شيء وأجمله . المحبة تحتمل المكاره بصبر وهى تجعل المر حلو ، وتقود الانسان الى العلو ، وترغبه دائماً فى السلام . ذات حلم ومروءة فى كل شيء ، وصاحبها يستريح فى السلام والرحمة الكاملة . المحب لا يطلب ما لنفسه لأن محبة الذات تعدم أمام المحبة الطاهرة . المحب لا يريد خير لنفسه بل يطلب الخير لكل أحد . « فإن كان وعظ ما فى المسيح ، إن كانت تسلية ما للمحبة ان كانت شركة ما فى الروح إن كانت أحشاء ورأفة . فتمموا

فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبة واحدة . مفتكرين شيئاً واحداً لا شيئاً بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » (فى ٢ : ١ — ٣) .

المحب لا يتألم من قدح ، ويسر بمدح ، سواء عنده السراء والضراء . قلب المحب عرش يسكنه الروح القدس ويحل فيه الثالوث الأقدس . فأمسك بالمحبة لأنها هى الله .. لأن الله محبة ومن يثب فى المحبة يثبت فى الله والله فيه » (١يو ٤ : ١٦) . وبنعمة الله وإرشاده نتكلم عن نقطتين :

أولاً — تعليم الكتاب عن المحبة :

وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضا ، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضاً لبعض » (يو ١٣ : ٣٤ ، ٣٥) . ان كنت اتكلم بألسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاسا يطن أو صنجا يرن ، وان كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن كان لى الايمان حتى أنقل الجبال ولكن ليست لى محبة فلا انتفع شيئاً . وإن أطعمت كل أموالى وان سلمت جسدى حتى احترق ، ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً (١كو ١٣ : ١ — ٣) .

إن قال أحد إنى أحب الله وأبغض أخاه ، فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره . ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً » (١يو ٤ : ٢٠ — ٢١) أما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء (١تى ١ : ٥) .

ثانياً — نصائح لحفظ المحبة :

احفظ المحبة فى قلبك للجميع ، أكره النفاق والغش والرياء فى كل أمورك ، لا تنم على أحد قط ، ولا تتجسس على نقائص الآخرين . لا تدين أحداً بل بالحرى أنظر الى ذاتك . لا تغتب أحداً ولا تقل فيه كلمة تخاف ان تقولها فى حضوره .

لا تنقل كلاماً سمعته إذا رأيت فيه هدماً لصيت قريبك . أبتعد عن الفتن ، أهرب من يذر الخصومات . لا تكن عنيداً أو مستبداً برأيك ، بل استعن المشورة ، وأقبل كلام الحكماء . عامل من هم أكبر منك بالاحترام ، والمساوين لك بالمحبة واللطف ، والذين هم أصغر منك بالبشاشة والدعة ، لكى تستميل الجميع الى محبتك . لا تظهر كراهة لأحد ،

ولا تعرض عن سماع كلام أحد . أحسن ظنك فى الجميع ، يحسنوا ظنهم فيك ، وتكون موضوع ثقتهم ومحبتهم . عامل الناس بما تريد أن يعاملوك به . « وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا » (لو ٦ : ٣١) . إنك إن حفظت ذلك كله تحب الجميع ويحبك الجميع .

قال القديس اوغسطينوس : حيث المحبة فهناك الله موجود فأمتلك المحبة يكن الله فى قلبك جالسا على عرشه . قال ابينا القديس العظيم الانبا انطونيوس : أحب كل أحد ، واذا لم تستطع فلا أقل من أن لا تبغض أحداً ، ولن يتيسر لك شىء من ذلك ما دمت تحب العالميات . ما أحسن المحبة المتبادلة بين الأخوة . وما أسعد العائلة بالاتفاق . فان اجتماع أولاد وبنات أيوب معا من وقت لآخر كان دليلا على محبتهم بعضهم لبعض واتفاقهم معا وقضاء أيامهم بالصفاء والسلام . يقول شاعر هندى (رابندرانات تاجور) . يارب علمنى أن أحب الناس كما أحب نفسى ، وعلمنى أن أحاسب نفسى دون أن أدين الآخرين .

قالت ساعة لأختها : أنت من الذهب الخالص ، وأنا من المعدن الرخيص . ولكن مع ذلك نسير معاً ، وندق معا : ونتساوى فى بيان الأوقات . وكذلك نحن البشر : فينا الغنى ولد وفى فمه ملعقة من الذهب . وفينا الفقير الذى استقبل الحياة فى كهف معتم ، وخرقة بالية ولقمة بغير ادام ولكن هذا الفقير يستطيع ان يقول لذلك الغنى ما قالته الساعة الرخيصة لأختها الثمينة : يجب أن نعيش معا ونعمل ، لأننى فى فقرى أخدم المجتمع مثلما تخدم أنت فى غناك .

أعجبتنى قصة واقعية للأم الراهبة مارى عن القدوة المثالية فى محيط المحبة المسيحية : التى من فرط حنانها ومحبتها المسيحية الكاملة ، تعنى باليهوديات البائسات وتصحبهن وهن فى الطريق الى افران الغازات النازية للتصفية الجسدية . وقد حدث فى إحدى المرات بينما كان فوج من أولئك البائسات فى طريقهن الى مصيرهن الحزين المحتوم ، أن رفضت احداهن ان تفترق عن طفلها الرضيع . وكان الضابط المسئول لا يهمه إلا أن يقدم للموكلين بتنفيذ حكم الاعدام عدداً معيناً من النساء ، فلم يكن من الراهبة مارى إلا أن نحت الأم اليهودية ورضيعها ، وحلت مكانها فى صف المحكوم عليهن بالموت ونفذ فيها الحكم فعلا وقد أحاطت وجهها هالة من النور . وهكذا كانت الراهبة الأم مارى بهذا الصنيع ، قدوة رائعة مثالية فى المحبة ، أبلغ فى تأثيرها على النفوس من مئات العظات وآلاف صفحات النصح والارشاد .

إذا سادت المحبة مجتمعنا اصبحنا أخوة فى المسيح يسوع ربنا . ومن صفات الأخوة الصادقة اللطف فى الشعور والكلام والشفقة الصادرة عن عاطفة قلبية مباركة مقدسة والتسامح كما سامحنا الله أيضاً فى المسيح يسوع ربنا . وينطوى التسامح على معنى التبادل فان من يغفر اليوم قد يكون غداً مسيئا فيحتاج الى من يصفح عنه كما صفح هو بالأمس .

وختام الأمر كله أن الأساس الذى يجب على المسيحى أن يبنى عليه حياته الخاصة هو المحبة التى تستمد كيانها من الله . فان أحببنا بعضنا بعضا اختفت من حياتنا الخاصة جميع الرذائل بأنواعها وأشكالها وتجلت فينا أزهار المحبة اليانعة وثمارها الناضجة ونصير بالحق أغصانا مثمرة فى كرمة الرب يسوع ونصير أيضاً رائحته الذكية . الذى له المجد من الآن والى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الخامس من الخماسين المقدسة

الوصية الجديدة

« الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى » (يو١٤:٢١) .

من كانت فيه محبة الله ــ فإنه يبذل قصارى جهده ليتمم كل وصاياه ، متحاشياً كل ما من شأنه أن يغضبه . بيد أنه يجب أن نحب الله ، لا لأنه غايتنا القصوى الأخيرة فحسب ، بل ولأنه مبدىء حياتنا أيضاً وأصلها ، الخالق العظيم الذى وهبنا الوجود والكيان ، ومع الوجود والكيان مالا يُحصى من المواهب الطبيعية والفائقة الطبيعة .

فهذا العقل ، وهذه الإرادة الحرة ، كل قوى النفس والجسد ، الصحة والجمال ، وجميع ما نملك من خيرات مادية ومعنوية وروحية ، ثم مواهب النعمة والإيمان : كل هذه ، ولا شك ، هى أسباب وحوافز قوية تحثنا جميعاً على محبته .

ومع ذلك فهى أسباب ثانوية ، لأن الله يجب أن نحبه ، لا من أجل عطاياه وخيراته فحسب ، بل ، وفوق كل اعتبار آخر ، من أجل ذاته . وإذن ، فإن السبب الأول الذى من أجله يجب أن نحب الله هو : لأنه هو هو الخير المطلق ، والصلاح بالذات ، الحاوى فى ذاته ، وفى أسمى درجة ، كل كمال ، دون ما حصر أو حد .

سبب مهم آخر يجذبنا إلى محبة الله هو أنه « قد أحبنا أولاً » (١يو ٤:١٩) حباً أبوياً سامياً .

وقد أحبنا بمثل هذا الحب الأبوى السامى لا فى لحظة معينة من الزمان ، بل منذ الأزل . أحبنا ، فاجتذبنا من العدم برحمته . يقول : « إنى أحببتك حباً أبدياً ، فلذلك اجتذبتك برحمة » (إر٣١:٣) .

ولما كان قد قرر منذ الأزل ، بدافع من حبه ، أن يخلقنا ليشركنا فى نعمة الوجود ، قرر أن يخلقنا على صورته ومثاله : « خلق الله الإنسان على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى » (تك١:٢٧) .

أكثر من ذلك ، لقد شاء أن يرفع حياتنا إلى مستوى حياته ، فمنحنا النعمة المبررة التى تجعلنا على نوع ما « شركاء فى الطبيعة الإلهية » (٢بط١:١٤) .

أكثر من ذلك أيضاً ، حدد أن نكون مشابهين لابنه الوحيد ــ لا مشابهين فحسب ، بل وشركاء لهذا الابن الحبيب يقول الرسول بولس « إن الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم أن يكونوا مشابهين لصورة ابنه ، حتى يكون هو بكراً بين إخوة كثيرين » (رو٨:٢٩) .

وعند هذا الحد يأخذ العجب من الرسول يوحنا الحبيب ، فيهتف قائلاً : « انظروا أية محبة منحنا الآب ، حتى ندعى ونكون أبناء الله » (١يو٣:١) .

وقد منحنا الله مع البنوة كل ما ترتب على ذلك من حقوق وامتيازات خاصة بالآب والابن ، من امتلاك كامل لله وملكوته وسعادته وخلوده : « وحيث نحن أبناء ، فنحن ورثة ، ورثة الله ، وارثون مع المسيح » (رو٨:١٧) .

وعندما سقطنا بغواية إبليس ، الحية القديمة فى الخطيئة ، لم يتركنا الله إلى مصيرنا المظلم ، ألا وهو الموت والرذل الأبدين ، بل تداركنا برحمته ، ووعدنا بمخلص قدير تقوم على يده المصالحة ، يرد الأمور إلى نصابها ، ويكون عهده أوفر رحمة ونعمة لبنى البشر .

ولما لم يكن فى طاقة مخلوق البتة أن يقوم بمثل هذه المهمة السامية ، وأعنى بها مصالحة البشرية مع خالقها ــ لأن الإهانة التى أهان بها البشر الله ذا الجلال غير المتناهى ، هى غير متناهية ، وبالتالى لا يقوى على تعويضها إلا شخص كرامته غير متناهية ــ فقد أرسل لنا الله ابنه ، مولوداً من امرأة : « فيه رضى أن يحل الملء كله ، وأن يصالح به الجميع لنفسه ، مسالماً بدم صليبه ما على الأرض وما فى السموات » (كو١:١٩،٢٠) .

فهل بعد ذلك من دليل أعظم على سمو محبة الله لنا ؟! . ولذا يقول القديس يوحنا الحبيب : « بهذا نتبين محبة الله لنا : أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به » (١يو٤:٩) .

وقد أبدى الله لنا مثل هذا الحب السامى ، لا ليبادلنا عن حب سابق من جهتنا ، بل تفضلاً وكرماً « لأن الله محبة » (١يو٤:٨) . إلا أنها محبة فياضة وغير محدودة . ومن ثم فهى تعمل المحال لتستطيع أن تشرك فى خيراتها أكبر عدد ممكن من الخليقة العاقلة . ولذا يقول رسول المحبة القديس يوحنا : « وإنما المحبة فى هذا : أننا لم نكن نحن أحببنا الله ، بل هو أحبنا فأرسل ابنه كفارة عن خطايانا » (١يو٤:١٠) .

ومحبة الله السامية هذه هى التى تحمله على جعل مسرته فى الإقامة بين البشر فيقول : « لذاتى مع بنى آدم » (أم٨:٣١) ، ولا سيما فى الكنيسة التى وعدها يسوع المسيح (ابن الله) قائلاً : « وها أنا معكم كل الأيام وإلى منتهى الدهور » (مت٢٨:٢٠) . ومحبة الله السامية هى التى تجعله يتعهدنا بالرحمة ويسهر علينا سهراً يفوق حنان الأمهات على ثمرة أحشائها . يقول : « أتنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ، لكن ولو أن هؤلاء نسينَ ، لا أنساك أنا » (إش٤٩:١٥) . ومحبته السامية هى التى تجعله ، عن طريق يسوع المسيح ، يهبنا كل ذاته فى القربان المقدس ، لنحيا بحياته ونثبت فى محبته . فقد قال يسوع : « من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىَّ وأنا فيه . كما أرسلنى الآب الحى ، وأنا حى بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بى » (يو٦:٥٦،٥٧) .

ومحبة الله السامية هى التى تجعله يُظهر لنا ذاته بشتى مظاهر الرحمة والتدبير والعناية . يقول الرب يسوع : « والذى يحبنى ، يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » (يو١٤:٢١) .

ولربنا ولإلهنا المجد دائماً .

الطريق والحق والحياة

أنا هو الطريق والحق والحياة (يو ١٤ : ٦) .

شعر الرب يسوع باحتياجنا العظيم الى معرفة أقوم السبل المؤدية الى السعادة الحيوية هكذا قال الرب : « قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم » (أر ٦ : ١٦) . ورأى كمحب البشر ان نقصنا المتناهى يستلزم تداخل مراحمه للعمل معنا : « تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيرى هين وحملى خفيف » (مت ١١ : ٢٨ ــ ٣٠) . فأعلن عن ذاته الإلهية فقال : أنا هو الطريق والحق والحياة . هذا هو حديث الرب مع تلاميذه فى الأحد السابق للصعود مباشرة ــ هكذا أدركت الكنيسة .

لقد أكمل الرب كل شيء على الصليب دفع الدين ودفن الموت بموته وأظهر القيامة بقيامته ، وقدم نفسه حياً قائماً من الأموات وأعطانا ذاته خبزاً حياً وماءاً حياً ونوراً للحياة الجديدة فيسوع المسيح فادينا هو :

١ ــ الطريق :

قال السيد له المجد عن نفسه أنا هو الطريق فلم يقل أنا طريق بلفظ التنكير بل خصص الطريق بالتعريف لكيلا يظن أن هناك طرقا أخرى صالحة للسير فيها وهو من بين هذه الطرق . لهذا خص ذاته بأنه الطريق الوحيد التى ليس هناك سواها توصل الى الحياة الأبدية . وبهذا عرفنا مخلصنا أنه لم يقر طرقا خلاصية مشروعة غير ذاته له المجد ، لأنه يريد توحيد القلوب لتكون خليقته الناطقة المخلوقة على شبهه كصورته ومثاله رعية واحدة لراع واحد » (يو ١٠ : ١٦) .

فالاعتقاد بوجود طرق مشروعة متباينة مستقلة للوصول الى الحياة الأبدية اعتقاد خاطىء يبدد شمل وحدة المؤمنين فضلا عن أنه ضد إرادة الله اعتقاد يهدمه الواقع بوجود طرق مشروعة متباينة مستقلة للوصول الى الحياة الأبدية اعتقاد خاطىء يبدد شمل وحدة المؤمنين فضلا عن أنه ضد إرادة الله اعتقاد يهدمه الواقع وينفيه العقل بالبرهان على ضوء كلمة الله ولا يقره العقل بتاتا . إن الله لما اختص الشعب الإسرائيلى قديما وأعطاه الناموس والوصايا

الأدبية والنظم الطقسية ، لم يشأ له المجد فى ذلك الحين أن يعمم تلك الشريعة الخاصة القومية بين مختلف الشعوب والأمم ، لأنها كانت وقتية فى بعض نواحيها لأمور خاصة وأغراض معينة ، لسياسة شعب خاص مزمع أن يأتى منه المنقذ الإلهى المخلص فادى الجميع « لا يزول قضيب من يهوذا ولا مشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) . « لأن الخلاص هو من اليهود » (يو ٤ : ٢٢) .

فلما أشرقت المسيحية أمر له المجد بأن تذاع فى العالم أجمع « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت ٢٨ : ١٩) « لأن ملء الزمان كان قد كمل » (غل ٤ : ٤) وتمت الاستعدادات لمجىء شريعة الكمال وتهيأ العالم لقبولها الشريعة الكاملة السامية الحيوية الخلاصية . ومهمة المسيحية توحيد القلوب والمشاعر وإحالة المجتمعات على اختلاف مذاهبها ومشاربها وتباين أخلاقها ومبادئها وتناقض نظرياتها وتنافرها ، الى مجتمع واحد فتكون رعية واحدة لراع واحد . فالسبيل الذى يريده الله كطريق للخلاص لبلوغ حياة الخلود هو سبيل واحد وليس سواه وهو المسيح له المجد : « هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم . لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء الى الأمان يخرج الحق . لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » (اش ٤٢ : ١ — ٤) .

سار العالم قبل المسيح فى طرق بشرية عديدة لبلوغ السعادة واشباع النفس بآمالها الحيوية . ولكن التاريخ مشحون بدلائل الخيبة وفشل جميع مساعى القائمين بذلك . لأن الشريعة الهادية ان لم تكن من السماء فعبثا يحصل السائرون فيها على السعادة والحياة . والعالم زاغ عن الحق وضل طريق الهدى وأعوزته هداية السماء (أر ٢ : ٣ ، رو ٣ : ٢٣) . « لأن الله الذى قال ان يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لانارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » (٢كو ٤ : ٦) .

فالمسيح هو الطريق الوحيد الموصل الى السماء . « هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزاوية . وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى ان نخلص » (أع ٤ : ١١ — ١٢) . « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) فبدونه لا نعرف الله حق المعرفة وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ولا من هو الآب إلا الابن ومن أراد الابن ان يعلن له . « كل

من تعدى ولم يثبت فى تعليم المسيح فليس له الله . ومن يثبت فى تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً » (٢يو ٩) .

« الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر » (يو ١ : ١٨) . « لا يستطيع أحد أن يأتى إلى الآب إلا بى » (يو ١٤ : ٦) . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر » (يو ١ : ١٨) . « لا يستطيع أحد أن يأتى الى الآب إلا بى » (يو ١٤ : ٦) . أما الذين قد خبروا الحياة الروحية فإنهم يشعرون بلذة السير فى هذه الطريق المأمونة ويتحققون ذلك أكثر كلما تعمقوا فى السير فيها . ولذا نسمعهم يؤكدون لنا سخافة عقول الداعين الى السير فى غير هذه الطريق ، ويسخرون من القائلين بامكان وجود الحياة عن طريق آخر غير طريق المسيح رئيس الحياة وطريقها . قال الرسول : « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع طريقا كرسه لنا حديثا بالحجاب أى جسده » (عب ١٠ : ١٩ ، ٢٠) . هذه هى الطريق التى دشنها رب المجد بدمه الطاهر وطهرها من قطاع الطرق . فلا خوف فيها على المفديين من وحش يفاجىء ولا لص يهاجم ولا هلاك يداهم . هناك فى هذه الطريق يأخذ الله الآب بأيدى المؤمنين اخوة ابنه الأزلى المتأنس فادى البشر ، ويرسل لهم روحه القدوس ليرشدهم ويقويهم ويحوطهم بعطفه الأبوى وحنانه الإلهى ، ليوصلهم الى ميناء السلام ليتنعموا بسعادة الخلود ، « حيث يمسح كل دمعة من عيونهم » (رؤ ٢١ : ٤) . هذه هى الطريق التى سلكها جميع المخلصين بالنعمة رجال الله القديسين ، الذين نفعوا الانسانية بحياتهم الثمينة وثمارها الروحية الايمانية ، الذين عاشوا حياة ونموذجا حيويا ونورا للعالم على مثال سيدهم .

٢ ـــ الحق :

الحق من الصفات التى تميل داخليتنا الى قبولها وترتاح إليها ، لأن خلايا نفوسنا جبلت وهيئت لتحوى عناصر الحق وتأتلف فى ظل الاستقامة والعدل (جا ٧ : ٢٩) لأننا من الله والله ليس فيه ظلمة البتة .

نفوسنا لما بناها الخالق إنما شادها على أسس الحق ولهذا نميل دائماً الى الحق . هذا فى حالة الصحة الروحية . أما إذا فسدت داخلية النفس وأظلمت بالشرور والآثام ، فان هذا الميل الى الحق يضعف بل وينعدم بتاتا ، حتى لقد قيل إن كلمة الحق مُرة ، ذلك لأن كلمة الحق تصدم أولئك الذين تكيفت أخلاقهم على نمط يتناقض مع مقتضيات طبيعة الروح الطاهرة . آه ـــ إن الروح بطبيعتها طاهرة نورانية نقية . لكن الشرور شوهتها وبلبلت متنازعها . قالت الروح « أنا سوداء وجميلة لا تعيرننى يا بنات أورشليم » (نش ١ : ٥)

فالروح جميلة فى طبيعتها التى جبلت عليها يزينها بهاء الحق الإلهى لامعة بضيائه ولكنها قد تسود بالشرور والآثام . طبعها الجمال والبهاء أما السواد فعارض عليها .

قال أحد القديسين : ان الله أخفى عنا أرواحنا لئلا نرى اشراقها المبهج البهى حين برارتها فيدخلنا الغرور ونتعظم فنسقط ، ولئلا نرى ظلامها الدامس وقباحتها وشناعتها حين سقوطها فيستولى علينا اليأس والقنوط . لما كنى المسيح ذاته بالحق إنما أراد أن يرينا كماله الإلهى المطلق . فلما عرفنا ذاته بأنه الطريق الوحيدة المؤدية الى الحياة الأبدية . عرفنا هنا أن تعاليمه حق ومبادئه التى تقودنا فى هذه الطريق هى مبادىء حقه كاملة ، وشريعته نزيهة كاملة حقة ، والكمال شرط اساسى فى الشريعة للدلالة على صلاحيتها لقيادة المجتمع لابلاغه المثل الأعلى . فإذا أردنا أن نكون فكرة عامة عن خلاصة معنى الحياة فى هذه الدنيا أمكننا أن نقول بانها ميدان النضال بين الحق والباطل بين الحق والكذب وبمقدار انتصار الحق على الكذب وتقهقهر الانسان أمام الباطل فى هذه الحياة ، بمقدار ذلك تكون قيمة حياة المجاهد . لهذا لما أراد الرسول أن يصف حياة الرومان والأمم قبل المسيح ، ويعلل فساد أخلاقهم وانحطاطهم المتناهى قال : « لأن غضب الله معلن من السماء على فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالاثم » (رو ١ : ١٨) .

واذا كان الحق هو الكمال بعينه فان الكذب هو ذات النقص وهذا النقص ملازم لطبيعتنا البشرية منذ هبطت من علياء الكرامة وشاهق النعمة الى حضيض المهانة والهوان ، وقد أشار التشبى الى هذه الحقيقة « أنا قلت فى حيرتى أن كل إنسان كاذب » (مز ١١٦ : ١١) . ولكن محبة الله سدت هذا النقص البشرى فينا بأنعامها علينا بجميع وسائل الكمال المناسب للبشرية ، لكى ونحن شاعرون بقيمة هذا الكمال نسعى لنكون من أهل الحق الكامل « إنكم إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعرفون الحق والحق يحرركم » (يو ٨ : ٣١ ، ٣٢) . وكثيرون من الذين تلافوا نقصهم البشرى بحق الله وعالجوا ضعفهم بهذا الحق الإلهى الكامل أعلنوا لنا ذلك ، ومنهم بولس الرسول القائل : « من أجل هذا طلبت من الله مراراً كثيرة فقال لى تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » (٢كو ١٢ : ٨ ، ٩)

شريعة المسيح ترمى الى غرض واحد هو إيصال البشرية الكاذبة الناقصة الى الحق المسيحى الكامل لتلاشى نقصها وترتدى ثوب الكمال « فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) . وهو له المجد لم يعلن لنا فقط الوسائل التى توصلنا الى الكمال ، ولم يكتف بحضنا نظريا على اتباعه ، بل انه بذل ذاته لكى يهبنا

هذا الحق الإلهى مجانا . فليتمجد اسمه القدوس . انه صنع معنا أعظم من هذا ، إذ أعطانا ذاته قوتا لحياتنا فى سر الافخارستيا لكى نمتزج به روحا وجسدا وتتحد عناصر الحياة الكاملة عناصر الحق الإلهى بأرواحنا وأجسادنا تمدها بالحياة الفعالة : « لننمو فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) لهذا قال له المجد وأكد فى القول والانذار : « إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة فيكم إن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق » (يو ٦ : ٥٣ ، ٥٥) .

٣ ـــ الحياة :

اذا تنبه الانسان من غفلته وبحث عن الطريق وسعى فى طلب الزاد الضرورى للقوت والتغذية فلأنه يبغى من وراء ذلك الحياة ، فالحياة هى الغرض النهائى والعامل الاساسى المحرك لمشاعرنا وحواسنا للبحث عن الطريق والغذاء . قال المخلص فى صلاته التدبيرية ليلة آلامه الخلاصية : « هذه هى الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧ : ٣) .

فهو حياتنا الشاملة لجميع مقومات سعادتنا وهناءتنا . هذه الحياة ضرورية لنا فى هذا المجتمع الانسانى لضمان استقامة معاملاتنا وتصرفاتنا . وجميع نواميس حياتنا الاجتماعية يجب أن تستمد مقوماتها من عناصر هذه الحياة المسيحية لتكون نواميس صالحة لقيادة المجتمع البشرى وتوجيهه نحو المثل الأعلى . ومن هنا تتجلى لنا عظمة الحياة الأدبية وكيف أنها تفوق الحياة الجثمانية الفانية سمواً ومكانة بما لا يقاس ولا يدع مجالا للمقارنة ، فالحياة الأدبية فى الواقع هى المسيطرة على كل ما فى هذا المعترك الحيوى العظيم . وتتجلى لنا هذه الحقيقة حين احتكاك الحياتان المادية والأدبية إحدهما بالاخرى واختلاف مصالحهما فإن الحياة المادية إذ ذاك تضحي بكل رضى وسرور زودا فى الدفاع عن سلامة الحياة الأدبية « لذلك لا نفشل بل وإن كان انساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً » (٢كو ٤ : ١٦) . « لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) .

هذا هو الناموس الادبى الذى جعله الخالق كامنا فى البشرية يعمل فيها لاعدادها للنهوض الأخلاقى والتدرج بها إلى أسمى المبادىء الانسانية ونفض غبار الوحشية . وهذا هو سر تعليل وجود كثيرين أحياء جسدياً ولكنهم أموات أدبياً وآخرين غادروا العالم جسدياً ولا يزالون أحياء خالدين أدبياً (١تى ٥ : ٦) ، (يو ١١ : ٢٥ ، ٢٦) .

بعد ما تقدم يمكنا أن نفهم تماما قول المخلص : « من آمن بى ولو مات فسيحيا ومن كان حيا وآمن بى فلن يذوق الموت الى الأبد » (يو ١١ : ٢٥ ، ٢٦) وقول النبى « الصديق يكون لذكر أبدى » (مز ١١٢ : ٦) . المسيح ضرورى لحياتنا الأدبية لنسمو بأخلاقنا نحو مثله الأعلى الكامل . والمؤمنون الامناء فى هذا العالم ومنكرو ذواتهم والغيورون على عمل الخير والنشطون للعمل لخير كنيستهم التى أرضعتهم لبان الأرثوذكسية ، الضميمة الغنية بالتعاليم الصريحة والآداب المستقيمة ، وإنعاش الوسط الاجتماعى ، والذين مبدأهم التضحية والثبات والاخلاص ، كل هؤلاء إنما يمثلون فى ذواتهم حياة المسيح . هم بالحقيقة « رائحة يسوع الذكية » (٢كو ٢ : ١٥) . أما الأنانيون وعباد المادة مسلوبو العواطف الشريفة وناقصو الفهم رافضو الحكمة عديمو الادراك الادبى ضعاف الاخلاق ، كل هؤلاء وأمثالهم أحوج ما يكون إلى الحياة الكاملة حياة المسيح الطاهرة لكى يتجددوا بها تجديدا يؤهلهم للاندماج فى سلك الأعضاء العاملين المثمرين .

وبالاجمال إن المسيح فى العالم بركة عظمى ، لأنه نور الآب وبهاء جوهره وعنصر الرحمة وروح الحياة . هو الطريق الحقيقى الموصل الى السماء ، يمد الانسانية بوسائل القوة ، قوة المبادىء والأخلاق السامية ، لابلاغها أوج السعادة والسلام . هو الحياة العاملة فى المؤمنين وسر انتصارهم على عقبات الحياة وعراقيلها وفوزهم فى ميدان الجهاد . وهو مثلهم الأعلى وسر سعادتهم فى الوجود ورائدهم الى حياة الأبد .

شكراً لإلهنا الصالح الذى قدم لنا ذاته فى ابنه الحبيب طريقا وحقا وحياة . فصار لنا طريق الحياة الأبدية . فلنسر فى هذه الطريق الخلاصية مهتدين بحقه الإلهى واضعين أمام أعيننا حياة الأبد الخالدة لتكون غايتنا الوحيدة . ورئيس الحياة نفسه يمنحك أيها الحبيب نعمة تقويك على اتباعه والعمل بوصاياه ويؤهلك لمواهبه الفائقة لتحظى برضائه على الدوام وتحيا فى ظلال ستره لمجد اسمه القدوس آمين .

عظة إنجيل عشية خميس الصعود المجيد

الطريق الكامل

« فقال له يسوع ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله » (لو٩:٦٢) .

إن طريق الإصلاح طريق آلام ، وتضحية ، واضطهاد ، فكل مصلح يضع يده على محراث الإصلاح ثم ينظر وراءه إلى مال سيفقده ، أو وظيفه . سيحرم منها ، أو أصدقاء ستنبذه ، أو شرف دينوى سيضيعه ، لا يصلح للحرب فى ميدان الإصلاح . ولذلك كثيرون بدأوا ولم يستطيعوا أن يكملوا . فما أسباب ذلك ؟ وكيف نعالجه ؟

إن الرجل الذى حدثنا عنه الكتاب المقدس بدأ يبنى برجاً ولكنه لم يستطع أن يكمل لأنه لم يحسب حساب النفقة . وكثيرون ساروا فى طريق الرب ومشوا مع السيد المسيح مرحلة من المراحل ووقفوا ولم يكملوا ، أو لأنهم شعروا بصعوبة الطريق فلم يكملوا ، أو لأسباب أخرى .

+ بولس الرسول يتكلم عن الغلاطيين الأغبياء فيقول : إنهم بدأوا بالروح وأكملوا بالجسد . إنهم لم يستطيعوا أن يكملوا الطريق الروحى ورجعوا للجسد مرة أخرى . كثيرون من هذا النوع يبدأون الحياة الروحية ولا يكملوا ويرجعون إلى حياة الجسد مرة أخرى . وبولس الرسول أعطانا مثلاً آخر ، مثل ديماس الذى كان يقول عنه ديماس الحبيب . وهو واحد من أعمدة الكنيسة السبعة واشتغل معه بالكرازة . إن بولس الرسول يقول فى رسالته إلى تيموثيئوس . ديماس قد تركنى لأنه أحب العالم الحاضر . إن ديماس مشى مع الله ليس كمؤمن عادى بل ككارز ، ولكنه أحب العالم فلم يكمل الطريق مع المسيح .

+ ساعة الصليب ، كثيرون ساروا مع السيد المسيح ، ولكن ليس الكل . إن يوحنا ويعقوب وبطرس ذهبوا إلى بستان جثسيمانى ولكنهم لم يكملوا . لقد ناموا فى البستان ولم يستطيعوا أن يسهروا ساعة واحدة ، ولما قُبض عليه تفرقوا . أين يعقوب ؟ إن بطرس سار معه جزءاً من الطريق وكان متحمساً جداً . إنه يقول : « لو أنكرك الجميع لا أنكرك ولو أدى الأمر أن أموت معك » (مت٢٦:٣٥) . وسار معه إلى بيت

رئيس الكهنة وانتظر خارجاً ليرى ماذا يفعلون فى السيد المسيح ، وبعد ذلك لم يكمل . لقد بدأ يسب ويقول : « أنا لا أعرف ذلك الرجل » (مت٢٤:٧٤) . كثيرون مثل بطرس وصلوا إلى مرحلة ولم يكملوا وقالوا إننا لا نعرف الرجل .

+ لقد أكمل يوحنا الطريق حتى الصليب ووقف تحته . أما يهوذا وهو واحد من الاثنى عشر تلميذاً ، وكان عضواً بارزاً فيهم ، فمسكين لأنه لم يكمل الطريق . لقد مشى بعض الوقت مع السيد المسيح ولم يعرف أن يكمل فهلك وضاع .

+ واحد من السبعة الشمامسة الذين بدأوا حياة ممتلئة بالروح اتجه إلى الهرطقة . إنه من الرجال الذين قال عنهم الكتاب المقدس « اختاروا أيها الرجال سبعة رجال منكم مملوئين من الروح القدس والحكمة فنقيمهم » (أع٦:٣) . إنه نيقولاوس الذى بدأ الطريق ولم يستطع أن يكمل .

ومن أمثلة الذين لم يكملوا الطريق شاول الملك . إن صموئيل النبى العظيم أخذ قنينة الدهن وصب على رأس شاول فصار مسيح الرب . وحل روح الرب على شاول ، ولكنه لم يكمل الطريق . ولم يستفد من المسحة المقدسة والنبوة وحلول روح الله عليه وانتهى نهاية عجيبة . يقول الوحى الإلهى فى صموئيل الأول : وفارق روح الرب شاول وباغته روح ردىء من قبل الرب . إنه بدأ الطريق ولكنه لم يكمله . وشعب بنى إسرائيل بدأ الطريق مع الله ولم يستطع أن يكمل . إن هذا خرج من عبودية فرعون وعبر البحر الأحمر وأكل المن والسلوى وتمتع بنعم لم يتمتع بها أحد . كانت السحابة تظلل عليه فى النهار ، وعمود النور يهديه بالليل ، وشق الله الصخرة فتفجرت ماء ، وعاش فى عناية عجيبة .. وبعد ذلك تذمر وهلك فى البرية . إنه لم يهلك فى عبودية فرعون ولكنه هلك وهو فى رعاية موسى . إنه لم يهلك وسط أمواج ولكنه هلك فى البرية المقدسة . لقد بدأ الطريق ولم يكمله . ولذلك يقول ربنا : اسمعى أيتها السموات واقشعرى أيتها الأرض . ربيت بنين ، أما هم فعصوا علىَّ . لقد بدأ شعب إسرائيل الطريق ولم يكمله ، وحتى عندما جاء السيد المسيح لم يقبله .

+ إن الأغصان التى سرت فيها الحياة وأخضرت ، ولكنها لم تعط ثمراً ولم تكمل الطريق ، تقطع وتلقى فى النار مثل شجرة التين . إنها نبتت وأخضرت ولعنها المسيح لأنها لم تكمل الطريق ولم تعط ثمراً .

كثيرون مثل هذه التينة يبدو على مظهرهم الاخضرار ولكنهم لم يكملوا . إنه من المهم أن يبدأ الإنسان مع الله ويكمل الطريق . ويقول الله : « من يصبر إلى المنتهى

فهذا يخلص » (مت١٣:٢٤) .

+ إن الشاب الغنى الذى ذهب إلى السيد المسيح بدأ بداية طيبة لقد ذهب إليه وسأل عن طريق الحياة الأبدية ، وقال إنه حفظ الوصايا منذ حداثته . كل هذا جميل ، والبداية طيبة ، ولكنه لم يكمل الطريق . لقد وصل إلى وصية معينة ولم يستطع أن يجتازها ، فكانت عقبة فى طريق خلاصه ، فمضى حزيناً .

+ ومنذ بدء الخليقة ، منذ آدم وحواء ، نفس القصة . إنسان يبدأ ولا يستطيع أن يكمل . لقد بدأ آدم وحواء أحسن بداية — إنهما على صورة الله ومثاله وفى منتهى النقاوة والبساطة لا يعرفان شراً على الاطلاق ، وعشرة طيبة مع الله ، ولكنهما لم يكملا الطريق نتيجة إغراء الحية وإغراء الكبرياء ، وطردا من الجنة . وهناك حالة أصعب من حالة آدم وحواء ، إنه شخص بدأ الطريق ولم يستطع أن يكمله ، لقد بدأ حياته كملاك ورئيس ملائكة ولم يكمل . ويتحدث الكتاب المقدس فى سفر إشعياء عن بهائه وعظمته وكيف كان واحداً من ذوى الستة أجنحة ، ولكنه لم يكمل وانحدر إلى الهاوية .

+ وشمشون الجبار الذى كان نذير الرب وأعطاه الموهبة الجبارة لم يكمل الطريق ، فقد أضاعته دليلة وقُص شعره وفُقئت عيناه .

+ سليمان الحكيم الذى تراءى له الرب مرتين وكلمة فماً لأذن ، وصلى فإذا السحابة قد غطت الهيكل ومجد الرب أضاء .. سليمان صاحب الأمثال ونشيد الأنشاد والحكمة الجبارة ، والذى بنى الهيكل .. سليمان هذا يقول الكتاب عنه : « إنه أخيراً بخر للأصنام . إنه لم يكمل الطريق ، وما زال الناس يتساءلون حتى الآن : هل خلص أم لم يخلص » ؟

هل تظنون أن الهالكين بدأوا طريقهم بالهلاك ؟ إنهم بدأوا بالخير والبر وساروا مع الله مرحلة طويلة ، وبدأوا ولم يكملوا الطريق . ليس المهم فى نقطة البدء ، بل المهم فى نهاية المطاف . ولهذا يقول الكتاب : « انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم » (عب٧:١٣) .

وأنت لقد بدأت الطريق ، ولكن كيف ستكمله ؟ هذا هو المهم . هناك من يبدأون بداية طيبة ولا يكملون الطريق ، أو يقطعون مرحلة منه ولا يكملون بقية مراحله ، مثل امرأة لوط .. إنها لم تهلك فى سادوم ، وأرسل الله لها ملاكاً أنقذها مع زوجها وبنتيها ولكنها بعد أن خرجت من المدينة المدنسة لم تكمل الطريق ونظرت إلى الوراء فتحولت إلى عمود ملح .

لا يكفى أيها الأخ المبارك أن تخرج من أرض سادوم ، إنما أن تكمل الطريق ولا تنظر إلى الوراء . لا يكفى أن تبدأ ، لابد أن تكمل . ومن أمثلة التاريخ أوريجينوس ، أكبر عالم ، وتتلمذ عليه كثيرون من الأساقفة القديسين ، وتعذب من أجل المسيح . ماذا يقول أوريجينوس عن نفسه ؟ إنه يقول هذه المرثية المؤثرة : أيها البرج العالى ، كيف سقطت ؟ لقد بدأ بداية عجيبة ولم يكمل . وكذلك أريوس الذى أنكر لاهوت المسيح ، لقد بدأ قساً صالحاً وواعظاً مشهوراً بالإسكندرية ، وانتهى أمره بالهرطقة . وكذلك نسطور وأوطاخى . إنه على الإنسان إذا بدأ أن يحرص كل الحرص على أن يكمل الطريق مع الله .

كثيرون بدأوا بتداريب روحية قوية ، وفترت بعد ذلك وجفت . إنها بداية لم تتم وضاعت .. وبولس الرسول كان يخاف من ذلك ويضعه دوماً أما عينيه . بولس الرسول الذى صعد إلى السماء الثالثة يخشى أن يصير مرفوضاً . من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص لهذا ، كن أميناً حتى الموت ، ولا تكن مثل ذلك الرجل الذى بنى البرج ووقف الناس يهزأون به ، قائلين : إنه بدأ يبنى ولم يقدر أن يكمل .

وله المجد إلى الأبد آمين .

عيد الصعود المجيد

وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد الى السماء (لو ٢٤ : ٥١) .

لماذا صعد المسيح بعد أربعين يوماً ؟

لقد ظل المسيح فى أرضنا بعد القيامة مدة أربعين يوماً لكى ما يؤكد للتلاميذ بأنه قد قام حقاً أو لكى ما يولد فيهم اليقين الكامل بحق قيامته . وخلال تلك المدة أظهر المسيح نفسه فى أماكن مختلفة ، حتى تكون شهادة قيامته مؤكدة . فالسيد كان يظهر مرات لأناس على انفراد ، وأخرى للتلاميذ أثنين أثنين ، وثالثة يظهر لهم مجتمعين ليفحصوه وليتأكدوا من حقيقة شخصيته ، حتى يستطيع توما أن يضع أصبعه فى آثار المسامير وأن يضع يده فى مكان الحربة ، لكى ما يتأكد بنفسه أن الذى أمامه هو شخص المسيح بالذات . ثم تراءى السيد بعد ذلك لحوالى خمسمائة أخ دفعة واحدة ، حتى إذ تراه عيون الكثيرين تثبت هذه الحقيقة ، ان الذى قام هو بعينه يسوع الذى صلب . إن ظهور المسيح لم يكن رؤيا رآها أحد تلاميذه وحده ، أو خيالاً تراءى لاثنين من المتعصبين بشخصه ، لكنه قد ظهر بوضوح أمام جماعات كثيرة ، معلناً لهم أنه هو الرب والسيد ، الذى كان قد صلب ومات ، ثم قام من بين الأموات .

فلم يذهب مخلصنا الى السماء إلا بعد أن ثبت حقيقة قيامته على أسس أكيدة لا يمكن أن تتزعزع ، فلا توجد حقيقة فى التاريخ القديم أو الحديث أكثر ثباتاً من حقيقة قيامة المسيح من بين الأموات . على أن السيد لم يظل أربعين يوماً لكى ما يثبت فقط حقيقة قيامته ، إنما أيضاً لتعزية تلاميذه . فالمسيح قد مسح الدموع التى كان تلاميذه قد ذرفوها بسبب موته ، إذ أكد لهم بأن موته لم يكن كارثة عليهم لكنه كان تتميماً للكتب ، أن المسيح كان يجب أن يموت لمغفرة الخطايا ، ثم إن السيد أراد أن يعدهم للحزن الآخر الذى كان ينتظرهم بسبب انطلاقه عنهم للسماء . لقد سما بعقولهم ، ورفع من أرواحهم ، حتى أننا لا نقرأ عن التلاميذ أنهم بعد صعود السيد حزنوا أو ذرفوا الدموع ، إذ كان من الخير لهم أن ينطلق لكى ما يرسل لهم المعزى بل ان السيد انتظر معهم وقتاً كافياً لكى يعطيهم التعليمات اللازمة ، ويعرفهم كيف يتصرفون .

فالواقع أن السيد ، فى هذه الأربعين يوماً ، كان القائد المبارك ، الذى نظم قواته ،

ورسم لهم طريق المعركة ، وأعدهم للنصرة القادمة . لقد أمرهم جميعاً أن ينتظروا فى أورشليم الى ان يلبسوا قوة من الأعالى . ولعل هذا الأمر هو بالنسة لنا أمر التقدم لمعركة الخدمة ، فما لم نتزود بالقوة من الأعالى فلا حق لنا أن نتقدم فى طريق الخدمة . ثم أن السيد كان يريد أن يقدم حديثاً شخصياً للبعض ، الذين كانت لهم حاجات خاصة . فكان عليه أن يشجع قلب المجدلية لتنتصر على احزانها ، وكان عليه أن يظهر لتوما حتى ينتصر على شكوكه ، وكان عليه أن يحذر بطرس ثم يشجعه للخدمة ، وكان عليه أن يقوى التلاميذ ويعدهم للمعارك القادمة .

إن راعى الخراف العظيم لم يستطع أن يرجع الى راحته إلا بعد أن أعد أولئك ــ الذين أعطاهم الآب إياه ــ لمستقبلهم الأبدى . لقد مرت تلك الأربعين يوماً بسرعة ، وكانت أياماً فريدة اختلفت كل الاختلاف عن أيام حياته الأولى على الأرض ، ففيها لم يجسر أحد أن يضايقه ، فالكتبة والفريسيون لم يقفوا ضده ، واليهود الأشرار لم يحملوا الحجارة محاولين رجمه ، لقد كانت أياماً هادئة فيها جلست الطيور فى سلام بجوار المياه الهادئة . ولم تكن هناك أمواج تعكر صفو سلامها .

وقد كانت تلك الأيام إشارة لملكه العتيد الذى هو ملك السلام ، ذلك الوقت الذى فيه سيقف السيد مرة أخرى على هذه الأرض لينهى الحروب ، قبل أن ينهى مشهد هذا العالم . فلما انتهت تلك الأربعين يوماً استمر السيد فى طريقه ، وصعد إلى راحته . نعم أنه قد صعد الى السماء . بعد أربعين يوماً من قيامة السيد المسيح له المجد من بين الأموات بسلطان لاهوته صعد الى السماء على مرأى من جميع تلاميذه ورسله القديسين ومن بينهم العذراء القديسة مريم الملكة والوالدة وعلى مشهد من جميع المؤمنين الآخرين ومن اليهود وجميع المقيمين على سفح جبل الزيتون وفوق الجبل ومن تحت سفح الجبل ، وهو جبل يسكنه الناس ، ومن فوقه وعلى سفحه أقاموا مساكنهم وعليه قامت وتقوم مدن وقرى كثيرة ، من بينها بيت عنيا وبيت فاجى . ولا يزال قائما الموضع الذى من فوقه ارتفع السيد المسيح وصعد الى السماء وما زال أثراً باقيا معروفا ومشهورا الى اليوم يزوره ويعاينه كل من يذهب الى القدس ويصعد الى جبل الزيتون فى أعلى قمة له .

وفى ذات المكان يقوم مذبح يصلون القداس الإلهى من عليه فى عيد الصعود الإلهى . أحياء لذكرى هذه الواقعة التاريخية وهذا الحدث الجليل الأهمية ، وشكراً وتمجيد لله الذى ، صعد الى سماء السموات نحو المشارق (مز ٦٧ : ٣) . (ومن إحسانات الرب أنه قد أنعم علىّ بزيارتى الى القدس للتبرك من هذه الأماكن المقدسة وللخدمة الروحية لتأدية

الشعائر الدينية حيث كنت من الذين قاموا بخدمة القداس الإلهى فى عيد الصعود المجيد على هذا الجبل سنة ١٩٦٩ ميلادية) . ويقع عيد الصعود دائماً فى يوم الخميس التالى مباشرة بعد الأحد الخامس من عيد القيامة المجيد ، أى فى تمام الأربعين للقيامة المجيدة .

ولقد روى الانجيل خبر صعود الرب يسوع الى السماء ، بكل وضوح . قال الانجيل للقديس لوقا : « ثم خرج بهم بتلاميذه الى بيت عنيا على جبل الزيتون ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد الى السماء فسجدوا له ، ورجعوا الى أورشليم بفرح عظيم » (لو ٢٤ : ٥٠ — ٥٢) . ويروى سفر أعمال الرسل : « وبعد أن قال هذا (وصاياه الأخيرة الى تلاميذه ارتفع الى العلاء وهم ينظرون اليه واخذته سحابة عن أعينهم وفيما كانوا شاخصين نحو السماء وهو منطلق ، اذا برجلين (ملاكين فى صورة رجلين) بملابسهم بيضاء قد ظهرا لهم ، وقالا لهم : « أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تتطلعون الى السماء سيجى ثانية هكذا كما رأيتموه وهو منطلق الى السماء ثم عادوا الى أورشليم من الجبل الذى يدعى جبل الزيتون بالقرب من أورشليم على مسيرة سفر سبت » (أع ١ : ٩ — ١٢) .

ومن العجيب أن التلاميذ رجعوا الى أورشليم بفرح عظيم فلم يفزعوا لصعوده الى السماء . ولم يحزنوا لخسارة حضروه جسديا بينهم . لأن الرب ترك لهم سلاما كاملا طرد كل اشباح الرهبة والاضطراب (يو ١٤ : ١٧) لم يفزعوا ولم يحزنوا لأنهم عرفوا إنه كان ينبغى أن يعود الى الآب كما قال : « خرجت من عند الآب وقد أتيت الى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب الى الآب » (يو ١٦ : ٢٨) فهو من فوق (يو ٨ : ٢٣) بل هو فوق الجميع (يو ٣ : ٣١) لذلك ينبغى أن يصعد الى السماء ويمضى الى الآب » (يو ١٦ : ٥ — ١٦) .

والمسيح فى صعوده الى السماء لم يكن فى حاجة الى قطع المسافات . فهو فى السماء وفى الأرض . بل فى كل مكان . فقبل صعوده الى السماء كان فى حضن الآب (يو ١ : ١٨) وفى السماء ذاتها (يو ٣ : ١٣) فهو نزل وصعد ولكنه يملأ الكل (أف ١ : ٢٣ ، ٤ : ٩ ، ١٠) وقد قال لتلاميذه القديسين : أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠) لأن السموات كرسيه والأرض موطىء قدميه . فإلى هذا الايمان يرجع سر الفرح والسلام اللذين فاضت بهما قلوب التلاميذ . وبهذا اليقين خرجوا ليكرزوا منادين باسم وليهم الحى أمام ملوك وولاة ورؤساء وبين وحوش مفترسة وقوات لا تعرف الرحمة ، وستبقى كنيسة المسيح . أمام قوات الجحيم — ثابتة الجنان . رابطة الجأش . لأن يسوع

معها وان كان الله معنا فمن علينا ؟

والكتاب المقدس يعلن أن السيد المسيح قد ارتفع الى السماء وجلس عن يمين العظمة فى الأعالى وذلك لا يعنى أنه قد احتاج فى جلوسه عن يمين الآب الى أفراغ مكان واشغال آخر . ولكن كلمة جلس عن يمين العظمة كلمة معنوية تدل على ما قد صار من كرامة وجلال ومجد . وقد وردت هذه الكلمة مراراً للاشارة الى العظمة والمجد الكامل وما يماثلها (مز ٨٩ : ١٣ ، ١١٨ : ١٦) وإذن فهذه الكلمة مجازية تشير الى المجد المزدوج الذى للفادى الحبيب فى السماء . مجده كابن الله الوحيد ، ذلك المجد الذى كان له قبل كون العالم . ومجده كالحمل المذبوح للتكفير عن خطايا البشر . وهذا ما قاله الرسول : « الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى . صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث إسماً أفضل منهم » (عب ١ : ٣ ، ٤) .

رأى اشعياء النبى مجد المسيح الأزلى (اش ٦ : ١ ــ ٤) مع (يو ١٢ : ٤١) المجد الذى رأته الكنيسة أيضاً (يو ١ : ١٤) الآن وقد أكمل عملية الفداء لابد أن يعود الى مجده حاصلا على مجد جديد . هو مجد الانتصار على الخطية . مجد الغلبة على قوات الهاوية وأبواب الجحيم . المجد الذى اجتاز اليه من طريق الألم والموت . لأن الروح سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها (١بط ٦ : ١٢) . فقد كتب عنه : « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وضع نفسه حتى الموت موت الصليب . « لذلك رفعه الله واعطاه اسما فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب المجد الله الآب » (فى ٢ : ٧ ــ ١١) . فهو قد أخذ مجداً كفادى الكنيسة (رؤ ٥ : ١٢) وكرأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣ ، كو ١ : ١٨) وكالبكر من الأموات (رؤ ١ : ٥) وكالبكر بين أخوة كثيرين (رو ٨ : ٢٩ ، عب ١ : ٦) وكآدم الثانى ورئيس الايمان والخلاص ، رئيس الكهنة العظيم ، والأسد الغالب . فالحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية .

ولقد كان ايمان التلاميذ بهذا أيضاً من أكبر المشجعات لهم على احتمال أقسى الآلام واشد الاضطهادات . لقد شاركوا السيد فى شرب كأسه والاصطباغ بصبغته لتكون لهم شركة مجده . لذلك رحبوا بالآلام . وفرحوا بالاضطهادات . ولقد انتصروا على كل ما اكتنفهم من ضيق اذ كانت الضيقات ولا تزال هى المؤهل للملكوت والمجد .

شكراً لله لأن التلاميذ لم يرجعوا مكتئبين لأجل صعود سيدهم ، لأن فرح القيامة قد ملأ قلوبهم ، وبركة حضور المسيح معهم قد ملأت كيانهم . يا له من فرح عظيم ، لا ينطق به ومجيد . لقد تأكدوا أن المسيح قام من الأموات ، وصعد الى السموات ، وجلس عن يمين العظمة فوق كل رياسة وسلطان ، وسيأتى ثانية لكى يأخذهم إليه ، إلى الأمجاد السماوية والأفراح الأبدية . فهل يحزنون لهذا الأمر إن قوة قيامة المسيح ومجد صعوده غيّر كيان التلاميذ وفتح بصيرتهم للحقائق الأبدية والتعاليم السماوية . يقول معلمنا لوقا البشير أيضاً إن التلاميذ بعد رجوعهم من مشهد الصعود كانوا كل حين فى الهيكل (لو ٢٤ : ٥٣) .

عند الصليب كانوا فى خوف وتفرقوا كل واحد عن أخيه لكن بعد القيامة وصعود المسيح رجعوا ومكثوا كل حين فى الهيكل فى وحدة عجيبة وجرأة فريدة . إن قوة القيامة ومجد الصعود حوّلهم الى أبطال فى الايمان ، وعرفوا أن المسيح المقام هو رأس الكنيسة التى هى جسده المبارك : وأخضع كل شىء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شىء للكنيسة » (أف ١ : ٢٢) .

لقد امتلأت ألسنتهم بترنيمات الحمد والهتاف وهم يشهدون للجميع بقيامة المسيح وصعوده الى السموات . وليس ذلك فقط لكنهم كانوا ماكثين فى أورشليم حسب قول الرب : ينتظروا موعد الآب » (أع ١ : ٤) ، الذى تم فى يوم الخمسين ، شكراً لله لقد صعد الى السماء ليعد الطريق ، ويفتح باب السماء بدمه الكريم ، ويعد السماء كى تكون مسكنا للخطاة المرشوشين بالدم حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا » (عب ٦ : ٢٠) .

ليت أمجاد القيامة وبركات الصعود تغمر قلوبنا ، فنشهد له وننتظر مجيئه . ثم أخيراً على جبل الزيتون تجاه أورشليم صعد ربنا بعد ما أكمل خلاصنا الى الأبد وهناك سيكون منظر رجوعه المجيد فهل أنت مستعد أن ترحب به وتقبله فرحاً اذا ظهر الآن . إسأل نفسك ؟ وله المجد والسجود من الآن والى الأبد آمين .

السلام الحقيقى

قال الرب : سلاماً أترك لكم ، سلامى أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو ١٤ : ٢٧) .

ان السلام هو أصل جميع الخيرات ولذلك لا يقتصر الكهنة على منحه للمؤمنين مرة ومرتين وثلاثا بل يكثر منه فانه عندما يدخل الى الكنيسة يقول السلام لجميعكم ولما يباركهم يقول السلام لجميعكم ، وكذلك فى أسرار البيعة ينادى بهذا السلام نفسه قائلا السلام لجميعكم وذلك يشير الى النعمة التى استحقها لنا ابن الله بموته عن جميع العالم ولأنه لم يتجسد ولم يمت إلا ليجعل السلام والصلح بيننا وبين الله أبيه .

السلام : ما أجمل هذه الكلمة . وليس أحب الى القلوب ولا أعذب لدى الأسماع من كلمة سلام . بغير سلام يكون عالمنا جحيما وبغير سلام يضحى البيت عذابا ، وبغير سلام يصير القلب أتونا . السلام ... ما ألذ العيش فى ظلاله .

السلام ... ان السلام أحوج ما يصبو إليه قلب الانسان الذى لا تريحه خيرات الدنيا أو ملذاتها .

السلام فى أيامنا هذه مرغوب فيه أكثر من أى زمن كان ، لأن الاضطراب والقلق التى تساور عالمنا الحالى بمثابة أعداء للسلام ، الذى يرغبه عقلنا وإرادتنا وعواطفنا وكل قوانا .

السلام فى العائلة . هو راحة النفس وسعادة القلب بائتلاف النفوس والقلوب . راحة نفس وسعادة قلب صادرة عن حب عميق بين أفراد العائلة ناتجة عن إجماع الآراء والأفكار ووحدة الغايات والأعمال . ومتى رفعت الأفراد والعائلات والشعوب قلوبها الى الله واتحدت به وسارت على نظام شرائعه ز، حل فوقها السلام وتجنبت كل قلق واضطراب . وساد النظام واستتبت الراحة داخلا وخارجاً فى الأعمال الشخصية والمعاملات الاجتماعية .

السلام : يريد المخلص الفادى السلام وهو الذى قد سبق الأنبياء ولقبوه بأمير السلام ، وعند ميلاده نادت الملائكة فوق المغارة منشدين : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام . وفى عظته على الجبل قال طوبى لفاعلى السلام . وقبل صعوده الى السماء وهب تلاميذه السلام وأوصاهم بأن ينشروه بين الناس ، قائلا السلام استودعكم سلامى أعطيكم . لست كما يعطى العالم أعطيكم أنا (يو ١٤ : ٢٧) .

ما أحلى هذا القول ، ما أحسن السلام ، وما أسعد من يملكه ، كل منا فى مسيس الحاجة الى سلام يصل الى قرارة نفسه فيلاشى كل العوامل المزعجة المقلقة ويتمتع بحياة الاستقرار والهدوء والطمأنينة . يقول الكتاب المقدس : لا سلام قال الهى للأشرار . كثيرون يبتغون السلام ، ويسعون للحصول عليه ، ولكن ما أقل الذين ينالونه ، كثيرون تعبوا وجدوا ولم يظفروا بشىء منه ، وما ذلك إلا لأنهم يطلبونه من غير طريقه ، ويأتونه من غير أبوابه ، ولا يزال العالم يخدع كثيرين موهماً إياهم بأنه مصدر السلام والراحة . يقول للغنى : ما بالك تقف عند حدك ، سر فى طريقك واملأ خزائنك واجمع الكثير من هذا الأصفر الرنان وضع قلبك عليه ، وأسجد له تجد الراحة ، فيسمع هذا المسكين صوت الغرور ، ويفنى أيامه ، وحياته فى جمع الأموال وهو فى حرصه واهتمامه به يحرم نفسه من التمتع بما يجمع . ثم يخرج أخيراً من هذه الدنيا ويدخل حياة الأبدية عارياً من السلام . والعالم أيضاً لا يبرح يخدع الانسان يوسوس له قائلا : ما بالك حزيناً كئيباً لا تتمتع باللذات وتشبع نفسك منها وتثلج صدرك بشهيتها ، وهكذا يزين لكل واحد سعادة موهومة وسلاماً كاذباً ، وينصرف بهم من خداع الى آخر ، ويحكم كيده لهم بمسرات باطلة يموه بها على العقول ، فيظنها الشرير فى شره ، والبخيل فى جمع ماله ، والجبار فى قوته ، والشره فى شراهته ، وصاحب الكرامة فى مرتبته بيد أنه ليس واحد من كل هؤلاء ينال السلام الحقيقى ، لأن العالم لا يضفى على الناس بشىء سوى قلق وهم وغم وضجر وتبكيت للضمير ، مع أوجاع ونكبات لا حد لها . هذا هو سلام العالم كله لأن فى طرقهم اغتصاب وسحق . وطريق السلام لم يعرفوه (رو ٣ : ١٦ ـــ ١٧) .

وما العالم إلا كأنبياء اسرائيل الذين كانوا يتنبأون لأورشليم ويرون لها رؤى السلام ولا سلام (حز ١٣ : ١٦) . وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ فاذا هو رازح ونفسه مشتهية . هذا يكون الذين يطلبون سلامهم من العالم ، الذى لا يستجيب لهم بشىء إلا الاتعاب . فهل بعد ذلك تطلب سلامك فى القلق والانزعاج ، إن كل ما فى العالم ، من غموم وهموم ، وأكدار وأحزان ، وأمراض ، وتجارب ، تنتاب الانسان فى كل أدواره ، ينذر بأن لا سلام فى العالم . وان من يطلب السلام من هذا العالم لأشبه بطائر يرفرف فوق أمواج المياه إلى أن يعييه الطيران ويتعبه السير ، ولو اتيح لك أن تملك زمام العالم وتملك ناصيته لما نعمت بالراحة فيه لأن نفسك مخلوقة على صورة الله لا يوافقها شىء آخر ، لأن الله خلقها ليسكن ويحل فيها وحده ، فهو سلامها الحقيقى دون غيره . ايتها النفس لن تبرحى شقية ، ولن تزالى فى عناء ، فى قلق واضطراب فى برية هذه الحياة ، الى ان تستريحى فى الله الذى

هو فوق كل ما فى الأرض وفوق كل ما فى السموات لأنك أنت يارب سلامى الحقيقى الذى يفوق كل عقل (فى ٤ : ٧) .

من طلب السلام والراحة من العالم ، لا ينال سوى القلق والاضطراب ، لأن من خواص العالم التقلب والتغيير على الدوام أما السلام الحقيقى فيستمد من الله الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يع ١ : ١٧) . من التصق بالعالم ووضع سروره وثقته فيه فلن يحصل على سلام الى الأبد ، بل يظل قلقاً مدى حياته ، ولكن ان مكنت محبتك وسلامك فى الله فلا يستطيع شىء ان ينتزع منك سلامك أو يكدر صفو راحتك . فلا المشقات ولا الآلام ولا الأوجاع ولا المظالم ولا شىء قط . تظلم به حياتك ، أو ينغص عيشتك ، بل فى كل ذلك يلازمك السلام وتدوم لك الراحة .

إذن لا يمكن ان تجد سلامك فى الخيرات الأرضية ، ولا فى كثرة الأموال ، ولا فى القوة والصحة ، ولا فى الكرامة والجاه العالمى ، ولا فى شىء آخر من أمور هذا العالم ، ولكنك تجده فى الله وحده . ان طلبت الفرح والسلام والراحة من لذات العالم بكيت فى النهاية وحزنت ، وان ظننت سرورك فى هذه اللذة أو تلك ، فلست إلا فى وهم وخداع ، وإن توهمت سعادتك فيما يتفق مع هواك ، فأعلم أنك قد حدت عن الصواب ، لأن الذى تحبه وتسر به اليوم تكرهه غداً حتى تود ألا تراه . وما دام الانسان بعيداً عن الله فهو مضطرب النفس مبلبل الفكر ، ولن يحصل على السلام الحقيقى . وعنه يقول حزقيال : « الرعب آت فيطلبون السلام ولا يكون (حز ٧ : ٢٥) . ويحذر الرب أرميا من الأشرار : لا تدخل بيت النوح ولا تمضى للندب ولا تعزهم لأنى نزعت سلامى من هذا الشعب (أر ١٦ : ٥) . وعن معاملاتهم يقول : بفمه يكلم صاحبه بالسلام وفى قلبه يضع له كميناً (أر ٩ : ٨) . وبنفس هذا المعنى يتحدث عنهم ميخا : « انهم ينهشون بأسنانهم وينادون بالسلام » (ميخا ٣ : ٥) . ووصفهم داود : مخاطبين أصحابهم بالسلام والشر فى قلوبهم (مز ٢٨ : ٣) وقياسا على هذا نسمع يهوذا الخائن يقول : للسيد له المجد السلام يا سيد . وقبله (مت ٢٦ : ٤٩) .

فاقترب أيها الانسان الى الله لتصل الى سلامك وسعادتك . إن السلام الحقيقى التام ليس إلا فى هدوء الضمير وطمأنينة القلب . « لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج » (١يو ٤ : ١٨) . ولأن المؤمنين أبناء الله فمن صفات البنوة أن الأمين يعيش فى سلام فى كنف أبيه « الساكن فى ستر العلى فى ظل القدير يبيت » (مز ٩١ : ١) .

فمن يحوز السلام فهو خير ممن يملك العالم بأسره ، وأفضل ممن حذق كل العلوم وبرع فيها .

ان الحياة المسيحية هى حياة سلام دائم وخاصة بعد أن أوجد السيد المسيح هذا السلام وصالح بين السمائيين والأرضيين كما صالح النفس مع الجسد وعشنا فى حياة السلام الدائم . وبولس الرسول يتكلم عن ثمار الروح القدس من ثمار الروح القدس فرح ومحبة وسلام . ان الله يريدنا ان نعيش فى سلام ومحبة معه . لقد خلقنا على صورته ومثاله واحاطنا بكل حب . وأعلم أخيراً ان روح الله القدوس لا يسكن إلا القلب الوديع السليم الهادىء . يمنحنا اله السلام ، السلام من كل وجه ، السلام مع الله السلام مع نفوسنا ، السلام مع الناس . ولترتفع قلوبنا ولتشخص عيوننا الى رئيس السلام فيتدفق منه نهر سلامنا الذى تجرى فيه كل مسراتنا وتعزياتنا ويفيض سلامنا وسرورنا . ولإلهنا المجد الدائم الى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السادس من الخماسين المقدسة

محبة الله فى حياتك

« وتحب الرب إلهك من كل قلبك ... » (مر١٢: ٣٠) .

إن كان الفريسيون والصدوقيون والهيرودسيون قد جاءوا إلى السيد بخبث ليجربوه ، كى يصطادوه بكلمة كمثير فتنه ضد الحكم الرومانى ، أو كاسر للناموس الموسوى فإن محاوراتهم للسيد جذبت كثيرين للتمتع بمفاهيم جديدة ــ الأمر الذى أثار هذا الكاتب ليقدم سؤالاً كثيراً ما تناقش فيه رجال الدين المتعلمون ، خاصة الكتبة . ولعله أيضاً فى عرضه للسؤال أراد أن يجرب السيد (مت٢٢: ٣٤، ٣٥) ، (لو ١٠: ٢٥) ، إذ حسبه يميز بين وصايا الناموس وبعضها البعض ، أو يقدم وصية من عندياته كأنها أعظم مما ورد فى الناموس .

ولكن السيد لم يوبخ هذا الكاتب ، بل بالحرى أجابه بحكمة إلهية فائقة ، مقدماً أساساً روحياً لمفهوم الوصية .

يقول الكتاب : « تحب الرب إلهك من كل قلبك » . إذن القلب لابد أن يكون كله لله ، كما قال الرب : « يا ابنى أعطنى قلبك » (أم٢٣: ٢٦) . وإعطاء القلب لله ليس معناه إعطاء الله جزءاً من هذا القلب ، وإنما القلب كله ..

فإذا كان جزء من قلبك قد أعطيته لغير الله ، تكون قد سلبت الله أهم حقوقه عندك .

إن كان الله يقول « قد سلبتمونى » إذا لم نعطه عشوراً ، فكم يكون سلبنا لله إذ لم نعطه القلب ؟!

لذلك عندما نحب أشياء خارجة عن الله ، تكون هذه خيانة لله . بل أن الكتاب يقول : « إن محبة العالم عداوة لله » « إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب » ...

لذلك فإن الكنيسة المقدسة فى كل قداس ، فى آخر قراءة الكاثوليكون ، تقول للناس « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم ، لأن العالم يبيد وشهوته معه » .

إذن ، القلب كله يعطى لله ، والحب كله يعطى لله ، والله يملك كل مشاعر الإنسان وعواطفه ، ولا يكون فى القلب سوى الله وحده ، ولدينا قصة القديس الذى رفض أن ينشغل بملائكة ظهروا له ، لأنه منشغل بما هو أسمى ، بالله وحده .

« أنا لحبيبى ، وحبيبى لى » هكذا أنشدت عذراء النشيد . إنه حب متبادل عجيب بين الله والإنسان ، لا يعطى فرصة لحب آخر : فإن كنت تحب الله محبة كاملة ، يكون كل شيء آخر كلا شيء قدامك ، وتغنى « خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح وأوجد فيه » (فى٣:٨،٩) .

لماذا نحن نحب بعض أشياء فى العالم ؟ ذلك لأن محبة الله لم تتمكن منا تماماً !

هناك من يركزون على الإيمان فى الحياة ، بينما المحبة أعظم من الإيمان ، كما قال الرسول (١كو١٣) . فإن كنت تؤمن بالله ، وأنت لا تحبه ، لا نسمى إيمانك إيماناً .

إن كان الله محبة ، وأنت تؤمن به ، إذن تؤمن بالمحبة . هذا هو الإيمان الحقيقى . أؤمن بهذه المحبة الكلية ، المحبة التى خلقت الكون كله وخلقتنى . الله الذى لم يشأ أن يكون موجوداً وحده ، وبهذا الحب خلق الكل .. وبهذا الحب فدى الكل على الصليب .. مات المسيح لأجلنا ، البار لأجل الأثمة .

إن الصليب ليس مجرد عقيدة ، وإنما هو ذبيحة حب . « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به » (يو٣:١٦) ، حقاً نحبه لأنه أحبنا أولاً .

إذن ، فى صعود المسيح على الصليب ، إنما صعد الحب على الصليب . والمحبة فى عمقها لا تظهر إلا وهى مصلوبة .

تظهر محبتك عميقة حينما تحب من يعاديك ومن يهينك ، كما ظهرت محبة الله للذين كسروا وصاياه ، وصُلب ليفديهم .

الله الذى أحبنا أسمى نفسه عمانوئيل ، أى الله معنا ، وقال « حيثما أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً . ما أعجب أن الله فى عظمته يحب أن يوجد من المزدرى وغير الموجود أمثالنا ! إنه المحبة التى تُعطى ، لأنه فى محبته دائماً يعطينا . إنه المحبة التى فى عمق كمالها تنزل إلى الخاطىء الملوث لتنقذه وتطهره كما قال الله للخاطئة فى سفر حزقيال : « مررت بك ورأيتك مدوسة بدمك .. فبسطت ذيلى عليك ، ودخلت معك

فى عهد ، فصرت لى . فحممتك بالماء (أى المعمودية) ومسحتك بالزيت (أى الميرون) وكسوتك بزاً (أى البر) ... وتاج جمال على رأسك . لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك .. » (حز١٦) .

إن محبة الله جذبت الكل ، ولم يجدوا مثلها محبة .. القديسون فرغوا قلوبهم من كل حب ، وازدروا بكل شيء ، لكى يكون الله هو الكل فى الكل فى قلوبهم وحياتهم .

وأنت ، هل تصدك عن محبة الله اتجاهات معينة فى العالم ؟! استمع إلى بولس الرسول وهو يقول : « من يفصلنى عن محبة المسيح ؟! » عش إذن فى محبته .

إن الحب ما كان يسمح لداود أن ينام ، فكان يقول للرب : « كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك « فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك » (مز١١٩: ٦٢) . ومع هذا السهر فى الحديث كان يقول : « يا الله ، أنت إلهى ، إليك أبكر ، عطشت نفسى إليك » (مز٦٣: ١) .

وأنت كيف تصلى ؟ هل الصلاة بالنسبة إليك فرض أم واجب ، أم تدريب روحى ، أم وصية ؟! هل الصلاة تغذيك ، وتعزيك ، وتفرحك ؟ هل كل كلمة فى الصلاة لها مذاق حلو فى فمك ؟ كما قال البعض عن صلوات القديسين « من حلاوة الكلمة فى أفواههم ، ما كانوا يستطيعون أن يتركوها إلى كلمة أخرى من كلمات الصلاة » .

لا شك أنك إذا أحببت الله تحب الصلاة ، وإذا أحببت الصلاة تحب الله . فهل أنت تحبه وتحبها ؟

إن الدين ليس مجرد أوامر ونواه ، ولا هو مجرد حلال وحرام ، ولا مجرد ناموس ونعمة ، أو إيمان وأعمال . إنما الدين فى أعماقه هو الحب ، محبة الله والناس . ولإلهنا المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد السادس من الخماسين المقدسة

فى انتظار الروح القدس

اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا (يو ١٦ : ٢٤) .

رجع التلاميذ من جبل الصعود بفرح عظيم . وقد أوصاهم الرب قبل صعوده قائلا : لا تبرحوا أورشليم الى أن تلبسوا قوة من الأعالى » (لو ٢٤ : ٤٩) لكى لا تكون حركة الكرازة من قوة بشرية بل بقوة روح الله الذى يملأهم ويحركهم ويقودهم ويتكلم فيهم . لكى يكون فضل القوة والعمل لله ، وليس لإنسان . وصعد التلاميذ الى العلية التى هى الكنيسة الأولى ، وظلوا مدة العشرة أيام يواظبون على الصلاة مع القديسة العذراء مريم ، الى أن حل الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين وملأهم من كل حكمة وكل فهم كوعد الله . والكنيسة فى هذه الأيام تعيش بروح التلاميذ . تسترجع حرارة الصلاة والسؤال والطلبة الى الآب . وتطلب وتجتمع بروح واحد ونفس واحدة ليتمجد فيها عمل الروح القدس الساكن فيها . والرب يسوع فى فصل إنجيل اليوم يوجه نظرنا نحو الآب للصلاة ، قائلا : كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم . نفس هذا التعبير سبق أن صرح به السيد المسيح يوم قال لتلاميذه : « مهما سألتم باسمى فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن » (يو ١٤ : ١٣) وقوله : « ان سألتم شيئاً باسمى فإنى أفعله » (يو ١٤ : ١٤) وتأكيد المسيح لهذا الكلام فيه كل الأطمئنان لنفوس المؤمنين وكل التعزية لهم فى هذه الحياة والعجب أن نرى رب المجد يحرض تلاميذه على الطلب والسؤال ولا يمل من تكرار السؤال وتكرار الاستجابة للسؤال وهذا فيه ما فيه من الكرم والسخاء والبذل والعطاء فيا له من اله كريم فى العطاء سخى فى التوزيع . لقد كان الرب مزمعاً أن يسكب الروح القدس على التلاميذ . فما فائدة الصلاة والسؤال إذن ؟ .

بالصلاة نؤهل لنعمة الروح القدس ونظهر استعدادنا القلبى لقبوله ونهىء نفوسنا لحلوله فينا . بدون صلاة قلبية وتوسل الى الآب لا ننال قوة ولا مؤازرة الروح فى حياتنا . ان سبب ضعفنا الشديد ، هو فتورنا فى الصلاة وإهمالنا فى الطلبة ، ان الروح القدس نار تتأجج داخلنا بالصلاة . لذلك تصلى الكنيسة كل يوم فى ساعة حلول الروح القدس ٩ صباحا هكذا : روحك القدوس يارب الذى أرسلته على التلاميذ الأطهار . هذا لا تنزعه منا لكن جدده فى احشائنا . فالروح الذى انسكب على التلاميذ وهم فى حالة صلاة يتجدد داخلنا . كل يوم بالصلاة . أبينا القديس العظيم الأنبا انطونيوس يوصى أولاده

هكذا : اطلبوا باستقامة قلب ان ينعم عليكم بإتيان ناره غير المادية عليكم من الصلاة ليحرق كل أفكاركم ومشوراتكم الردية . اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا .

كثيراً ما طلبنا من الله ولم نأخذ . كما يقول معلمنا يعقوب الرسول تطلبون ولا تأخذون لأنكم تطلبون ردياً (يع ٤ : ٣) . وما هذه الطلبات الرديئة :

١ ــ طلب الشهوة : طلب أم ابنى زبدى أن يجلس إبناها حول المسيح واحد عن اليمين والآخر عن اليسار (ظناً منها أن المسيح ملك أرضى) (مت ٢٠ : ٢١) . هيرودس طلب المجد فضربه ملاك الرب فصار يأكله الدود (أع ١٢ : ٢٢) . طلب سمعان الفريسى من المسيح أن يدخل بيته للشهرة (لو ٧ : ٣٦) .

٢ ــ طلب الشهوة : المعتزل يطلب شهوته (أم ١٨ : ١) .

٣ ــ طلب الثروة : كثيرون ساروا وراء المسيح طلبا للنقود والمال فقال لهم : أنتم لم تطلبونى لأنكم رأيتم آياتى فآمنتم بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم » (يو ٦ : ٢٦) . الغنى الغبى طلب الثروة الأرضية (لو ١٢ : ١٦) .

٤ ــ طلب النزوة : نزوة الايذاء والاضرار بالآخرين . لا ينامون إن لم يفعلوا شرا (أم ٤ : ١٦) . طلب هامان أن يقتل مردخاى لأنه لم يسجد له (أس ٥ : ٩) .

أما الطلبات المقدسة :

١ ــ طلب الرب : قال داود « اطلبوا الرب وقدرته » (مز ١٠٥ : ٤) . كما قال « وجهك يارب أطلب » (مز ٢٧ : ٨) . تحيا قلوبكم يا طالبى الرب . طلبت الرب فاستجاب ومن كل مخاوفى أنقذنى » (مز ٣٤ : ٤) .

٢ ــ طلب الحكمة : قال الجامعة : « درت أنا وقلبى لأعلم ولا بحث ولأطلب حكمة وعقلا » (جا ٧ : ٢٥) . فلم يطلب سليمان أياماً كثيرة أو غنى ولم يطلب أنفس أعدائه بل طلب الحكمة (١مل ٣ : ٩) ولذلك قال : « قلب الفهيم يطلب حكمة » (أم ١٥ : ١٤) .

٣ ــ طلب الملكوت : اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم (لو ١٢ : ٣١) . فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله » (كو ٣ : ١) .

الله ليس له يمين ولا شمال ، لأنه غير محدود ، ولكن اليمين هنا يرمز الى القوة ، ويرمز الى البر . فعبارة جلس عن يمين أبيه ، أى أنه جلس فى عظمة أبيه ، فى عرش أبيه فلا يظهر

بعد فى ضعف ، كما جاء فى مجيئه الأول ، يمكن أن يهينوه ويصلبوه إنما حينما يأتى ثانية ، سيأتى فى مجده وحوله ملائكته (مت ٢٥ : ٣١) وسيأتى فى ربوات قديسيه وقبل مجيئه الثانى ، رآه شاول الطرسوسى فى مجد (أع ٩ : ٣) وكذلك رآه يوحنا ووجه كالشمس وهى تضىء فى قوتها (رؤ ١ :: ١٦) ، وعبارة جلس تعنى الاستقرار والاستمرار ، فهو فى مجده الى الأبد . فهل لنا فى هذه الأيام أن نوجه طلبتنا الى الآب من جديد ؟ وعندما نطلب لابد أن ننال ، لأن الآب يهب الروح القدس للذين يسألونه ، وعندما يتجدد الروح فينا سيصير فينا الفرح الكامل الذى لايعرفة العالم .

فالروح المعزى هو المصدر الوحيد للفرح فى وسط ضيقات هذا العالم . تطلبون باسمى : قال يوحنا ذهبى الفم فى حياة الصلاة . الصلاة تحول القلوب اللحمية الى قلوب روحانية . والقلوب الفاترة الى قلوب غيورة والقلوب البشرية الى قلوب سماوية . وقال أبا اسحق فى حديثه لكاسيان : الصلاة هى دعامة الواجبات الثلاثة التى على الانسان المسيحى : الأول صلته بالله والثانى بنفسه والثالث بالقريب ، فواجبنا نحو الله أن ندعو باسمه ونظهر حبنا وأمانتنا له وإيماننا به ونعترف به كمنبع لكل البركات نرجو أبا حقيقياً ونلتجىء إليه كأطفال . أما واجبنا نحو أنفسنا : فبالصلاة نفتش ذواتنا ونقيس انساننا الروحى ونسعى لنكون أهلا لبنوة الله ، وأما نحو القريب فبأن نسأل ونطلب له كما لأنفسنا .

والمسيح المبارك فى فصل الإنجيل يركز فكرنا فى اسمه فكل طلبة بدون اسم يسوع ، لا موضع لها عند الآب ، وكل صلاة وتوسل بدون اسم يسوع تصير بلا قيمة لذلك أضافت الكنيسة للصلاة الربية فى نهايتها بالمسيح يسوع ربنا . لقد عرف التلاميذ قوة هذا الاسم فى القوات والآيات والعجائب ، وفى قوة الخلاص الكائنة لنا فيه : ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى ان نخلص . ليتنا نختبر كيف نردد الاسم المقدس الذى لربنا يسوع بلا انقطاع حزقيال النبى : رأى الروح رؤيا عجيبة ، عظام كثيرة يابسة جداً وملقاة على الأرض متفرقة . وقال له الرب : تنبأ على هذه العظام ، وقل لها أيتها العظام اسمعى كلمة الرب . فتنبأ كما أمره الرب . فرأى حزقيال العظام ترتعش فتقاربت كل عظمة الى عظمة ، إذا العصب كساها وبسط عليها جلد وليس لها روح . ثم قال له الرب تنبأ على الروح وقل : هلمّ يا روح هب على هؤلاء القتلى فيحيون فتنبأ فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على اقدامهم جيش عظيم جداً . ثم قال الرب : هذه العظام هى كل بيت اسرائيل (حز ٣٧ : ٢ — ١١) .

قبل حلول الروح لابد من حركة تقارب بين العظام وتهيئة عجيبة لحلول الروح . وهذه الأيام العشرة التى تسبق حلول الروح القدس هى أيام المصالحة والوحدانية بين العظام

اليابسة ، لكى تقوم بعمل الروح القدس بقوة . هكذا عاش التلاميذ هذه الأيام بنفس واحدة مواظبة على الصلاة والطلبة . هذه الأيام هى فرصة للكنيسة لكى تتجمع قتلاها من جديد وتسهم لعمل الروح القدس ليقبلهم ويجعلهم ضمن جيش الحياة الأبدية . هذه الأيام هى فرصة لجمع المتفرقين والمتشتتين فى موت الأنانية ، والانفراد بالرأى ، والاعتداد بالذات والمقتولين بكل أنواع الشهوات ، والمنفصلين عن مصدر الحياة وينبوع النعمة . هل لنا ان نجمع شتاتنا ونجتمع بنفس واحدة للصلاة والطلبة فتتقارب عظامنا برعش الصلاة ، ويجتمع كل عظم الى عظمه ويكسينا عصب المحبة القلبية ، ثم يكسبنا جلد الجسد الواحد ويعطينا بر المسيح .

أن أكبر ضربة يوجهها العدو الشيطان الى الكنيسة موجه دائماً ضد الروح الواحد ، والقلب الواحد ، أكبر ضربة يوجهها ضد المحبة فى الكنيسة . كل بيت ينقسم على ذاته يخرب ، وكل مدينة تنقسم على ذاتها تخرب هذه الأيام فرصة لكل بيت أن يأخذ بركة الروح الواحد فى الصلاة ، والروح الواحد فى المحبة .

الروح القدس لا يحل ولا يرتاح طالما هناك انقسام أو شقاق . عمل الصلاة : يبدو أن الصلاة بنفس واحدة لها عمل خطير جداً . فالتلاميذ عندما واظبوا على الصلاة بنفس واحدة . تهيأوا لقبول الروح القدس ومرة أخرى عندما كان بطرس الرسول فى داخل السجن . ظلت الكنيسة بنفس واحدة فتزعزع المكان وانفتحت أبواب السجن وخرج بطرس بيد ملاك الرب . الآن . للكنيسة نفوس كثيرة فى سجون مختلفة ، والشيطان اغلق عليها فى سلاسل رهبته . وأحكم حراسته عليها . فهل للكنيسة ان تعود الى الصلاة بنفس واحدة مرة أخرى لتخرج المحبوسين ؟ .

الأسرة التى تجتمع للصلاة بنفس واحدة كل يوم ، تؤهل لنعمة الروح القدس وشركة الحياة مع الله . الاختلاء عشرة أيام . يسبق الامتلاء من الروح القدس ليتنا ندرب أنفسنا أن يكون لنا خلوة مقدسة كل يوم . وبالذات فى هذه الأيام ليكن لنا صلوة مع الله قبل كل خدمة . لئلا تكون أعمالنا اندفاعاً بشرياً من يتكلم فكأقوال . ومن يخدم فمن قوة يمنحها الله . هذه الأيام فرصة لعمل المصالحة على مستوى الأفراد والجماعات ليتنا ننتهز هذه الأيام للسعى المتواصل . اسعوا فى اثر الصلح طوبى لصانعى السلام .

مواعيد الله كلها بلا ندامة . هو وعد ان يعطى الروح القدس وهكذا سكبه على التلاميذ . تمسك بمواعيد الله فى الصلاة ولا تمل حتى تأخذ . صلوا ولا تملوا . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الجمعة السابعة من الخماسين المقدسة

الماء الحى

إن عطش أحد فليقبل اليَّ ويشرب (يو ٧ : ٣٧) .

قال الرب على لسان أشعياء النبى يدعو الجميع « أيها العطاش هلموا الى المياه والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا ، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً ، استمعوا لى استماعاً وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم » (اش ٥٥ : ١ — ٢) . ويقول يوحنا الانجيلى فى سفر الرؤيا : « من يعطش فليأت ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً » (رؤ ٢٢ : ١٧) . هذا ما ينادى به الرب ورسله كى يسمع أهل العالم صوته . ما أشقى ذلك الانسان الذى يحب الإلحاح عليه لكى يقبل أن يكون سعيداً ، وما أعجب نعمة المسيح لأنه يلح عليه « أيها العطاش جميعاً هلموا » (اش ٢٥ : ١) . والدعوة نفسها عامة جداً ان عطش أحد مهما كانت حالته أو وضعه أو مركزه ، فإن المسيح يدعوه ، سواء كان رفيعاً ، أو وضيعاً ، غنياً أو فقيراً ، صغيراً أو كبيراً ، عبداً أو حراً ، يهودياً أو أممياً . وهى أيضاً رحيمة جداً ان عطش أحد فليقبل اليّ ويشرب . إن أراد أحد أن يكن سعيداً ، سعادة حقيقية أبوية ، فليقبل إلىّ ويخضع لى . فأتعهد بأن أجعله سعيداً . ولكن من الناس من لهم آذان ولا يسمعون ولهم قلوب ولا يفقهون ، أسدلوا على عيونهم وبصائرهم ستار حتى لا يسمعوا ولا يهتدوا .

« الحكمة تنادى فى الخارج . فى الشوارع تعطى صوتها . تدعوا فى رؤوس الأسواق . فى مداخل الأبواب ، فى المدينة تبدى كلامها قائلة الى متى أيها الجهال تحبون الجهل والمستهزئون يسرون بالاستهزاء والحمقى يبغضون العلم ، أرجعوا عند توبيخى . هأنذا أفيض عليكم روحى ، أعلمكم كلماتى » (أم ١ : ٢٠ — ٢٣). بذلك يعظهم يسوع بصوته الحنون وفى كل حين يدعوهم والى أى شيء يدعوهم ؟ الى الراحة والسعادة . الاطمئنان والسلام . النعمة والمغفرة وسلامة الضمير والمصالحة مع الله وبالجملة المواهب الروحية التى بها يبلغون المجد السماوى .

ويل لمن لا يسمع صوت الرب ، وويح من يعترض سر النعمة . يا شقاء وتعاسة من يقاوم الحق ، ويغلق باب قلبه عن دخول النور فيه ، سيمكث فى الظلام الى الأبد ، ويستقر عليه غضب الله وسيحس شدة وضيقاً فى نفسه ، وسيكون كالبحر المضطرب الذى لا يهدأ ولا يعرف السلام . النعمة لا تفعل فعلها فى العقول المشتتة والقلوب الموزعة ، بل

تطلب الروح الرزين الهادىء ، والقلب الوديع السليم . إذا دعاك الرب فاسمع صوته واصغ الى أمره ، وبادر لملاقاته لأنك لا تحصل على الخلاص إلا إن أطعت صوته . وهنا نرى كيف ان النفوس العطشى التى تقبل للمسيح تشرب . إن اسرائيل ، الذين آمنوا بموسى . شربوا من الصخرة التى تابعتهم ، إذا تابعتهم انهار المياه . أما المؤمنون فإنهم يشربون من الصخرة التى فيهم ، المسيح فيهم . هو فيهم ينبوع ماء حى (يو ٤ : ١٤) .

لا تقدم إليهم الامدادات لشبع وقتى ، بل لتعزيات مستمرة مستديمة . إن الله يريد أن يخاطب قلبك فكن مستعداً دائماً لاستماع صوته ، لا تقسى قلبك عند سماع صوته المفرح بل قل مع صموئيل النبى : « تكلم يارب لأن عبدك سامع » (١صم ٣ : ٩) . كن كالشمع لينا قابلا لصورة النعمة ، لا تكن قاسيا لا يؤثر فيك فعلها ولا تتمرد على الروح القدس لئلا تسمع يا قساة القلوب وغير المختونين فى قلوبكم وآذانكم فى كل حين ، حتى متى تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم كذلك أنتم (أع ٧ : ٥١) . ان الرب لا يمنحك نعمة فى كل حين ، فاغتنم الفرصة لكى تقبل مواهبه . إن الله لا يتفقدك فى كل وقت فاصغ لصوته عند ندائه إياك .

إن النعمة والتعزية تظهران ذاتهما ، والعواطف الطيبة تنتج أعمالا طيبة ، والقلب المقدس يظهر فى الحياة المقدسة ، وكما أن الشجرة تعرف من ثمرها هكذا يعرف الينبوع من انهاره . أنهما تجريان لفائدة الآخرين . إن الإنسان الصالح يصدر عنه الخير العام . « فم الصديق ينبوع حياة » (أم ١٠ : ١١) . لا يكفى ان نشرب مياهاً من بئرها (أم ٥ :١٥) وان نتمتع بالنعمة التى تعطى لنا ، بل يجب ان تفيض ينابيعنا الى الخارج (أم ٥ : ١٦) . فإياك والتهاون والإهمال . إن لم تسمع الآن صوته وقسيت قلبك فسيأتى وقت لا يسمعك فيه . لا ترفضه لئلا يرفضك . لا تكن كالشاب الغنى الذى دعاه المخلص فمضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت ١٩ : ٢٢) .

لا تفضل الإصغاء لصوت العالم وتصم أذنيك عن صوت يسوع . لا تخدعنك أباطيل الحياة ولذاتها لئلا ينقلب فرحها ترحاً . وحلوها مراً . لا يغرنك سراب العالم الخلاب فتصير أسيراً ذليلا ، بل دس بقدميك كل شهواته واعتبر غناه فقراً ومجده احتقاراً وعزه هواناً . إن صوت الرب مفرح ولذيذ ، وسعيد من يستمعه ويطيعه « إن أسمع ما يتكلم به الله الرب ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه » (مز ٨٥ : ٨٠) . فاسمع وكن فى سلام . أصغ وتلذذ بالراحة ، أنصت بعقلك فتملك هدوء الضمير وترى السلام سلام الله مقبلا اليك وكما يقول حبقوق النبى : على مرصدى أقف وعلى الحصن انتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لى وماذا أجيب (حب ٢ : ١) . ولربنا ولإلهنا المجد الى الأبد آمين .

عيد دخول المخلص أرض مصر

قم وخذ الصبى وأمه وأهرب الى أرض مصر ... (مت ٢ :١٣) .

بعد ما أتى المجوس الى الطفل العجيب واتم واجب السجود له وتقديم هداياهم . قد أوصى اليهم فى الحلم أن لا يرجعوا الى هيرودس الذى اضطرب عندما سمع بميلاد الملك العظيم لخوفه من ضياع ملكه الذى اراق لاجله دماء كثيرين منهم بعض أولاده ونسائه . وعزم ذاك الطاغية الذى يجب أن يلقب بوحش لا بانسان على قتل الطفل الممجد ولأن الفادى أراد أن يعلمنا بمثاله الكامل ضرورة عدم مقاومة الشر بالشر شاءت ارادته الإلهية أن يهرب من الشر . فبعد انصراف المجوس اذا ملاك ظهر ليوسف فى حلم قائلا : قم وخذ الصبى وأمه وأهرب الى أرض مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودس » (مت ٢ : ١٣ ــ ١٥) .

ولم يكن غرض الفادى من هربه الى مصر كغرض غيره من الذين التجأوا اليها للتخلص من ضيقاتهم كابراهيم ويعقوب وبنوه ثم يربعام (١مل ١١ : ٤٠) . وكذلك غيرهم من اليهود الكثيرين الذين بلا شك قد التجأوا اليها فى زمان هيرودس تخلصا من مظالمه . بل كان غرضه الأسمى تعليمنا ضرورة الهرب من وجه الشرير وعدم مقاومته بمثله وبذلك اعطانا درسا قويا فى الوداعة والتواضع العميق . لأنه لو أراد أن يتخلص من هيرودس وهو قريب منه لما عدم وسيلة لذلك لأنه قدير على كل شيء وغير المستطاع عند الناس مستطاع لديه . اغتاظ هيرودس جدا من عدم رجوع المجوس اليه ثانية فأمر بقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس ، وفى سبيل رغبته فى الفتك بالسيد المسيح قد ظهرت مغالاته فى الاجرام فقتل عدداً كبيراً من الأطفال . لأنه توسع فى الزمان والمكان اكثر من اللازم فاضاف مدة فوق التاريخ الذى سمعه من المجوس لميلاد الفادى كما أضاف تلك التخوم المحيطة ببيت لحم . وذلك لكى يمنع كل وسيلة لنجاة المسيح من الموت . وهناك اراء كثيرة فى تحديد المدة التى أقامها المخلص فى مصر ولكن الرأى الراجح يقرر أنه مكث بها نحو سنتين فقط . لأنه رجع منها على اثر موت هيرودس وتملك ابنه ارخيلاوس عوضا عنه .

والسيد المسيح قد هرب الى مصر قبل وفاة هيرودس بسنة واحدة وعاد الى أرض اسرائيل فى أيام ابنه الذى وهبه أبوه المملكة ولقبه بلقب ملك ولكن لم يعترف بذلك اوغسطس قيصر الا جزئيا اذ سلمه اليهودية وادومية والسامرة فقط ورفض أن يلقبه بملك الى ان يظهر استحقاقه لذلك . وانقسمت بقية المملكة بين أخويه فيلبس وانتيباس . وملك ارخيلاوس سنتين على رأى بعضهم وأكثر من ذلك بحسب رأى البعض الآخر . وقيل انه ملك بضعة أشهر فقط ومنعه اوغسطس قيصر ان يسمى نفسه ملكا ودعاه رئيس ربع على اليهودية

. والسيد المسيح عاد من مصر فى الأيام التى كان يدعى فيها ارخيلاوس ملكا وذلك فى السنة الثانية لهربه الى مصر . وقد انصرفت العائلة المقدسة الى نواحى الجليل وهى القسم الشمالى من أرض اسرائيل . عندما جاءت الأسرة المقدسة الى أرض مصر استمرت تجول من مكان لآخر وجاء فى التقليد الكنسى انها مرت بضيعة اسمها بسطة (كانت بقرب الزقازيق ودمرت وباق من آثارها تل باسمها الى اليوم) وكذلك سمنود (بمركز المحلة الكبرى تبعد عن مركزها بمقدار ٧ كيلو تقريبا) واجتازت غربا قبالة جبل النطرون (هو برية شيهيت) الذى تبارك بهذه الزيارة المقدسة التى جعلته فى مستقبل السنين والى الآن مكاناً مختاراً لعبادة ملائكية) . ووصلت الى الاشمونين التابعة لمركز ملوى . وقصدت جبل قسقام الكائن به دير العذراء الشهير بالمحرق (وهو الآن دير عامر بالرهبان الكثيرين بالقرب من محطة نزالى جانوب) وسمى هذا الدير بالمحرق لوجوده قرب حوض المياه الزراعى المسمى بهذا الاسم بسبب نضوب المياه منه قبل غيره من الحياض .

ومات وقتئذ هيرودس فظهر ملاك الرب ليوسف فى حلم قائلا : قم وخذ الصبى وامه واذهب الى ارض اسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى » (مت ٢ : ٢٠). فعادوا الى مصر ونزلوا فى المغارة الكائنة بدير القديس سرجيوس بمصر القديمة . ثم اجتازوا بالمطرية واغتسلوا هناك من عين فصارت مباركة ومقدسة من تلك الساعة . ونمت بقربها شجرة البلسم المعروفة . وبعد تلك الزيارات المباركة لأرض مصر رجعت الأسرة المقدسة الى بلاد اسرائيل وبذلك تمت النبوة القائلة : « من مصر دعوت ابنى » (هو ١١ : ١ ، مت ٢ : ١٥) . وقد رتبت الكنيسة فى يوم ٢٤ بشنس الاحتفاء بهذا العيد المجيد لاعلان الشكر للرب على إحساناته الكثيرة وبركاته الوفيرة التى فاضت على بلادنا المصرية فى هذا اليوم المجيد . وتذكيرا لبنيها بضرورة الهرب من الشر اقتداء بفادينا رئيس السلام فهذا العيد يعتبر بحق منبرا لتعليم الوداعة من رب الوداعة والسلام .

ما ربحته مصر من مجىء السيد المسيح اليها : ان هذا اليوم يعتبر بحق أسعد الأيام التى

مرت على مصر فى عصورها المختلفة . فهو من أعظم أعيادها الروحية لوجود مخلص العالم فيها بالجسد إذ بحلوله فى أرضها نالت تعزية وبركة عظيمة لشعبها بعد تلك الضربات المؤلمة التى حلت بها من جراء تمردها الذى تمثل فى فرعونها الظالم على يدى موسى النبى . هذه هى مصر المباركة التى زارها السيد المسيح وقد تحققت هذه البركة فى نبوة اشعياء النبى قائلا : « مبارك شعبى مصر » (اش ١٩ : ٢٥) .

ربحت مصر بدخول الفادى فيها بدء وصول المعرفة اليها وتطهيرها من ادران العبادة الوثنية . وقد شهد التقليد الكنسى أن مصر اهتزت وسقطت اصنامها من رهبة المخلص عندما دخل فى ارضها وسدت أفواه تلك الأصنام وتلاشت قوة الشياطين . وهذا حق لأن أشعياء سبق وتنبأ عن ذلك بقوله : « هوذا الرب الراكب على سحابة سريعة وقادم الى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر فى داخلها » (اش ١٩ : ١) . وقد أعدت القلوب فى مصر بمجيء الفادى اليها لقبول رسالة الخلاص التى حملها مرقس الرسول الذى قام بواجبه الروحى نحو مخلصه على الوجه الأكمل حتى استشهد فى سبيل انتشار الايمان فى أرض مصر . وبذلك تأسست كنيستنا القبطية المحبوبة القويمة المدعمة على صخر الدهور مخلصها وفاديها . واقيم فيها مذبحا للرب فتم بذلك قول اشعياء النبى . « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر عند تخمها فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر » (اش ١٩ : ١٩ ، ٢٠) .

اخيراً نتعلم من هذه الذكرى المجيدة ضرورة ضبط النفس حين الغضب لأنه اذا اشتد يقود صاحبه الى افظع الجرائم كما قاد هيرودس الى اشر انواع التوحش بقتل الأطفال الابرياء ظنا منه ان السيد المسيح لا يفلت من يده ولكن طاش سهمه وخاب امله وفوق ذلك مات شر ميتة وزال ملكه ودام مُلك السيد المسيح وسيدوم الى الأبد . ان مصر قد ربحت ربحا عظيما بدخول المخلص فى أرضها اذا تباركت كما تحطمت أوثانها .

فياليتنا نرحب بدخول الفادى الى قلوبنا ليسحق الأصنام التى تربعت فيها كصنم محبة المال ومحبة الانتقام من الأعداء وحب المجد الباطل والكبرياء وصنم التبرج الذى دخل قلوب السيدات فى العصر الحديث وتسلط على عقولهن باختراعاته ومظاهره الخليعة المبتذلة . فاذا سكن الفادى بروحه القدوس فى قلوبنا يحطم بقوته الإلهية تلك المعبودات الكاذبة فتطهر قلوبنا من ادرانها وبذلك نستطيع ان نحتفل بهذا العيد المجيد مبتهجين فرحين بسرور قلبى ممزوج بالكمال المسيحى وبذلك نستأهل للمجد الأبدى الذى أضرع الى المخلص ألا يحرم أحدا من التمتع ببهجته لأنه يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون وله المجد من الآن والى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السابع من الخماسين المقدسة

الينبوع الحى العظيم .. الرب يسوع

« من آمن بى ، كما قال الكتاب ، تجرى من بطنه أنهار ماء حى » (يو٧:٣٨) .

يقول الوحى الإلهى فى إرميا : « تركونى أنا ينبوع المياه الحية ، لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماء » (إر٢:١٣) .. ما أشد حماقتنا ! إننا نفعل بذلك شرين ، ومن هذا تبهت السموات وتقشعر الأرض جداً !!

إن الرب يسوع هو الغمر الرابض تحت .. فى الأساس الروحى للنفس البشرية ، هو هناك فى أعماقك .. لا تبحث عنه خارجاً عنك ، فهو «عن كل واحد منا ليس بعيداً » (أع١٧:٢٧) اغلق مخدع قلبك وابحث عنه ، كما فعل أوغسطينوس من قبل ، فيروى نفسك من مائه .. ويصيرك أيضاً ينبوعاً .

وبنعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن :

أولاً ـــ ينابيع الخلاص :

من أجمل الترتيبات فى كنيستنا الطقس الرائع الذى لأسبوع الآلام ، إذ نضيف إلى تسبحتنا عبارة : « قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً مقدساً » ! مقتبسة من قول إشعياء النبى عن الرب : « قوتى وتسبحتى وقد صار لي خلاصاً . فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص » (إش١٢:٢ ، ٣) ! الكنيسة فى ذكرى الخلاص العظيم تهتف ببشارة موت الرب وتعترف بقيامته .. إنها تعلن عن بركات الفداء وغنى الصليب .. إنها تقدم ينابيع الخلاص لكل من يريد ، ليستقى منها بفرح ..

ليتنا لا نستحى بإنجيل المسيح .. ليتنا لا نكل من المناداة باسمه .. ليتنا نخبر عن الهبات الكثيرة والإمتيازات الوفيرة والسخية التى نلناها فيه .

ثانياً ـــ ينابيع الأبدية :

يسوع الذى يعطى هبات مقدسة للمؤمنين باسمه أثناء جهادهم فى هذا العالم ، سوف يجزل لهم العطية ويكافئهم عندما يأتى بهم إلى المنازل الدهرية .. سوف يعوضهم

عن أتعابهم والامهم ودموعهم وصبرهم ، « لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر ، لأن الخروف فى وسط العرش يرعاهم ، ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية ، ويمسح كل دمعة من عيونهم » (رؤ٧:١٦،١٧) .

هذه هى تعزيات الروح القدس وأفراحه .. التى لم ننل منها هنا سوى عربونها . أما هناك فسننال قياسها الكامل عند ينابيع الراحة سوف يوردك الرب يسوع ، وهناك تستقى نعماً تدوم إلى الأبد .

ثالثاً ــ عيون إيليم :

فى ارتحال بنى إسرائيل ، عطشوا فى برية شور . إلا أن الرب افتقدهم « عندما جاءوا إلى إيليم حيث وجدوا هناك اثنتى عشرة عين ماء وسبعين نخلة ، فنزلوا هناك عند الماء » (خر١٥:٢٧) .

لا شك أن هذه العيون كانت رمزاً للتلاميذ الاثنى عشر ، وأشجار النخيل كانت إشارة إلى الرسل السبعين ...

كان التلاميذ الاثنا عشر عيوناً (ينابيع) فائضة بالماء الحى الذى ارتوى منه العالم الذى سمع منطقهم وبلغته أقوالهم .. كانوا عيوناً لم ينضب ماؤها ، إذ كانوا متصلين بالينبوع الحى العظيم .. الرب يسوع . إنه ــ تبارك اسمه ــ حينما صعد لم يفترق عنهم ، بل هكذا وعدهم : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم .. وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (مت٢٨:١٩،٢٠) .

ليتنا نجد عيون الماء الزاخرة .. إن أقوالهم موجودة وحية فى كتاباتهم . ليتنا نقرأ ونفهم .. وليتنا نفهم ونعمل .. ليتنا ننزل هناك عند الماء فنرتوى !

رابعاً ــ ينبوع مختوم :

« أختى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم .. ينبوع جنات ، بئر مياه حية » (نش ٤:١٢،١٥) ، بهذه الكلمات الفريدة ناجى العريس عروسه فى سفر نشيد الأنشاد وتقريباً لا يختلف أحد في من هو العريس .. فبالإجماع هو ربنا يسوع . ولكن من هى العروس ؟ قال البعض إنها العذراء . وقال آخرون : هى الكنيسة .. وقال فريق هى النفس المؤمنة . ونرى أن كل هذه المفهومات صادقة معاً ــ ومن الخطأ الاقتصار على تفسير واحد بعينه .

+ فالقديسة الطاهرة مريم عروس اشتهى الرب حسنها الروحى ووجدت نعمة فى عينيه فاختارها للحمل المقدس .. وفى صلاة نصف الليل ندعوها : « العروس التى بلا زواج » .. هى البتول الدائمة البتولية ، كما تسميها الكنيسة ، وهذا المعنى يستقيم تماماً مع قول سليمان : « جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم » !

+ والكنيسة ، بكل تأكيد أيضاً ، عروس للمسيح . قال المعمدان لليهود : « من له العروس فهو العريس » (يو٣:٢٩) .. وكان يعنى بالعريس شخص المسيح ، وبالعروس الكنيسة أو جماعة المؤمنين الذين بدأوا يلتفون حول من أحبهم . وهذا أيضاً أوضحه الرسول بولس حين قال : لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢كو١١:٢) . وعذراء عفيفة !! أحبها المسيح وأسلم نفسه لأجلها .. « قدسها مطهراً إياهاً بغسل الماء بالكلمة ، لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك ، بل مقدسة ولا عيب » (أف٥:٢٦،٢٧) . صارت جنة مغلقة عيناً مقفلة ينبوعاً مختوماً .. وينبوع جنات وبئر مياه حية !

هذا عن الكنيسة كجماعة للمؤمنين .. وهى أيضاً كذلك كمستقر للنعم والهبات المتنوعة . فالكنيسة فى الأسرار المقدسة هى ينبوع مياه حية ، استودع فيها الرب بركات الروح القدس . الأسرار السبعة هى قنوات الروح التى مثلتها فى القديم سبعة سرج المنارة الذهبية .. ما أتعس وأشد خداع الذين تركوا ينابيعها ! صدق القديس كبريانوس حين قال : « ما من أحد يستطيع أن يقول إن الله أبوه مالم تكن الكنيسة أمه » !

وفى الكنيسة كنوز الآباء وثمار اختباراتهم الطويلة مع الله ، دونوها فى كتاباتهم وتأملاتهم المباركة ، فكانت بركة للأبناء الذين وجدوا طريقهم إليها « فارتووا من دسم بيت الله » (مز٣٦:٨) ..

إذا أحسست أن أعداءك الروحيين قد دسوا عليك منابع الروحيات ، عد وانبش آبار القديسين كما فعل إسحق « فعاد إسحق ونبش آبار الماء التى حفروها فى أيام إبراهيم أبيه وطمسها الفلسطينيون بعد موت أبيه » (تك٢٦:١٨،١٩) هناك ستجد آباراً كثيرة وينابيع ماء حى !

+ وما قلناه عن الكنيسة ، كجماعة للمؤمنين ، يصدق أيضا على النفس الواحدة ، النفس المفدية بدم الحمل وجراحات الصليب ، هى عروس للمسيح اشتهى حسنها وأحبها .. رآها بعينه الصالحة جميلة كلها ! نفسك عزيزة فى عينى الرب . ليتك تكون

قد اختبرت ذلك . قال الرسول بولس عن الكنيسة ككل إن الرب أحبها وأسلم نفسه لأجلها .. ولكنه اختبر أيضاً اختباراً فردياً شيقاً .. تأمل كيف استخدم نفس الكلمات ولكن بأسلوب التخصيص : « ... الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غل٣:٢٠) .

إذن فالنفس الواحدة ثمينة جداً فى نظر الرب ، عروس محبوبة .. جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم ..

ليتنا نحفظ عفتها .. ليتنا نغلق أبوابها فى وجه تيارات العالم الفاسدة .. ليتنا نكرسها له ، وله وحده .

خامساً ــ نبع القلب :

هناك نبع فى القلب ــ أعنى الإنسان الباطن ــ يمد الفم بنوع الكلام . ومن هنا يختلف نوع الكلام عند الناس . يقول الحكيم فى هذا : « فم الجهال ينبع حماقة .. فم الأشرار ينبع شروراً » (أم١٥:٢) . كما يقول أيضاً : « فم الصديق ينبوع حياة » (أم١٠:١١) . وقد أوضح ربنا هذه الحقيقة حين قال : « الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصالحات . والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم » (لو٦:٤٥) .

قد يستطيع الشرير أن يخرج من فمه بعض عبارات مطلية بالصلاح .. قد ينطق بألفاظ طيبة .. قد يستطيع أن يجيد الزيف بين حقيقة وواقع حياته . ولكن الرب لن يرضى عن مثل هذا ، ويوبخهم قائلاً : « ياأولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ــ يامراؤون حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً :» « يقترب إلىَّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ... » (مت١٢:٣٤ ؛ مت١٥:٧،٨) .

وحتى الناس ، لن ينخدعوا طويلاً بالأساليب المعسولة ، فسوف تظهر أمامهم حقيقة النبع الداخلى . ستفضح تصرفات الشخص أقواله ورياءه ، ولغته سوف تُظهره » (مت٢٦:٧٣) .

ومن الجانب الثانى ، لا يستطيع إنسان ، تقدس قلبه حقاً ، وتنقى قلبه تماماً ، أن ينطق بالشرور والسفاهات ، « فقلب الحكيم يرشد فمه » (أم١٦:٢٣) . لذا من الأمور المستنكرة أن بركة ولعنة تخرج من فم واحد : « من الفم الواحد تخرج بركة

ولعنة . لا يصلح يا إخوتى أن تكون هذه الأمور هكذا . ألعل ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر » (يع٣:١٠، ١١) !.

أخى الخادم .. ألقِ شجرة صليب يسوع العجيب فى العين المرة ، فيتحول ماء مارة إلى ماء عذب ، وهناك وعد الرب حافظ وصاياه بالشفاء إلى الأبد : « فإنى أنا الرب شافيك » (خر١٥:٢٦) .

سادساً ــ بئر سوخار :

عند بئر سوخار (يو ٤:٤ــ٣٠) التى شرب منها يعقوب مع بنيه ومواشيه ، التقى الرب بالمرأة السامرية . والحديث عن هذا البئر يمكن أن يأخذ إتجاهين :

١ ــ **بئر الفرائض الشكلية** : سميت هذه البئر ببئر يعقوب ، وعندما تحدثت المرأة مع السيد تساءلت ، فى جهل منها : « ألعلك أعظم من أبينا يعقوب » ! .. كانت هذه المرأة وغيرها يعتزون بهذه البئر باعتبار أنها تنتسب إلى شخصية موقرة ، هى شخصية أبى الأسباط . إنه الافتخار الذى بحسب الجسد ، والذى يشبه إلى حد كبير منطق اليهود الذين كانوا يقولون فى أنفسهم : « لنا إبراهيم أباً » (مت ٣:٩ ؛ يو٨:٣٩) ! ومهما بدت هذه البئر فى نظر المرأة السامرية عميقة ، إلا أن مياهها لن تروى ، وكل من يشرب منها يعطش أيضا .

٢ ــ **بئر الشهوات العالمية** : كانت المرأة المسكينة ، مستأسرة تحت أركان العالم . كانت تشرب من مياه العالم والشهوة ، وتزداد كل يوم عطشاً . حدثها الرب عن مياه النعمة التى يهبها ، فتروى كل عطش للقلب : « كل من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد ، بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية ». فتركت جرتها ــ شهوات قلبها ــ عند البئر ومضت إلى المدينة ، وطفقت تُخبر عن المسيح وتشهد له .. كان الماء الذى روى عطشها قد صار فيها ينبوعاً ينبع إلى حياة أبدية ويجرى من بطنها أنهار ماء حى ..

الذى له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عيد العنصرة

ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى (يو ١٥ : ٢٦) .

هذا اليوم المبارك هو عيد الخمسين أو عيد حلول الروح القدس أو عيد العنصرة (وهى كلمة عبرية أصلها عصريت ومعناها تمام الخمسين ، أى انقضاء خمسين يوما على عيد القيامة ثم يأتى عيد العنصرة وسرعان ما أبدل حرف الصاد فى كلمة عصريت بحرف النون فصارت عنصريت ومن ثم أصبحت عنصرة . وفيه نذكر أنه بعد خمسين يوماً من صعود السيد المسيح الى السماء حل الروح القدس على التلاميذ وبقوة الروح أسسوا الكنيسة فى العالم .

هو عيد عظيم يحوى فى ذاته أسراراً عظيمة من العهدين وقد كان من أعياد الاسرائيليين الثلاثة الكبيرة .

ا ــ الفصح والحصاد والمظال . وعيد الحصاد أبكار غلاتك التى تزرع فى الحقل » (خر ٢٣ : ١٦) .

ب ــ وسمى عندهم عيد الجمع « وعيد الجمع فى آخر السنة » (خر ٣٤ : ٢٢) .

جـ ــ صنع تذكاراً لقبول موسى الشريعة التى وضعت أساساً لسياسة الشعب الدينية والمدنية عند مدخل أرض الميعاد وتخلص من العبودية . « كلم بنى اسرائيل قائلا فى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة أيام للرب » (لا ٢٣ : ٣٤) .

د ــ وكانوا يكرسون هذا التذكار شاكرين الله لانتهاء الحصاد الذى يبتدىء فى جمع أبكار غلات الحقل . وكلم الرب موسى قائلا : « تأتون بحزمة أول حصيدكم الى الكاهن فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم » (لا ٢٣ : ١٠ ، ١١) وفيه كانوا يقربون فى الهيكل التقدمات العديدة عن الخطية « بخبز ترديد » (لا ٢٣ : ١٧ ، ٢٠) .

و ــ كما انهم كانوا يعيدونه بفرح عظيم إذ كان يذهب للاحتفال به فى أورشلم اليهود المتشتتون فى جميع أقطار الأرض (أع ٢ : ٥)

كان هذا العيد فى العهد القديم رمزاً لما صنعه السيد للجنس البشرى والكنيسة تحتفل به تذكاراً لتلك الأعجوبة العظيمة التى قدست العالم وفتحت طريق الايمان وقدست الرسل بنوع خاص وهى حلول الروح القدس على جمهور التلاميذ بشبه ألسنة نارية منقسمة كأنها

من نار استقرت على كل واحد منهم بينما كانوا مجتمعين للصلوة بنفس واحدة فى العلية فى يوم الخمسين (أع ٢٠ : ١ ــ ٤) . ولذلك اختارت كنيستنا المحبوبة كل الفصول التى تقرأ فى صلاة عشية وصلاة باكر والخدمة الصباحية مناسبة لموضوع الروح القدس .

لنتأمل فى الفصول الانجيلية التى قرئت هذا الصباح مبتدئين بها بحسب ترتيبها فى الكتاب المقدس :

ا ــ ففصل انجيل القداس : فيه وعد من المسيح لتلاميذه بحلول الروح القدس .
ب ــ وفى الابركسيس : خبر إنجاز هذا الوعد بنوال التلاميذ الروح القدس .
جـ ــ وفى البولس : تعدد مواهب الروح القدس .
د ــ وفى الكاثوليكون : مسحة الروح القدس .

أولاً ــ الوعد بإرسال الروح القدس :

كان السيد المسيح يعلم الناس فى أيام جسده وقبل تركه للعالم وصعوده للسماء كلف تلاميذه ان يكرزوا للعالم بخبر الانجيل ويحولوا الأمم عن شرورهم وأديانهم الكاذبة الى محبة الله فى المسيح . وان هذا العمل لا يقوى عليه جماعة قليلون جليليون فقراء جهلاء صيادون ، فوعدهم بتأييد الروح القدس الذى يعطيهم قوة لا جسدية كشمشون ولا مالية ، ولا منطقية ، ولا حربية ، ولكن قوة روحية قوة الحق والايمان والمحبة فقال لهم : « خير لكم أن أنطلق ، لأنه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزى . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة » (يو ١٦ : ٨) . ومعنى هذا ان الروح القدس فى التلاميذ يبكت العالم :

١ ــ على خطية : أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى » (يو ١٦ : ٩) . ان أول عمل للروح القدس تبكيت الخاطىء وايقاظ ضميره ولذلك نسمع ان بطرس الرسول بعد ان وعظهم نخسوا فى قلوبهم . ونلمس ذلك فى موقف المسيح مع المرأة السامرية اذ بكتها على خطيتها وأيقظ ضميرها فآمنت به مخلصا وفاديا (يو ٤ : ١٠) .

٢ ــ على بر : « فلأننى ذاهب الى أبى ولا تروننى » (يو ١٦ : ١٠) . فالروح يوبخ على فوات الفرصة ويحذر من تأجيل التوبة لئلا يغلق الباب أو يمضى العريس ولا نراه . ويكشف لنا خطر البر الذاتى فنقرع صدورنا مثل العشار ارحمنى يا الله أنا الخاطىء .

٣ ــ على دينونة : « وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين » (يو ١٦ : ١١) يصور لنا الروح القدس عاقبة إبليس الوخيمة ودينونته الكبيرة فنصحو ونتعقل ونتوب . فالروح القدس يعلم التلاميذ ويذكرهم بأقواله وفى الوقت ذاته يبكت ويدين العالم الحاضر .

ثانياً — إنجاز هذا الوعد :

فى مثل هذا اليوم ، فى يوم الخمسين ، فى فجر تأسيس الكنيسة ، كان التلاميذ يصلون مجتمعين معاً فى العلية بنفس واحدة وهم يصلون . وإذا بريح تهب ولها دوى عظيم وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأوا من الروح القدس وكانوا يتكلمون بعظائم الله . وكانوا أناس أتقياء قد حضروا وشاهدوا الرسل يسبحون الله باللغة التى ولد فيها . ولما استهزأ البعض بالرسل وقف بطرس ووعظ الجمهور عن المسيح ونوال الروح القدس حسب الوعد الذى فاه به يوئيل النبى القائل : « وسيكون بعد ذلك انى اسكب روحى على كل بشر ، فيتنبأ بنوك وبناتكم . ويحلم شيوخكم احلاما ، ويرى شبابكم رؤى . وعلى العبيد أيضاً وعلى الاماء اسكب روحى فى تلك الأيام ... لأنها فى جبل صهيون وفى أورشليم تكون النجاة . كما قال الرب وفى الباقين الذين يدعوهم الرب » (يؤ ٢ : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢) . وحض السامعين على التوبة والإيمان بالمسيح . « فآمنوا واعتمدوا وانضم الى الكنيسة فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس » (أع ٢ : ٤١) . فياليت ما تم فى يوم الخمسين يتم معنا فى هذا اليوم المبارك .

ثالثاً — مواهب الروح القدس :

أن الروح القدس يعطى كل واحد من المؤمنين موهبة خاصة بها يخدم الكنيسة ، « فواحد يعطى كلام حكمة ، ولآخر كلام علم ، ولآخر نبوة ، ولآخر تدبير ، ولآخر ألسنة ، ولآخر ترجمة ألسنة ، ولآخر مواهب شفاء » (١كو ١٢ : ٨ — ٩) . وكما ان الجسد به أعضاء كثيرة ، ولكل عضو عمل خاص ، فالسمع من خاصة الأذن ، والبصر من خاصة العين ، والتكلم من خاصة اللسان ، هكذا كل مؤمن له عمله الخاص فى الكنيسة . وهذه الأعمال المختلفة يهبها الروح القدس بعينه . فعلى كل واحد أن يقوم بموهبته ، صغيرة كانت أم كبيرة ، لخدمة الجسد الواحد ، ولمجد الرب الواحد .

رابعاً — مسحة الروح القدس :

فى العهد القديم كانوا يمسحون الملوك والكهنة والأنبياء لوظائفهم . وكانوا يمسحونهم بدهن المسحة المقدسة . والسيد المسيح بعد عماده من يوحنا المعمدان ، انفتحت له السماء ونزل الروح القدس واستقرت عليه ، فتمت نبوة اشعياء القائلة « روح الرب علىّ مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب ، لأنادى للمأسورين بالإطلاق والعمى بالبصر ، وأكرز بسنة الرب المقبولة » (لو ٤ : ١٨ ، ١٩) . وكان

الرسل بعد ما يعمدون المؤمنين يضعون أيديهم عليهم مع الصلاة ليقبل المؤمنين الروح القدس ، كما فعل بطرس ويوحنا مع أهل السامرة (أع ٨ : ١٤ — ٢٠) . وكما فعل بولس مع التلاميذ فى أفسس (أع ١٩ : ١ — ١٤) . ولذلك يضع كهنة الكنيسة أيديهم مع الصلاة على المعتمدين وقت مسحهم بالميرون الذى هو طيب بعضه من أطايب جسد المسيح وقت دفنه .

فمع المسحة ينال الممسوح نعمة الروح القدس ، فالمسحة الخارجية بالزيت تمثل المسحة الداخلية بالروح القدس . « وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شىء » (١يو ٢ : ٢٠) . ونحن كمسيحيين قد نلنا نعمة الروح القدس مع المسحة المقدسة ، ولكن للأسف كثيرون منا وقت الكبر والرشد احزنوا روح قدسه واطفأوا الروح بخطاياهم . فالواجب علينا الآن أن نطلب رضى الروح القدس ونطيعه وننقاد بإرشاداته « امتلئوا بالروح » (أف ٥ : ٨) .

ان المسيح صلب يوم تقديم خروف الفصح لأنه هو فصحنا الذى ذبح لأجلنا . والروح القدس حل يوم الخمسين الذى فيه يعيد شعب الله بتقديم باكورة حصادهم ، والحصاد هو خير أرض الموعد ، وذلك لأن بركات الروح القدس هى بركات ميراثنا وعربون مجدنا الأبدى . فليملأنا الله من روحه ويفيض علينا من نعمه . « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت السموات » (يو ٣ : ٥) . وقال بولس الرسول : « لا بأعمال فى بر عملناها بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) . نعم لا يقدر الانسان ان يجدد نفسه لأن هذا عمل الروح القدس وكما قال السيد المسيح المولود من الروح هو روح أى ان كل جنس يلد مثله فالروح القدس هو العامل المهم فى الخليقة الجديدة وعندما يحيى الروح الانسان تظهر أثماره المقدسة فى الحياة . قال الرسول القديس بطرس فى حديثه الى اليهود فى يوم الخمسين فيسوع هذا ... وإذ كان قد ارتفع بيمين الله وأخذ من الآب موعد الروح القدس سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه » (أع ٢ : ٣٢ ، ٣٣) .

من هذا كله نتبين ان حلول الروح القدس فى يوم الخمسين كان تحقيقاً لوعد المسيح له المجد الذى صرح به لتلاميذه . كما كان حلقة جديدة فى سلسلة من حلقات عمل الروح القدس فى الكنيسة منذ نشأت الخليقة . لكنها حلقة تقوم على عمل المسيح الكفارى الذى تم بموته وقيامته من الموت . وبها بدأت الكنيسة عصرا جديدًا هو عصر يبرز فيه عمل الروح القدس فى تدبير الخلاص . وذلك بسكب مواهبه الخلاصية التى يغترفها من بحر الخلاص

الذى تفجر فى الصليب وينقلها الى المؤمنين بالمسيح فى قنوات روحية روحانية هى أسرار الكنيسة السبعة .. وما يتبع منها . ويتفرع عليها من مواهب وعطايا . وفى هذا كله يظهر واضحا عمل الأقانيم الثلاثة متضامناً . وفى تدبير الخلاص للمؤمنين القديسين .

وكما يظهر تضامن الاقانيم الإلهية واشتراكها معا فى سر التجسد . كذلك يظهر تضامن الأقانيم الإلهية واشتراكها معا فى سر الفداء . نعم فان الفداء سر وما أعظمه سر . هو سر تولدت عنه أسرار الكنيسة وهى مواهب الروح القدس فى العهد الجديد . ولربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد والاكرام والسجود من الآن والى الأبد آمين .

أهم مراجع الكتاب

١ – الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد

٢ – قاموس الكتاب المقدس

٣ – الأجبية (كتاب السبع صلوات النهارية والليلية)

٤ – بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية

٥ – تفسير الكتاب المقدس إنجيل يوحنا – القس مرقس داود

٦ – اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة – تأليف المتنيح القمص يوحنا سلامة

٧ – تأملات روحية فى شرح الأناجيل القبطية – كنيسة مارجرجس باسبورتنج

٨ – المواعظ النموذجية – للقمص بولس باسيلى

٩ – سر التقوى – للأرشيدياكون حبيب جرجس

١٠ – كنوز النعمة جـ ١ – للأرشيدياكون بانوب عبده

١١ – جراح المسيح – للدكتور دون ر. فولكنجبرغ

١٢ – قيامة المسيح انتظار وانتصار، ابن الله – للقمص إبراهيم جبرة

١٣ – بحث هام فى الأعياد السيدية – بقلم الأستاذ كامل صالح نخلة

١٤ – مقالة من كتاب مواعظ الشماس صادق – للقمص بطرس القطشة

١٥ – مقالات من مجلة المحبة – لغبطة البابا الطوباوى/ الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

١٦ – مقالات من مجلة المحبة وجريدة وطنى – لنيافة الحبر الجليل/الأنبا غريغوريوس أسقف الدراسات العليا والبحث العلمى

١٧ – مقالات من جريدة وطنى – للقمص باسيليوس باسيليوس

١٨ – مقالات – للقمص جرجس بشارة

١٩ – مقالة من رسالة المحبة – للقمص أنطون عبد الملك

٢٠ – مقالة – للشماس بولس السفرى

٢١ – مجلة الكرمة – للأستاذ قوسة بك جرجس

٢٢ – كيف أن المسيح هو الله وابن الله – لنيافة الأنبا فيلبس

٢٣ – الخلاص – للقس مرقس عبد المسيح

٢٤ – تفسير الأناجيل المقدسة جـ ١ – للأب لويس برسوم الفرنسيسكانى

٢٥ – أشهر المواعظ جـ ٢ – للدكتور جريفث توماس

٢٦ – مجلة الكرازة – لقداسة البابا شنوده الثالث

٢٧ – مجلة نور العالم – لنيافة الأنبا فيلبس

٢٨ – مجلة اليقظة – بقلم الايغومانس إبراهيم لوقا

٢٩ – مجلة المحبة – للقمص باسيليوس إسرائيل

٣٠ – مجلة المحبة – للأستاذ عياد عياد

٣١ – مجلة الكرازة – للأستاذ فوزى نمر مينا

٣٢ – مجلة الكرازة – للأستاذ رشدى السيسى

٣٣ – رسالة السلام – بقلم القس إبراهيم سعيد

فهـــرس الـكتـــاب

عظات لقداسات أناجيل جمع وعشيات الآحاد وآحاد وأعياد الخماسين المقدسة

الكتاب : المواعظ الإلهية (الكتاب الأول)

المؤلف : القمص لوقا الأنطونى


الطبعة : الثانية مارس ٢٠٠٠ م

المطبعة : طبع بشركة تريكرومى للطباعة ت ٥٩٠٢٠٤٨ - فاكس ٥٨٩٦٦٥٥

النشر والتوزيع : مكتبة المحبة - ت : ٥٧٨٢٩٣٢

رقم الإيداع بدار الكتب : ٤٢٩٦/ ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : 5- 977-12-05005



أيها المعلم الصالح

في هذا الوقت الذي عز فيه التعليم الصحيح، بينما اشتاقت نفوسنا الي المعرفة الحقيقية. وفي هذا الوقت بالذات، نشعر بأشد الاحتياج اليك أنت، أيها المعلم الصالح.

نشعر بأشد الاحتياج إليك، لأن منك، نسمع كلام الله : ورغم أنك ابن الله إلا أنك لم تتكلم عن نفسك، بل الكلام الذي أعطاه لك الآب أعطيته لنا (يو ١٧ : ٧).

وعندما طلبت إلي الآب أن يرسل الروح القدس لأجل تعليمنا، قلت عنه «هو يرشدكم إلي جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به... يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦ : ١٣ ، ١٤).

وهكذا إذ صار لنا بواسطتك كلام الآب ذاته : توسعنا في المعرفة جداً واستطاع الروح القدس الذي فينا أن يفحص كل شئ حتي أعماق الله (١كو ٢ : ١٠).

وإذ كنت تتكلم كلام الله كان من وراء تعليمك يا سيدي مجد الله. وهكذا استطعت أن تقول لليهود «من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، أما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم» (يو ٧ : ١٨).. وهكذا استطعت أن تقول للآب «أنا مجدتك علي الأرض وأظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك» (يو ١٧ : ٦) «وقد عرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به» (يو ١٧ : ٢٦).. «مجداً من الناس لم تقبل» (يو ٥ : ٤١).

«وإنما في كلامك أعطيت المجد كله للآب وقد أكملت كل العمل الذي أعطاه لك الآب» (يو ١٧ : ٤)..

ونحن يا سيدي نريد أن نسمعك لأنك تتكلم في محبة : بدأت عظتك علي الجبل بعبارات التشجيع قائلاً : «أنتم ملح الأرض.. أنتم نور العالم..» (مت ٥ : ٣ ان تعليمك يا سيدي مصحوب بأعمال المحبة، فكنت تعلم وتشفي وتط أيها المعلم الصالح، في هذا الوقت الذي عز فيه التعليم. نشعر بأشد الاحتياج إ مكتوب في الأنبياء : «ويكون الجميع متعلمين من الله» (يو ٦ : ٤٥).

لك المجد في كنيستك إلي الأبد آمين.

مكتبة المحبة

٣٠ ش شبرا - القاهرة ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤-٥٧٧٧٤٤٨